روايات مصرية للجيب



ملف المستقبل

مصري جداً!؟

٨١

رمز القوّة



نور الدين



سلوى



رمزى



محمود

١ ــ الحلم ..

انتشر الضباب كثيفًا ، يغمر كل شيء ، ويحجب الرؤية عن كل العيون ، وسط فراغ قاتم لا نهائى ، يسبح فى صمت مطبق ، ورهبة مخيفة ..

فراغ تام ، بلا أرض أو سماء ، أو جدران ..

ومن بعيد ، أتى ذلك الصوت الخافت ، غير المميَّز ، ثم راح يتصاعد فى بطء مثير ، حتى اتضحت حروفه قليلًا ..

.. كان هتافًا ، ينادى بكلمة واحدة :

ــ أمى .. أمى ..

وخفق قلب (سلوى) ، وهى تبذل أقصى جهدها ؛ لاختراق الضباب الكثيف ببصرها ، وتهتف فى لوعة :

ــ (نشوى) .. ابنتى .. أين أنت ؟.. أين ذهبت ؟

تكاثف الضباب أمامها فى بطء ، مكوِّنًا صورة غامضة ، لم تلبث أن اتضحت رويدًا رويدًا ، لتتخذ شكل (نشوى) ، وهى تمد يديها إلى أمها ، وتقول مبتسمة :

ــ أنا هنا يا أمى .. لا تقلقى .

هتفت بها (سلوى) فى لهفة:

ـ (نشوى).. أأنت بخير يا بنيتى؟

أجابتها (نشوى):

ـ نعم يا أمى.. إننى فى خير حال، وأنتظر قدومكما.. أنت وأبى.. أنتظركما يا أمى.

انحدرت الدموع من عينى (سلوى) ساخنة، وهى تقول:

ـ عودى يا (نشوى).. عودى إلينا يا بنيتى.

بدا الأسف على وجه (نشوى)، وهى تقول:

ـ لا يمكننى هذا يا أماه.. لقد حاولت، ولكننى فشلت.. أخبرى والدى أن يحاول.. وأن يستعين بـ(محمود).. خبرتك أيضًا ستساعدنى على العودة يا أمى..

بدأ وجه (نشوى) يتلاشى، ويمتزج مرة أخرى بالضباب الكثيف، و(سلوى) تصيح بها:

ـ كيف يا (نشوى)؟.. كيف يمكننا مساعدتك على العودة؟

تلاشى وجه (نشوى)، وخفت صوتها كثيرًا، حتى صار أقرب إلى الهمس، وهى تقول:

ـ حاولوا يا أمى.. حاولوا..

مدت (سلوى) يدها، تحاول منع ابنتها من الانصراف، وهى تصرخ:

ـ لا تذهبى يا (نشوى).. لا تذهبى..

راحت تكرّر صراخها بصفة منتظمة، حتى شعرت بذراعين تحيطان بها فى حنان، وسمعت صوت زوجها (نور)، يقول فى عطف مشفق:

ـ انتهى كل شىء يا حبيبتى.. إنه مجرّد حلم.. حلم..

انتفض جسدها كله، عندما فتحت عينيها، لتجد نفسها بين ذراعى زوجها، على فراشهما، فى تلك الحجرة التى اتخذاها، فى مقرهما الجديد، وتفجرت الدموع من عينيها غزيرة، وهى تغوص فى صدره، هاتفة:

ـ لقد رأيتها يا (نور).. رأيت ابنتنا (نشوى).

تنهّد فى مرارة، وهو يربّت عليها فى حنان، مكرّرًا:

ـ إنه مجرّد حلم يا حبيبتى.. مجرّد حلم.

كان يشعر بحزن هائل فى أعماقه، وهو يستعيد مع كلماتها ذكرى مصرع ابنتهما الوحيدة (نشوى)، فى آخر أيام الاحتلال، مضحية بحياتها فى سبيل انتصار أهل الأرض، على غزاتهم الفضائيين (*)..

إنه لن ينسى هذا المشهد أبدًا..

(*) راجع قصة (النصر).. المغامرة رقم (٨٠).

مشهد مصرع ابنته ..

لقد شاهد مصرعها بعينيه ..

وكذلك شاهدته زوجته (سلوى) ..

وكان هذا رهيبًا ..

وفي حنان، ضمّ زوجته أكثر إلى صدره، وشعر بدموعها الساخنة تبلّل منامته، وهي تقول:

ـــ إنه ليس مجرّد حلم يا (نور) .. إنها تنادينا .. تستنجد بنا.

لم يدر ماذا يقول ..

كان يعلم أنه مجرّد أمل زائف، تتشبّث به (سلوى)؛ لأن عقلها الباطن لم يتقبّل بعد فكرة مصرع ابنتها الوحيدة، على الرغم من مرور ثلاثة أشهر على هذا الحادث البشع ..

ولكنه لم يشأ تحطيم هذا الأمل في أعماقها ..

ولا يرغب في أن يفعل أبدًا ..

وفي حزن، تمتم:

ـــ وماذا يمكننا أن نفعل لها يا (سلوى)؟.. إنها لم تعد تنتمي إلى عالمنا، والله (سبحانه وتعالى)، أرحم بها منّا.

تضاعف انهمار دموعها، وهي تقول:

ـــ أتعني أنها قد ذهبت إلى الأبد؟

شرد ببصره، وهو يضمّها إليه في حنان، مجيبًا في حزن:

ـــ إنها لم تذهب وحدها يا (سلوى) .. لقد كانت حربًا عظمى، في سبيل حرية كوكبنا كله، ولقد ذهب الكثيرون، في حربنا هذه .. أبي، وأمي، و (نشوى)، والقائد الأعلى، ونائبه، والدكتور (عبد الله)، والدكتور (عبد المنعم)، و (بودون)، و (فارس)، وآلاف غيرهم .. ولكن كلًّا منهم دفع بحياته ثمن قطرة من قطرات الحرية .. إنه الثمن يا (سلوى) .. كل نصر له ثمن.

بكت في مرارة، وهي تقول:

ـــ كم تمنيت لو بقيت هي، وذهبت أنا.

قال في أسى:

ـــ لسنا نملك تقرير هذا .. إنه أمر يخصّ الخالق وحده (عزّ وجلّ).

ابتعدت عن صدره، وتطلّعت إليه بعينين اغرورقتا بالدمع، وهي تقول:

ـــ ولكننا لم نحقق نصرًا حقيقيًا يا (نور) .. صحيح أننا طردنا الغزاة، واستعدنا حريتنا، ولكن قنبلة (جاما)، التي

أطلقها ذلك الشيطان اللعين ، قبيل مصرعه ، محت كل حضارة الأرض من عقول سكانها .. هل ترى ما بلغوه يا (نور) ؟.. لقد عادوا عشرات القرون إلى الخلف .. صاروا أشبه بسكان العصور القديمة ، يقاتلون ويتشاحنون ، ويسحق بعضهم بعضًا ، فى سبيل حفنة من القمح ، أو قليل من الثمار (*) ..

استعاد حزمه ، وهو يقول :

— ولكن القدر انتخب فريقنا ، والفريق الطبى ، من بين الجميع ، لنحتفظ بعقولنا وحضارتنا يا (سلوى) ، ونحن نملك مكعبات الكمبيوتر ، التى منحنى إياها قائدنا الأعلى (رحمه الله) ، قبل مصرعه ، وهى تحوى كل علوم وفنون الأرض ، (**) ولقد أصبحت الأمل الأخير ، فى أن تستعيد الأرض حضارتها الزائلة .. إنها مهمتنا يا (سلوى) ، ولا ينبغى أن يهدأ لنا بال ، حتى نمحو أثر قنبلة (جاما) اللعينة هذه من عقول الجميع .

زفرت فى يأس ، وهى تقول :

— أتظننا نستطيع هذا حقًا ؟

أجابها فى أمل :

(*) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٨٠) .

(**) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

— ولِمَ لا ؟.. إننا فريق علمى ، ويمكننا أن نحاول على الأقل .. ولقد تعافى (محمود) تمامًا ، وهو يدرس هذه المشكلة منذ شهرين كاملين ، كخبير فى الأشعة ، وأنا واثق بأنه سيجد الحل حتمًا بإذن الله .

قالت فى ضيق :

— ولكننا مازلنا نحيا داخل مقرّ سرّى .

أجابها فى حنان :

— هذا لأننا نبتعد عن العالم الهمجى ، الذى تركته قنبلة (جاما) فى الخارج يا عزيزتى ، حتى نعثر على العلاج ، الذى يعيد إليه حضارته .

أطلقت زفرة حارة ، من أعماق قلبها ، وقالت :

— كم أتمنى لو كنت على حق يا (نور) .

حاول أن يبتسم ، وهو يقول :

— من يدرى يا عزيزتى ؟.. ربما كنت كذلك ..

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع أزيز متصل خافت من ساعته ، الموضوعة إلى جوار فراشه ، فالتقطها بحركة سريعة ، وهو يقول :

— يا إلهى !.. هذا يذكرنى بالأيام الخوالى .

ابتسمت ابتسامة باهتة ، وهى تستعيد ذكرى تلك الأيام ، التى كان القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، يستدعى فيها (نور) ، بوسائل تكنولوجية مختلفة ، وتطلّعت إلى زوجها ، الذى ضغط زرًا خفيًا فى جانب ساعته ، وهو يدنيها من فمه ، قائلاً :

ـ هنا (نور) .. من المتحدّث ؟

سمعت معه صوت (محمود) ، وهو يقول فى انفعال واضح :

ـ إنه أنا يا (نور) .. اغفر لى إيقاظك فى هذا الوقت المتأخر ، ولكن هل يمكنك الحضور مع (سلوى) إلى حجرة الاتصالات ؟

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ ماذا حدث هناك ؟

مرّت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول (محمود) بنفس الانفعال :

ـ لست أدرى فى الواقع يا (نور) .. هذا يحتاج إلى (سلوى) .

لم يضع (نور) الوقت فى مجادلته ، وإنما قال بسرعة :

ـ سنصل بعد لحظات .

سألته (سلوى) فى اهتمام ، وهى تسرع لارتداء ثيابها :

ـ ترى ما الذى يثير انفعاله إلى هذا الحد ؟

أجابها وهو يرتدى ثيابه فى سرعة :

ـ إنه أمر يتعلّق بالاتصالات حتمًا ، مادام يطلب تواجدك .

أسرعا إلى حجرة الاتصالات ، حيث استقبلهما (محمود) ، الذى كان يجلس فيها وحده ، وسط أجهزة الكمبيوتر وشاشات الرصد المختلفة ، ولقد بدا مرتبكًا ، وهو يقول :

ـ أظنه أمر يخصك يا (سلوى) .

قالت فى اهتمام بالغ :

ـ حسنًا .. ما هو ؟

أشار إلى شاشة جهاز اتصال متطوّر ، وهو يقول :

ـ هل تعلمين ما هذا ؟

عقدت حاجبيها ، وهى تتطلّع فى اهتمام إلى عدد من الدوائر المنتظمة ، يظهر ويختفى على الشاشة فى إيقاع رتيب ، ونسق واحد ، يتكرّر باستمرار ، وقالت :

— إنه يبدو لى أشبه بإشارة منتظمة .

قال (نور) فى دهشة :

— إشارة منتظمة ؟!.. ولكن من أين تأتى ؟.. إننا — حسبما أعلم — آخر من يحتفظون بحضارتهم ، على سطح الأرض .

جلست أمام الشاشة فى اهتمام ، وهى تقول :

— ربما كانت معلوماتك خاطئة ، فى هذا الشأن .

راحت أصابعها تنتقل فى سرعة ، من زر إلى آخر ، فى لوحة جهاز الاتصال ، وهى تتابع الدوائر ، التى مازالت تتبع نفس النسق الهادئ المنتظم ، ثم قالت :

— إنها إشارة منتظمة بالفعل ، تبثّ إلينا من نقطة ما على الساحل الشمالى .

ضغطت زرًا جانبيًا فى حركة سريعة ، فارتسمت على شاشة الجهاز خريطة واضحة لـ (مصر) ، وتألقت نقطة مضيئة عند ساحلها الشمالى ، فتابعت (سلوى) فى اهتمام :

— من (الإسكندرية) بالتحديد .

اختلج قلب (نور) فى حماس ، وهو يقول :

— هل يمكنك الرّد على هذه الإشارة ؟

هزّت كتفيها ، وهى تقول :

— بالطبع .. إنه أمر بالغ البساطة .

ضغطت أصابعها الأزرار فى سرعة مرة أخرى ، ثم اعتدلت قائلة :

— سنعيد نفس الإشارة إلى مصدرها .

مضت لحظات صامتة ، استمرّ فيها ظهور الدوائر على نفس النسق ، ثم اختفت كل الدوائر بغتة ، فقال (محمود) فى قلق :

— ماذا حدث ؟

أجابته (سلوى) فى اهتمام :

— لقد توقّف البث .

وفجأة ارتفع صوت ، عبر جهاز الاتصال ، يهتف :

— أخيرًا .

التقت عيون (نور) و (سلوى) و (نشوى) فى لهفة ، فى حين تابع الصوت فى حماس مشوب بالارتياح :

— إذن فهناك مخلوقات عاقلة أخرى ، على سطح الأرض .. أجيبونى بالله عليكم .. هل أنتم كذلك ؟..

وكان صوته أشبه بحلم ..

حلم يتحقق .

* * *

٢ ــ الهمج ..

شقت زفرة عميقة، انطلقت من صدر (رمزى)، سكون الليل وهدوءه، وترددت بين النجوم اللانهائية، التى تتلألأ فى السماء، كقطع من الماس، على سطح من المخمل الأسود، تسبح فيها عينا (رمزى)، وذهنه يستعيد ذكريات قريبة..

وقلبه يبكى..

نعم.. كان قلبه يبكى بدموع من دم، وهو يسترجع ذلك المشهد، الذى لم يغب عن عقله لحظة واحدة، منذ ثلاثة أشهر كاملة..

مشهد (نشوى)، وهى تهاجم قرص الطاقة الرهيب، الذى يحصد آلاف البشر، وتعطيه بمركبة (بودون)، ثم تمتص طاقته كلها، و...

وحدث الانفجار..

إنه لم يكن حتى انفجارًا بالمعنى المفهوم، بل كان ظاهرة فريدة عجيبة، لا مثيل لها، فى كل كتب الطاقة والعلوم..

لقد تألقت المركبة والقرص كألف شمس، وانطلقت منهما مئات الخيوط الإشعاعية، من كل الألوان، قبل أن يتلاشى كل شىء دفعة واحدة..

وذهبت (نشوى)..

ذهبت إلى الأبد..

«أمازلت تستعيد ذلك المشهد؟..»

تسللت تلك العبارة إلى أذنيه، حاملة لهجة حانية، تمتزج بشىء من الغيرة والضيق، فالتفت إلى صاحبتها فى بطء، وقال:

ــ (مشيرة)؟!.. ماذا تفعلين هنا؟.. ألم يؤكد (نور) ضرورة عدم مغادرتنا ذلك المخبأ السرى، دون أوامر سابقة؟

وضعت يدها على كتفه فى حنان، وهى تقول:

ــ وعلى الرغم من ذلك، فقد خالفت أنت هذه الأوامر، وخرجت تتطلع إلى النجوم، وتستعيد ذكراها.

أشاح بوجهه عنها، وكأنما يحاول إخفاء مشاعره، وهو يغمغم:

ــ لن أنساها بسهولة.

قالت فى ضيق:

ــ ولا أنا.. ما من أحد سينسى أنها ضحت بحياتها من أجل

الجميع .. من أجل الحرية والنصر ، ولكن هذا لايعنى أن تتحوّل فى أعماقنا إلى وثن ، نسجد له ليلًا ونهارًا .. لقد ماتت (نشوى) يا (رمزى) ، ومن الضرورى أن تتقبّل هذه الفكرة .

خفض عينين مغرورقتين بالدموع ، وهو يقول :

ـ إننى أحاول .. ولكن ..

هتفت فى مرارة :

ـ ولكن ماذا ؟.. إنك لاتحاول كما تتصوّر يا (رمزى) .. بل على العكس .. إنك تصرّ على الاحتفاظ بذكراها ، وأنا أبذل أقصى جهدى ، لانتزاعك من آلامك دون جدوى ، ولقد سئمت هذا .. لم أعد أحتمل .. لن أصارع امرأة ميتة يا (رمزى) .. هل تفهم ؟.. لن أقضى عمرى لأثبت لك أننى أحبك ، وأننى لم أنس أبدًا تلك الأيام ، التى كنا فيها زوجين ، وأتمنى أن نعود إليها .. لن أسعى إليك بعد هذه اللحظة ، ما دمت تصرّ على العيش فى ذكراها إلى الأبد .

شعر بالشفقة تجاهها ، فربّت على كتفها فى حنان ، وهو يقول :

ـ يبدو أننى أرهقت أعصابك كثيرًا .

استكانت له ، وهى تقول :

ـ أكثر مما تتصوّر .

تنهّد ، قائلًا :

ـ اعذرينى يا (مشيرة) .. الموقف كله يفوق احتمالى .. بل يفوق احتمالنا جميعًا .. لقد قاتلنا المحتلّين طويلًا ، وبذلنا الأرواح والدماء فى سبيل حريتنا ، وفقدنا أحبّ الناس إلينا ، ثم ماذا كانت النتيجة ؟.. لقد رحل المحتلّون ، وتحرّرت الأرض ، ولكن بشعب همجى متخلّف ، لم يعد ينتمى إلى أية حضارة سابقة أو حالية .. أنسيت لماذا نعتبر مغادرة المخبأ السرّى أمرًا محفوفًا بالمخاطر ؟.. لقد أصبحنا نواجه عالمًا يختلف كثيرًا عن ذلك الذى كنا نواجهه ، قبل الاحتلال .. عالم همجى ، بربرى ، صارت فيه القوة البدنية وحدها هى رمز التفوّق .. عالم نبذل أقصى جهدنا ؛ لنعيد إليه حضارته وفكره .

سألته فى خفوت :

ـ وهل تظن ذلك ممكنًا ؟

أجابها فى حسم :

ـ ولمَ لا ؟.. لقد امّحت العقول بقنبلة من قنابل (جاما) ، ويمكنها أن تعود بأشعة أخرى .. ما المانع ؟

كان يتطلّع إليها وهو يحدّثها ، وأدهشه ذلك الاتساع

المفاجئ في عينيها ، وتراجعها بتلك الحدّة والذعر ، فالتفت في سرعة إلى حيث تنظر ، وانطلقت من أعماقه شهقة قوية ، امتزجت بصرخة بدائية وحشية لرجلين من العالم البدائي ، بديا أشبه باثنين من رجال الكهوف القدامى ، وهم ينقضون عليه بهراوتين ضخمتين ..

وصرخ (رمزى) :

ــ ابتعدى يا (مشيرة) .

ولكنها أطلقت صرخة رعب هائلة ، عندما رأت هراوة ضخمة تهوى بكل قوّتها على رأسه ..

على رأس (رمزى) ..

* * *

لم يكد ذلك الصوت يتردّد ، عبر جهاز الاتصال ، في قلب مقر القيادة السرّى ، حتى هتف (محمود) في لهفة :

ــ رباه !.. إذن فهناك شخص عاقل آخر ، في هذا الكوكب .

ثم ضغط جهاز الاتصال في سرعة ، قائلًا :

ــ أفصح عن نفسك يا رجل .. هنا مقر القيادة .. عرِّف نفسك .



كان يتطلّع إليها وهي تحدّثها ، وأدهشه ذلك الاتساع المفاجئ في عينيها ، وتراجعها بتلك الحدّة والذعر ..

أتاه صوت الرجل مفعمًا بالدهشة، وهو يهتف:

— مقر القيادة؟!.. ماذا تعنى بهذا القول؟.. أما زالت هناك قيادة ما، بعد كل ما أصاب كوكبنا؟

التقط (نور) جهاز الاتصال، وقال:

— بالتأكيد يا رجل.. ما زالت هناك قيادة، تبذل أقصى جهدها؛ لإعادة الأمور إلى ما كانت عليه.

هتف الصوت فى سعادة:

— رائع.. هذا أعظم مما تصوّرت بكثير.. لقد كان أقصى ما أتمناه هو مخلوق واحد، ما يزال محتفظًا بعقله.

سأله (محمود):

— ولكن من أنت؟ وكيف نجوت من تأثير قنبلة (جاما)؟

قال صاحب الصوت فى اهتمام:

— إذن فقد كانت قنبلة (جاما)!.. كان ينبغى أن أتوقع ذلك، فتلك الموجات السخيفة وحدها، يمكنها أن تفعل هذا بالعقول.

ثم زفر فى أسف، قبل أن يستطرد:

— على أية حال.. إننى الدكتور (رشاد خيرى).

اتسعت عينا (محمود)، وهو يهتف:

— الدكتور (رشاد خيرى)؟!.. يا إلهى!.. إنها معجزة بحق.. أتعنى أنك حقًا الدكتور (رشاد خيرى).. رئيس قسم علوم الأشعة الحديثة، بجامعة (القاهرة).

أجابه الدكتور (رشاد) فى أسف:

— سابقًا يا ولدى.. سابقًا.. كان كل ذلك فى الماضى.. الآن لم تعد هناك جامعة.. بل لم تعد هناك (قاهرة)، ولا علوم.

قال (نور) فى حزم:

— سيعود كل شىء إلى ما كان يا دكتور (رشاد)، بإذن الله العلىّ القدير.

أجابه الدكتور (رشاد):

— كم أتمنى لو أن قدرتنا على إعادته تبلغ ربع حماسك هذا أيها الشاب.

سأله (محمود) فى لهفة:

— ولكن كيف نجوت من قنبلة (جاما) يا سيّدى؟

تنهّد الرجل، وقال:

— إنها قصة عجيبة يا ولدى.. إننى لم أستسلم أبدًا لمحاولات الغزاة، فى تدمير كل علومنا وحضارتنا، واحتفظت بكل كتبى ومراجعى داخل حجرة ذات جدران من

الرصاص، كنت أجرى فيها أحيانًا بعض تجارب الأشعة، وفى ذلك اليوم، الذى انفجرت فيه القنبلة، فى سماء الأرض، كنت داخل حجرتى الرصاصية، أراجع بعض كتبى، وأنت تعلم أن الأشعة لا تخترق مادة الرصاص.(*)

هتف (محمود):

ــ هذا من حسن حظ كوكب الأرض كله يا سيِّدى، فأنت أحد الأشخاص القلائل، الذين يمكنهم إيجاد حلّ، ومخرج من هذه الأزمة.. إننا نحتاج إلى عكس تأثير أشعة (جاما) فى العقول.

تردَّد الدكتور (رشاد) لحظات، ثم قال:

ــ كنت أتمنى معاونتك يا ولدى، ولكن..

سأله (نور) فى قلق:

ــ ولكن ماذا؟

صمت الدكتور (رشاد) لحظة أخرى، ثم قال:

ــ لست أدرى كيف أشرح لك الأمر يا ولدى، ولكن الأمور لم تعد حقًا كما كانت.. لقد صرنا أكثر همجية مما تصوَّر.. إننى سجين فى منزلى يا ولدى.

(*) حقيقة علمية.

ــ هتفت (سلوى) فى دهشة:

ــ سجين؟!

أجابها فى أسى واضح:

ــ نعم يا بنيتى.. سجين.. لقد انقلب الجميع إلى وحوش، يقتل بعضهم بعضًا لأتفه سبب، دون وازع من عقل أو ضمير.. وهناك نقص بشع فى موارد الغذاء والطاقة.. لقد التهموا كل ما يمكن التهامه، من طيور وحيوانات.. حتى القطط والكلاب، وأصبح من المحتم أن يبحثوا عن مورد آخر للغذاء.

أدرك (نور) المعنى على الفور، فاتسعت عيناه فى هلع، فى حين سألت (سلوى) فى دهشة:

ــ وما ذلك المورد الآخر؟

هوى الجواب على أذنها كصاعقة، زلزلت كيانها كله، عندما أجابها بصوت مرتجف:

ــ البشر.

وتفجَّر الرعب فى أعماقها.

* * *

٣ — القرار ..

رأى (رمزى) الهراوة الضخمة تهوى على رأسه، وأدرك أنها ستحطِّم جمجمته تمامًا، لو أنها أصابت هدفها، ودفعته غريزة البقاء إلى تفاديها بحركة سريعة، فقفز جانبًا، ورأى الهراوة تضرب الهواء، فى نفس الموضع الذى كان يحتله رأسه منذ لحظة واحدة، وسمع صاحبها يطلق زمجرة غاضبة، أقرب إلى زمجرة حيوان مفترس، ورأى (مشيرة) تتراجع فى رعب، وتلتصق بجدار المبنى المتهدِّم الصغير، الذى يخفى مدخل المقر السرى، والهمجى الثانى يقترب منها ملوِّحًا بهراوته، فأسرع ينتزع مسدسه الليزرى، وهو يهتف:

— قف يا رجل .. قف وإلا أطلقتُ الأشعة عليك .

لم يبد أن ذلك الهمجى قد فهم حرفًا واحدًا، مما تفوّه به (رمزى) .. بل لم يبد حتى أنه قد أدرك طبيعة السلاح المصوَّب إليه، فقد واصل اقترابه من (مشيرة)، وهو يطلق زمجرته الحيوانية المخيفة، فى حين اعتدل رفيقه، واستعاد توازنه، الذى

أفقدته إياه ضربته الخائبة، ورفع هراوته بدوره، وعاد يتجه إلى (رمزى) ..

وارتبك (رمزى) بالفعل ..

كان عليه أن يصد هجوم رجل، ويقى (مشيرة) شر الآخر ..

وبسرعة ..

ورأى الرجل الثانى يرفع هراوته، ليهوى بها على رأس (مشيرة)، وسمعها تطلق حشرجة رعب حبيسة، وقد استحال وجهها إلى شىء أشبه بوجوه الموتى الشاحبة، واتسعت عيناها فى ذعر هائل، والرجل الآخر يتجه نحوه، و ...

ولم يكن هناك مفر ..

كان من المحتم أن يلجأ إلى وسيلة يبغضها ..

إلى القتل ..

وفى حركة سريعة، أدار (رمزى) فوهة مسدسه الليزرى نحو الهمجى، الذى يهاجم (مشيرة)، وأطلق أشعة الليزر على جمجمته ..

وانطلق خيط الأشعة الأزرق يشق الظلام والسكون، ليخترق جمجمة الهمجى، ويعبرها إلى الفراغ ..

وأطلق الهمجى خوارًا عجيبًا ..

ثم هوى جثة هامدة، عند قدمى (مشيرة) ..

وهنا تراجع الآخر فى دهشة ..

هنا فقط أدرك طبيعة ذلك الشىء، الـذى يمسك به (رمزى) ..

لم يدرك بالطبع أنه مسدس ليزرى، وإنما أدرك أنه سلاح ..

وسلاح قاتل ..

وفى توتر أكثر، وحذر أكثر، أمسك الهمجى الآخر هراوته بقبضتيه، وهو يزمجر فى وجه (رمزى)، الذى صوّب إليه سلاحه، قائلاً فى عصبية:

ـ لاتجبرنى على أن أفعل بك المثل.

لم يبد أن الرجل يفهمه، وهو يحدّق فيه بعينين أشبه بعينى نمر مفترس، فى حين ظلّت (مشيرة) ملتصقة بالجدار، تتطلّع إلى ما يحدث فى رعب، وجثة الهمجى الآخر تفترش الأرض تحت قدميها ..

وفجأة أطلق الهمجى زمجرة مخيفة، وهوى بهراوته على مسدس (رمزى) ..

وأصابت الضربة هدفها فى مهارة ..

وسقط مسدس الليزر بعيدًا ..

وفقد (رمزى) سلاحه ..

وانطلقت صرخة الهمجى ترجّ المكان، ممتزجة بصرخة (مشيرة)، وهو ينقضّ بهراوته على (رمزى) مرة أخرى ..

وبلا رحمة ..

* * *

لم يكد الدكتور (رشاد) ينطق كلمته الأخيرة، حتى انعقد حاجبا (نور) فى شدة، واتسعت عينا (محمود) عن آخرهما، فى حين هتفت (سلوى) فى ذعر:

ـ البشر ؟!..

ثم ارتجف صوتها، وهى تستطرد:

ـ دكتور (رشاد) .. أتمنى من كل قلبى، ألا يكون المعنى الذى تقصده، هو نفس المعنى، الذى أرتجف له رعبًا الآن.

تنهّد الرجل، وهو يقول فى مرارة:

ـ إنه هو يا سيّدتى .. للأسف .. فى المنطقة المحيطة بمنزلى، تحوّل هؤلاء الهمج إلى أكلة لحوم بشر.

تراجعت صائحة:

ـ يا إلهى!

أمسك (نور) كفها، وضغطها فى رفق، فى محاولة لتهدئتها، وهو يسأل الدكتور (رشاد):

ـــ كم لديك من المؤن يا سيِّدى؟

أجابه الرجل على الفور:

ـــ ما يكفى ليومين آخرين يا فتى، مع صيام عنيف.

سأله (نور) فى اهتمام:

ـــ أرشدنا إذن إلى عنوانك، وسنحاول إنقاذك من كل هذا.

هتفت (سلوى) فى خفوت:

ـــ (نور).. هل ستواجه آكلى لحوم البشر هؤلاء؟

ابتسم فى وجهها بهدوء، وقال:

ـــ عزيزتى، يبدو أنك قد نسيت أننا نمتلك أقوى سلاح فى الكون.

واتسعت ابتسامته، وهو يضيف فى ثقة:

ـــ (س ١٨).

* * *

فى هذه المرة لم يكن هناك أمل فى النجاة..

لقد فقد (رمزى) السلاح الوحيد، الذى يمكنه أن يعتمد عليه، فى مواجهة هؤلاء الهمج.. ضحايا قنبلة (جاما)..

وها هو ذا أحدهم ينقضّ عليه كالوحش، ويهوى على رأسه بهراوة ثقيلة، تكفى ضربة منها، لتحطيم رأس ثور قوى..

وأطلقت (مشيرة) صرخة رعب هائلة..

وأيقن (رمزى) من مصرعه لا محالة..

ثم فجأة ظهر هو..

ظهر (س ١٨)، الذى عبر فتحة المقرّ السرى كالصاروخ، ودفع جسده فى المسافة الضيقة، بين (رمزى) ومهاجمه..

وهوت الهراوة على رأس (س ١٨)..

وتحطَّمت..

تحطَّمت فى عنف، أصاب صاحبها بآلام رهيبة فى كتفيه وذراعيه، وجعله يطلق صرخة مدوية، أشبه بصرخة حيوان جريح، قبل أن يدفعه رد الفعل إلى الخلف، ويسقط على الأرض فى قوة..

وهتف (رمزى) فى سعادة:

ـــ (س ١٨).. يا إلهى!.. كم أحبك.

لم يوله (س ١٨) أدنى اهتمام، وهو يتجه فى بطء نحو الهمجى، الذى هبّ واقفًا فى رعب، وأخذ يتراجع بظهره، مطلقًا زمجرات خائفة، جعلت (رمزى) يهتف:



لم يوله (س ١٨) أدنى اهتمام، وهو يتجه فى بطء نحو الهمجى الذى هبّ واقفًا فى رعب ..

— دعه يذهب يا (س ١٨).

ولكن (س ١٨) لم يستجب ..

كان يبدو كما لو أنه لم يعد يستجيب لأحد، وهو ينقضّ على الهمجى بغتة، ويرفعه عاليًا، ثم يلقيه أرضًا ..

وصرخت (مشيرة) فى رعب:

— يا إلٰهى !!.. إنه سيقتله.

صاح به (رمزى) مرة أخرى:

— اتركه يا (س ١٨) .. إنه لا يدرك ما يفعل .. إنه مجرّد ضحية.

ولكن (س ١٨) تجاهله مرة أخرى، وعاد يحمل الهمجى، ويلقيه أرضًا، والمسكين يطلق صرخات رعب وألم عالية، تمزّق القلوب.

وهتف (رمزى) فى توتر:

— إنه لم يعد يستجيب للأوامر .. أسرعى بطلب (نور)، فهو الوحيد الذى يمتلك سيطرة كاملة عليه.

قبل أن تتحرّك من مكانها، ظهر (نور)، وهو يقول:

— أنا هنا يا (رمزى) .. لقد شاهدت ما يحدث، على إحدى شاشات المراقبة.

هتف (رمزى):

ـ أوقفه يا (نور).. إنه سيقتل الرجل.

صاح (نور) فى صرامة:

ـ توقف يا (س ١٨).

توقف (س ١٨)، والتفت إليه فى هدوء، وكرر العبارة الوحيدة، المسجلة فى أعماقه:

ـ (س ١٨) فى خدمتك يا سيدى.

تنهدت (مشيرة) فى ارتياح، وغمغمت:

ـ حمدًا لله.. لقد توقف.

ولكن (س ١٨) ألقى عبارته، واستدار مرة أخرى إلى الهمجى، فأمسك عنقه بقبضته، ورفعه بيده عاليًا..

وكانت مفاجأة مذهلة لـ(نور)..

لقد رفض (س ١٨) إطاعة أوامره..

رفض هذا لأول مرة، منذ استكان له..

وفى قوة باردة، تراجعت قبضة (س ١٨) الفولاذية، لتهوى على صدر الرجل..

وصرخ (نور):

ـ لا يا (س ١٨).. لا.

ولكن القبضة الخارقة هوت على صدر الهمجى المسكين، الذى جحظت عيناه، واحتبست فى حلقه صرخة ألم رهيبة، قبل أن تغوص قبضة (س ١٨) فى جسده، وتسلبه الروح فى وحشية رهيبة..

وكان واحدًا من أكثر المشاهد، التى رآها الجميع فى حياتهم، هولًا..

صرخت (مشيرة)، وهوت فاقدة الوعى..

وتراجع (رمزى) فى ذهول..

أما (نور) فقد تجمد فى مكانه، غير مصدق لما رأت عيناه..

وفى هدوء رهيب، وبيد آلية، أغرقتها الدماء حتى مرفقها، اتجه (س ١٨) إلى (نور)، وقال جملته التقليدية:

ـ (س ١٨) فى خدمتك يا سيدى.

ثم أوقف آلاته، ووقف ينتظر قتالًا آخر..

* * *

«ما الذى يحدث هنا؟»

هتفت (سلوى) بالعبارة فى مرارة وهلع، وهى تتطلع إلى زوجها، الذى جلس صامتًا، عاقدًا حاجبيه، خلف مكتبه، يسترجع فى حيرة كل ما حدث، ولقد رفع عينيه إليها فى حيرة، وقال:

— لست أدرى يا (سلوى) .. حقًا لست أدرى .

ظهر (رمزى) على عتبة الحجرة ، فى هذه اللحظة ، وبدا متوترًا مهمومًا ، فسأله (نور) :

— هل استسلمت (مشيرة) ، للنوم ؟

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، وقال :

— نعم .. لقد احتاجت إلى وقت طويل قبل أن تفعل ، فذلك المشهد أكثر بشاعة ، من أن يفارق الذهن فى سرعة .

غمغم (محمود) ، وهو ينكمش على مقعده ، فى ركن الحجرة :

— أعلم هذا .. لقد شاهدته على شاشة الراصد ، وكدت أفقد وعيى رعبًا .

نهض (نور) فى بطء ، وألقى نظرة حائرة ، مفعمة بالتساؤل ، على الدكتور (محمد حجازى) ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد بدا وكأن الدكتور (حجازى) قد سمع مايدور فى عقله ؛ إذ أجاب فى خفوت :

— إنه ذلك الشىء يا (نور) .

تمتم (نور) :

— كنت أخشى هذا القول .

هتفت (سلوى) :

— عن أى شىء تتحدثان ؟

أشاح (نور) بوجهه ، دون أن يجيب ، فى حين قال الدكتور (حجازى) .

— عن ذلك القرص الشيطانى يا (سلوى) ، الذى وضعه (نور) فى قلب (س ١٨) ، منعًا لخطره فى المستقبل (*)

تراجعت هاتفة فى هلع :

— يا إلهى !

— واعتدل (محمود) ، يقول فى توتر :

— ولكن هذا مستحيل تقريبًا ياسيدى ، فجسم (س ١٨) مصنوع من مواد بالغة القوة والصلابة ، ومن المستحيل أن يسيطر عليه شىء كهذا .

التفت إليه الدكتور (حجازى) ، وسأله فى رصانة :

— أأنت واثق من هذا ؟

ظهرت الحيرة على وجه (محمود) ، وتردد فى الجواب لحظات ، ثم خفض وجهه ، قائلًا :

— لا .. لست واثقًا من هذا .

(*) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٨٠) .

اتجه (نور) إلى شاشة الـراصد، وتطلّـع إلى صورة (س ١٨)، الذى يقف ساكنا صامتا، فى موقعه المعتاد، عند مدخل المقر، وقال:

ـــ من يدرى؟.. ربما كان حادثا عرضيًا.

قال الدكتور (حجازى):

ـــ وربما لا.

صمت (نور) لحظات، متطلّعا إلى صورة (س ١٨)، ثم التفت إلى رفاقه، قائلا فى لهجة حازمة حاسمة قوية:

ـــ هذا يحسم الأمر يا رفاق.. سيبقى (س ١٨) هنا، فلن أضمن موقفه هناك.

شحب وجه (سلوى)، وهى تهتف:

ـــ ماذا تعنى؟.. هل ستذهب لإحضار الدكتور (رشاد) وحدك؟

قال (رمزى):

ـــ سأذهب معه.

صاحت (سلوى):

ـــ لا.. لن يذهب أحدكما بدون (س ١٨).. ألا تدركان ما ستواجهانه هناك؟.. إنهم أكلوا لحوم البشر.. هل تفهمان ذلك جيّدا؟

قال (نور) فى صرامة:

ـــ كفى يا (سلوى).

صاحت فى عصبية:

ـــ لا يا (نور).. لقد فقدت ابنتى الوحيدة، فى هذه الحرب اللعينة، ولن أفقد زوجى أيضا، بسبب..

قاطعها بصيحة غاضبة:

ـــ قلت كفى.

بترت عبارتها، وهى تحدّق فى وجهه بدهشة، فتابع فى صرامة:

ـــ هذا الرجل، الذى سنذهب لإحضاره، هو الأمل الوحيد، فى أن يستعيد البشر عقولهم وحضارتهم، ولو لم نذهب لإحضاره على الفور، فسيلقى مصرعه، إما جوعا، أو بأسنان أكلة لحوم البشر، ومن واجبنا أن نمنع هذا، وأن نبذل أقصى جهدنا لإحضاره إلى هنا، والتعاون معه، فى سبيل إعادة الحضارة.

غمغمت فى ألم:

ـــ ولكن يا (نور)..

تجاهل مقاطعتها تماما، وهو يستطرد:

— هل سألت نفسك مرة واحدة ، لماذا انتخبنا الله (سبحانه وتعالى) ، من بين من انتخب ، لنبقى محتفظين بعقولنا وحضارتنا ؟.. إنه لم يفعل هذا حتمًا ؛ لأننا الأفضل ، ولكن لكى توكل إلينا مهمة العمل بلا هوادة ، من أجل الآخرين ..

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

— إنه واجبنا يا (سلوى) ، وواجبى بالدرجة الأولى ، ما دمت القائد هنا ، وأنا لم أعتد التنصّل من واجبى أبدًا .

وكان من الواضح أنه لن يقبل أية مناقشات زائدة ، فى هذا الشأن ..

وأنه قد اتخذ القرار ..

القرار الحاسم ..

* * *



٤ — مجرمو الفضاء ..

لو أن الأقمار الصناعية ، الخاصة بمراقبة الفضاء ، كانت تعمل كما ينبغى ، مثلما كانت قبل الغزو ، لالتقطت بلا شك كل ما حدث على سطح القمر ، فى الشهور الأخيرة ، ولأرسلت إنذارًا حاسمًا إلى الأرض ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها تلك المركبة الفضائية الكبيرة ، من القمر إلى الأرض ..

فمنذ بداية الغزو الفضائى للأرض ، واحتلالها من قبل غزاة كوكب (جلوريال) ، تجاهل الغزاة القمر تمامًا ، باعتباره مجرّد تابع للأرض ، لا يحوى سوى سجن محكم ، أعدّته الأمم المتحدة ، فى أوائل القرن الحادى والعشرين ، لنفى عتاة المجرمين(*) ..

وطوال فترة الاحتلال ، وعلى الرغم من أن مسئولى سجن القمر قد التقطوا كل ما يحدث على سطح الأرض ، إلا أن المحتلين ظلوا يتجاهلون القمر وسجنه تمامًا ، فى حين لزم

(*) راجع قصة (سجن القمر) .. المغامرة رقم (٤٨) .

مسئولو السجن الصمت، لإدراكهم استحالة تصديهم للغزو ..

ومع انفجار قنبلة (جاما)، فقد سكان الأرض عقولهم وحضاراتهم، في حين بقي المقيمون على سطح القمر محتفظين بكل هذا ..

ولكن طاقم الحراسة بدأ ينهار ..

لقد فقدوا أسرهم وأقاربهم وحياتهم، وأصبحوا تمامًا مثل المسجونين الخمسة، الذين لم يعد سجن القمر يحوي سواهم ..

أصبح الجميع سجناء ..

ومع انهيار أعصاب طاقـــم الحراسة، جاءت فرصة المسجونين، للتمرّد والفرار ..

وفي ثورة مفاجئة، لقي طاقم الحراسة كله مصرعه، وكذلك اثنان من المسجونين الخمسة، وبقي ثلاثة، هم أعتى مجرمي الأرض على الإطلاق ..

الأمريكي (جيمس)، والإيطالي (كارلـــو)، والألماني (رالف) ..

وأدرك الثلاثة أن الأرض قد انتهت حضارتها، وتصوّروا أنهم آخر العقلاء من أهلها، وأن فرصتهم قد حانت، لينتقموا ممن نفوهم إلى (سجن القمر)، وليحتلوا عرش الأرض ..

وفي ذلك الصباح، جمعوا كل ما وجدوه من أسلحة، واستقلّوا سفينة الحراسة الفضائية ..

وانطلقوا إلى الأرض ..

وكانت هذه بداية احتلال جديد ..

وجحيم جديد ..

* * *

لم تستطع (سلوى) إخفاء حزنها، وهي تودّع (نور) و(رمزي)، عندما استقلّا سيارة بدائية، واستعدّا لبدء رحلتهما إلى (الاسكندرية)، لإنقاذ الدكتور (رشاد)، وإحضاره إلى مقرّ القيادة ..

وفي أسى، قبّلت (نور)، وقالت:

ـــ عد يا (نور) .. عد من أجلي.

ربّت على وجهها في حنان، وهو يقول:

ـــ سأعود بإذن الله يا (سلوى).

سأله الدكتور (حجازي):

ـــ كم ستستغرق رحلتكما يا (نور)؟

أجابه (نور):

ـــ المفروض أن تستغرق يومًا واحدًا على الأكثر، ولكن

الطرق لم تعد ممهدة كسابق عهدها ، ولسنا ندرى بالضبط كم المخاطر والعوائق ، التى ستواجهنا ، حتى نبلغ مخبأ الدكتور (رشاد) ، ولا التى ستتصدى لنا ، ونحن نعود به ، ولهذا لايمكننى معرفة الوقت ، الذى ستستغرقه الرحلة .

وضع (محمود) وعاءً ضخمًا ، يمتلئ بالوقود ، فى المقعد الخلفى للسيارة ، وهو يقول :

ــ المهم ألا تستغرق وقتًا أطول ، من الوقود الذى لديكما .

تمتم (رمزى) ، وهو يحاول الابتسام فى صعوبة :

ــ أتمنى ذلك .

جففت (مشيرة) دموعها ، وهى تقول له :

ــ لاتخاطر بنفسك كثيرًا يا (رمزى) .

تطلع إليها لحظة فى صمت ، ثم ابتسم ابتسامة باهتة ، وغمغم :

ــ سأحاول .

وهنا أدار (نور) محرك السيارة ، ولوح بيده قائلاً :

ــ إلى اللقاء يا رفاق .

هتف الدكتور (حجازى) :

ــ على بركة الله يا ولدى

وانطلقت السيارة ، (نور) و (رمزى) ، نحو الهدف .. ونحو الخطر ..

* * *

تحركت فتاة همجية ضئيلة الحجم ، زرية الهيئة ، بين أطلال المتحف البحرى القديم بـ(الاسكندرية) ، وراحت تقلب الأحجار المتهدمة فى خفة ، بحثا عن أى شىء صالح للأكل ، حتى ولو كان حيوانا صغيرًا ، من القوارض الدنيئة ..

وفجأة شعرت بحركة على مقربة منها ، فانتفضت فى رعب ، ثم تراجعت فى حدة ، مطلقة صرخة أشبه بصرخة حيوان صغير مذعور ، عندما وقع بصرها على رجل ضخم الجثة ، مخيف ، تألقت عيناه فى ظفر ، عندما وقع بصره عليها بدوره ..

ثم برز ثان ..

وثالث ..

وامتلأت نفس الفتاة بالرعب ، وقد أدركت ما ينتظرها ..

لقد شاهدت هذا من قبل ، وهى تختبئ فى أطلال أخرى ..

شاهدت رجالاً يهاجمون شابًا نحيلاً ، ويمزقونه إربا ، و ... ويأكلونه ..

ومن تلك النظرة الوحشية فى عيونهم، أدركت أن مصيرها لن يختلف كثيرًا ..

وزمجر أحد الرجال الثلاثة ..

وانقضّ على الفتاة ..

وفى رعب يائس، استدارت الفتاة، وانطلقت تعدو بلا هدف ..

وخلفها انطلق الرجال الثلاثة ..

ولم يكن أمام الفتاة سوى تلك الساحة العلوية، التى تمتد بمحاذاة قلعة (قايتباى) القديمة، فاندفعت نحوها، حتى بلغت نهايتها، ثم توقّفت فى رعب ..

لم يعد أمامها سوى صخور حادة مخيفة، ترتفع وسط بحر متلاطم الأمواج ..

وبدا من الواضح أنها النهاية ..

حتمًا ..

وفجأة ارتفع ذلك اللهب فى السماء ..

وارتفعت عيون الرجال الثلاثة إليه فى دهشة وقلق ..

وفى لحظة، كانوا قد نسوا أمر الفتاة، وتراجعوا فى ذعر، وهم يراقبون ذلك اللهب، الذى ملأ المكان ضجيجًا، وهو يهبط من السماء، متجهًا إلى تلك الساحة بالتحديد ..



لم يعد أمامها سوى صخور حادة مخيفة، ترتفع وسط بحر متلاطم الأمواج .

وانتهزت الفتاة فرصة انشغال الوحوش الثلاثة عنها ، فانطلقت تعدو مبتعدة ، دون أن تستدير خلفها لحظة واحدة ..

وفى ذعر ، انطلق الرجال الثلاثة إلى الأطلال ، واختفوا بينها ، وعيونهم تتابع ذلك الجسم الضخم ، الذى اتضحت صورته تدريجيًا ، وهو يقترب من الساحة ، ثم ارتجفوا فى هلع ، عندما انطلقت من أسفله نيران عنيفة ، جعلت سرعته تنخفض كثيرًا ، وهو يهبط فى منتصف الساحة ، ثم يستقرّ فوقها ساكنًا ، ويتوقّف اندلاع النيران من أسفله ، وتتصاعد أدخنة كثيفة منه ..

وبعدها ساد الصمت التام .. صمت رهيب مخيف ، دام لدقائق طويلة ، لم يجرؤ الرجال الثلاثة خلالها على رفع أعينهم ، عن ذلك الجسم الهائل ..

وفجأة تحرّك جزء من ذلك الجسم الهائل ، وبرز خلفه المجرمون الثلاثة ، وعلى وجه كل منهم ابتسامة ساخرة ، وقال (رالف) :

ـــ إذن فهذا ما تبقّى من الأرض .

مطّ (جيس) شفتيه ، وقال :

ـــ يا للخسارة !.. كنت أحلم بحكم كوكب أفضل .

أشار (كارلو) إلى عدد من الهمج ، راحوا يتجمّعون عند

الأطلال ، ويتطلّعون إلى سفينة الفضاء فى حذر وخوف ، وقال :

ـــ أهؤلاء كل رعايانا ؟

قال (جيس) فى برود :

ـــ سنكتفى بهم مؤقتًا .

وصوّب مسدّسه الليزرى إلى الأطلال ، وأطلق الأشعة .. وتفجّرت صخور الأطلال ..

وصرخ الهمج ، وراحوا يعدون فى كل مكان ، بلا نظام ، ولكن (كارلو) قال فى جذل :

ـــ الآن تبدأ رحلة الصيد .

وضغط زرًا فى جسم سفينة الفضاء ، فانفتحت كوة صغيرة أسفلها ، وانطلقت منها عشرات الحلقات المغناطيسية ، راحت تطارد الهمج ، وتحيط بأذرعتهم فى قوة ، ثم تحملهم إلى أعلى ، وتنطلق بهم عائدة إلى الكوّة ..

وقهقه (جيس) فى سعادة ، وهو يهتف :

ـــ إنها البداية .. مجرّد بداية ..

وكان على حق ..

إنها البداية ..

* * *

ابتسم (رمزى)، محاولًا التغلّب على توتره، وهو يتطلّع إلى الطريق المقفر أمامه، ويقول لـ(نور):

ـــ من يتصوَّر أن يأتى يوم، نقود فيه مثل هذه السيارة البدائية يا (نور)، بعد سنوات من قيادة السيارات الصاروخية..

أجابه (نور)، وهو ينطلق بالسيارة فى حذر، فوق الطريق غير الممهَّد:

ـــ فلنحمد الله (سبحانه وتعالى)، على أننا وجدنا مثل هذه السيَّارة يا (رمزى)، بعد أن حطَّم الغزاة كل صور الحضارة.

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا، وغمغم:

ـــ بالطبع.

لاذ بالصمت لحظات، ثم شعر بحاجته إلى التحدّث مع (نور)، فالتفت إليه يسأله:

ـــ ما الذى تتوقّع أن نواجهه يا (نور)؟

أجابه (نور) فى حسم:

ـــ أى شئ.

سأله فى اهتمام:

ـــ مثل ماذا؟

رأى حاجبا (نور) ينعقدان فى شدة، وأصابعه تقبض على عجلة القيادة فى قوة، وهو يجيب:

ـــ مثل هذا.

استدار (رمزى) يتطلّع إلى ما ينظر إليه (نور)، وانعقد حاجباه بدوره، عندما رأى أمامه جيشًا صغيرًا من الهمج، يعترض طريق السيارة..

كانت النظرات الوحشية تطلّ من العيون، والشراسة تبرز مع الأسنان والأنياب، وكل همجى يمسك هراوة، أو صخرة كبيرة، ليواجه بها السيارة..

وهتف (رمزى):

ـــ زد من سرعتك يا (نور).

أجابه (نور) فى توتر:

ـــ سنصطدم بهم لو فعلت يا (رمزى).

هتف (رمزى):

ـــ فليكن.. انطلق، مهما كان الثمن.

ولكن طبيعة (نور) تختلف كثيرًا..

إنه يمقت العنف والقتل والدمار..

يمقت كل هذا فى شدة ، تجعله يبذل دائمًا أقصى جهده ، لتفادى أى صورة من هذه الصور ..

وبالذات القتل ..

طيلة عمره وهو يعتبر القتل أبشع الجرائم ..

ووقر هذا فى أعماقه ، حتى صار من المستحيل أن يتخلّى عن الفكرة ..

وفى حزم ، أجاب (رمزى) :

— لا يا (رمزى) .. لن أفعل .

ثم انحرف بالسيارة ، وتجاوز بها حدود الطريق ، وراح يرتجّ معها فى قوة ، وهو ينطلق محاولاً تفادى ذلك الجيش الهمجى الصغير ، وتجاوزه دون قتال ..

ولكن الهمج أطلقوا صرخاتهم الوحشية ، واندفعوا نحو السيارة ..

وصرخ (رمزى) مرة أخرى :

— انطلق يا (نور) .. زد من سرعة السيارة .

لم يدر (رمزى) لحظتها أن (نور) ينطلق بأقصى سرعة ممكنة ، يسمح بها محرّك السيارة القديم ، وأنه يبذل أقصى مهاراته وجهده ، فى محاولة للإفلات من ذلك الهجوم البربرى ..

وألقى الهمج صخورهم وهراواتهم على السيارة ..

وتحطّم الزجاج الأمامى ..

وأصيب جسم السيارة بأكثر من ضربة ، و (نور) ينحرف به فى عنف ، و ...

ووسط كل هذه المخاطر ، انفجر إطار السيّارة ..

انفجر بدوى عنيف ، أفقد السيّارة توازنها ، وأفقد (نور) سيطرته على عجلة قيادتها ، فدارت حول نفسها فى سرعة مخيفة ، ومالت إلى جانبها الأيسر لحظة ، بدا خلالها أنها ستنقلب رأسًا على عقب ، إلا أنها لم تلبث أن عادت إلى توازنها ، وأطلق محركها زمجرة عنيفة مخيفة ، قبل أن يتوقّف تمامًا ..

واتسعت عينا (رمزى) فى ذعر ..

لقد توقّفت السيارة وسط جيش همجى وحشى .. وقاتل .

* * *



٥ — الأباطرة ..

تسلّل ذلك الضباب الهلامى الكثيف يغمر الفراغ، الممتدّ إلى مالا نهاية، ويتصاعد فى بطء وهدوء، فى نفس الوقت الذى بدا فيه ظلّ بعيد، يحاول اختراق الضباب فى صعوبة، وهو يقترب من مجال الرؤية، ويشقّ طريقه فى إصرار ..

ثم اتضحت ملامح ذلك الظلّ البشرى ..

لقد كانت فتاة ..

فتاة جميلة، رقيقة، مدّت يدها إلى الأمام، وكأنما تحاول التشبّث بشىء ما، وهى تقول :

— أمى .. هل تسمعيننى ؟

هتفت (سلوى) فى لهفة :

— (نشوى) .. إننى أسمعك يا بنيتى .. أسمعك .. أين أنت ؟

أجابتها (نشوى) فى يأس :

— إننى هنا يا أمى .. إلى جوارك .. على بعد خطوة واحدة منك، ولكننى لا أستطيع لمسك، أو تقبيلك .

بكت (سلوى)، وهى تقول :

— عودى يا (نشوى) .. لا يمكنك أن تتصوّرى العذاب الذى أحياه، منذ شهدت مصرعك بعينىّ .

قالت (نشوى) :

— أريد العودة يا أمى، ولكننى أعجز عن هذا .

سالت دموع (سلوى) فى حرارة، وهى تقول :

— أعلم هذا يا بنيتى .. أعلم هذا .. من المستحيل أن يعود البشر، بعد لقاء ربّهم .

هتفت (نشوى) :

— لست حيث تظنوننى يا أماه .. إننى حولكم .. يا إلهى !.. كيف أشرح هذا ؟

ثم بدا الاهتزاز على وجهها، وجسدها يتلاشى تدريجيًا، مع صوتها الخافت، وهى تقول :

— سأترك دليلًا على وجودى يا أماه .. سأبذل أقصى جهدى لأترك دليلًا ..

صرخت (سلوى) :

— لا تذهبى يا (نشوى) .. لا تذهبى يا بنيتى .. عودى يا (نشوى) .. عودى .. عودى .

انتفض جسدها فجأة، على الرغم من رقة تلك الأصابع، التى ضغطت كتفها فى رفق، وفتحت عينيها فى حدة، وحدّقت لحظة فى وجه الدكتور (حجازى)، ثم اعتدلت على مقعدها، مغمغمة فى حرج:

— معذرة يا دكتور (حجازى).. يبدو أن الإرهاق قد هزمنى، فاستسلمت للنوم على هذا المقعد، و...

لم تجد ما تتمّ به عبارتها، وهو يتطلّع إليها بهذه النظرة الأبوية الحنون، فأطبقت شفتيها، وخفضت عينيها أرضًا، وأطلقت العنان لدموعها، مما جعله يربت على كتفيها مشفقًا، وهو يقول:

— إننى أقدّر مشاعرك يا بنيتى.

غمغمت وهى تنتحب:

— إننى أفتقدها كثيرًا يا دكتور (حجازى).

أجابها فى حنان عطوف:

— أعلم هذا يا بنيتى. أعلم هذا.

ثم اعتدل، وأشار إلى شاشة الكمبيوتر، مستطردًا فى حيرة:

— ولكن لماذا فعلت هذا؟

استدارت فى تساؤل إلى شاشة الكمبيوتر، ثم اتسعت عيناها عن آخرهما، وخفق قلبها فى عنف، وهى تتطلّع إلى العبارة المرتسمة فوقه، والتى تقول فى اقتضاب:

— أنا هنا.

ثم توقيع هوى له عقلها..

توقيع ابنتها (نشوى)..

* * *

كان موقف (رمزى) و (نور) عسيرًا بحق، فلقد توقّفت بهما السيارة وسط جيش وحشى همجى، متعطش للدماء، وهما لا يملكان سوى مسدسين من مسدسات الليزر فحسب..

وفى اللحظة التالية، كان هناك شلال شرس من البشر ينهمر عليهما..

وكان عليهما أن يقاوما..

بأى ثمن..

وبلا تردد، انتزع (رمزى) مسدسه الليزرى، وأطلق الأشعة القاتلة على أقرب همجى إليه، ورآه ينتفض انتفاضة عنيفة، ثم يسقط صريعًا، فتطؤه أقدام رفاقه بلا رحمة أو هوادة، وهم يواصلون اندفاعهم نحو السيارة..



وبلا تردد ، انتزع (رمزى) مسدسه الليزرى ، وأطلق الأشعة القاتلة على أقرب همجى إليه ..

أما (نور) ، فقد قفز خارج السيارة ، حاملاً مسدسه الليزرى ، ولكنه لم يطلق منه طلقة واحدة على المهاجمين ، وإنما لكم أقربهم إليه لكمة قوية ، ثم استدار يضرب آخر بكعب مسدسه ، واعتدل يواجه هجومًا ثالثًا ورابعًا وخامسًا ..

ولكن الكثرة تغلب الشجاعة ، كما تقول الأمثال ..

وهذا ما حدث ..

لقد وجد (نور) نفسه محاطًا بهؤلاء الهمج ، الذين يطلقون صرخات وحشية مخيفة ، وعيونهم تشتعل بنظرات شرسة ، أشبه بنظرات حيوانات مفترسة جائعة ، وقعت على فريسة دسمة ..

وعلى الرغم من مقاومته المستميتة ، نجح الهمج فى انتزاع مسدسه الليزرى ، وألقوه بعيدًا ، ثم أمسكوا قدميه وذراعيه ، وحملوه فى وحشية إلى صخرة قريبة ، طرحوه فوقها ، فى حين رفع أحدهم فأسًا حجرية ، استعدادًا لتحطيم رأسه ..

وفى نفس اللحظة كان (رمزى) قد انهار ، تحت ضربات مهاجميه ، الذين جردوه من سلاحه بدورهم ، وقيدوه بأيديهم وأذرعتهم ، ثم حملوه إلى نفس الصخرة ..

وتوقف الزمن لحظة ، ارتفع فيها فأسان حجريان ، وتجمدًا

فى الهواء، مع هتاف وحشى أطلقه الهمج جميعًا، فى صوت يصمّ الآذان، وتنخلع له القلوب..

وأدرك (رمزى) أنها النهاية لا ريب، فصرخ:

ـــ الوداع يا (نور).. الوداع.

وهوت الفأس الحجرية على رأسه..

* * *

استرخى الأمريكى (جيس) فوق مقعد خشبى ضخم، من المقاعد الأثرية، فى قلعة (قايتباى)، ونفث دخان سيجاره الضخم فى غرور، وهو يتطلّع إلى الهمج، الذين أحيطت أقدامهم بالأغلال، وراحوا ينظفون المكان، ويعدّونه للسكنى، تحت تهديد ضربات سوط كهربائى، يحمله (كارلو)، الذى راح يضرب السوط فى الهواء، فتصدر عنه فرقعة مخيفة، وتنبعث من طرفه شرارات مضيئة، ترتجف لها قلوب الهمج، فيواصلون عملهم فى رعب..

وقهقه (جيس) ضاحكاً، وهو يشير إلى المشهد، قائلاً لـ(رالف):

ـــ عظيم.. هذا ما كنت أحلم به طيلة عمرى.. أن أحيا فى قلعة ضخمة، يخدمنى فيها عدد من الصبية.. وها هو ذا الحلم يتحقّق.. أليس كذلك يا عزيزى (رالف)؟

مطّ (رالف) شفتيه فى ازدراء، وهو يقول:

ـــ لم أحلم بهذا أبدًا.

ثم ضمّ قبضته، مستطردًا:

ـــ وإنما حلمت دومًا بالقوة.. القوة المطلقة.

عاد (جيس) يشير إلى ما يحدث، هاتفًا:

ـــ وها هى ذى ملك يمينك يا رجل.

هوى سوط (كارلو) الكهربائى، فى اللحظة نفسها، على ظهر أحد الهمج، فأطلق المسكين صرخة ألم هائلة، وانتفض جسده فى قوة، ثم سقط أرضًا، وراح ينتفض فى شدة، فانكمش الآخرون فى رعب، وهم يحدقون فيه، ولكن (كارلو) فرقع سوطه فى الهواء، وهو يصرخ بهم:

ـــ إلى العمل أيها الحقراء.. عودوا إلى العمل.

أسرعوا ينفذون أوامره فى ذعر، فابتسم (جيس) فى زهو، وهو يقول لـ(رالف):

ـــ أرأيت؟.. إننا السادة هنا، بلا منازع.

عاد (رالف) يقلب شفتيه فى ازدراء، وقال:

ـــ سادة على من؟

لم يفهم (جيس) ما يعنيه (رالف)، فحدّق فى وجهه لحظة فى تساؤل، ثم هزّ كتفيه، وكأنما الأمر لا يعنيه، وسأله:

— هل وضعت أسلحة السفينة فى مواضعها ، حول أسوار القلعة ؟

أومأ (رالف) برأسه إيجابًا ، وقال :

— نعم .. لقد أحطت القلعة بجدار كهرومغناطيسى قوى ، لن تخترقه حتى القنابل النووية ، ووضعت أربعة مدافع ليزر فوق الأبراج الأربعة ، وجهاز التقــاط قوى فوق البرج الرئيسى ، وآلات تصوير فى كل مكان ، وربطت كل هذا بالكمبيوتر الرئيسى ، فى القبو .

ثم لوّح بكفه ، مستطردًا :

— ولكن فيمَ كل هذا ؟.. إننا نواجه مجموعة من الهمج فحسب .

هزّ (جيس) كتفيه ، وقال :

— من يدرى ؟.. أليس من المحتمل أن يظهر آخرون ؟

عقد (رالف) حاجبيه ، مفكرًا فى هذا الاحتمال ، ثم لم يلبث أن هزّ كتفيه ، وقال :

— بلى .. ربّما يظهر آخرون .

وفى أعماقه تمنّى أن يظهر خصوم أقوياء ، حتى يمكنه أن يستمتع بالقتال ..

وبإراقة الدماء ..

* * *

فى اللحظة التى بدأت فيها الفأس الحجرية رحلة هبوطها القاتل ، نحو رأس (رمزى) ، انبعث ذلك الأزيز الحاد فى الهواء ..

أزيز متصل ، صحب خيطًا متألقًا من الأشعة الزرقاء ، قبل أن يرتطم هذا الخيط برأس حامل الفأس ، ويخترقه بلا هوادة ..

وجحظت عينا الرجل ، وسقطت الفأس من يده ، وسقط هو جثة هامدة ، فوق (رمزى) ، الذى اتسعت عيناه فى دهشة ، واحتبست الكلمات فى حلقه ، وهو يحدّق فى العينين الجاحظتين ، الخاليتين من الحياة ، فى نفس الوقت الذى انهالت فيه خيوط الأشعة على الهمج ..

وسقط القتلى فى سرعة مدهشة ، وساد الهرج والمرج ، وتخلّى الهمج عن (نور) و (رمزى) ، وراحوا يعدون بلا نظام ، ويتخبط بعضهم ببعض من شدة الرعب ، فى حين واصلت الأشعة الزرقاء حصدهم بلا رحمة ، فهتف (نور) ، وهو يهبّ واقفًا على قدميه :

— ما الذى يحدث هنا ؟

أزاح (رمزى) جثة الرجل الملقى فوقه، ونهض يقول فى توتر:

ـ لست أدرى، ولكن من المؤكد أنه هناك شخص أو أشخاص عاقلون هنا.

توقف سقوط الأشعة، مع خلو المكان من المسخ الأحياء، وازدحامه بجثث القتلى، وهنا برز رجل من خلف تل قريب، ورفع يده ببندقية ليزر، وهو يهتف:

ـ أأنتما بخير؟

لم يجب (نور) و(رمزى)، وإنما حدقا فى وجه القادم فى ذهول، وهو يهبط التل فى هدوء ولا مبالاة، مرتديًا زيًّا زرقًا، وممسكًا بندقيته الليزرية، وسيجارة بين شفتيه..

كان رجلًا فى أوائل الأربعينيات من عمره، كث الحاجبين، بارد الملامح، يميل رأسه إلى الصلع قليلًا..

وهتف (رمزى):

ـ يا إلهى.. لم أتصور وجود أحياء عقلاء غيرنا.

سمع الرجل عبارة (رمزى)، وهو يقترب منهما، فارتسمت على شفتيه ابتسامة باردة، وهو يقول:

ـ أنا أيضًا لم أتصور هذا.

ثم مد يده يصافحهما، مستطردًا:

ـ اسمى (أكرم)، مساعد مهندس ثالث، فى هيئة المناجم.

أشار (نور) إلى صدره، قائلًا:

ـ أنا (نور)، وهذا رفيقى (رمزى).

هتف (أكرم)، فى لهجة أقرب إلى السخرية:

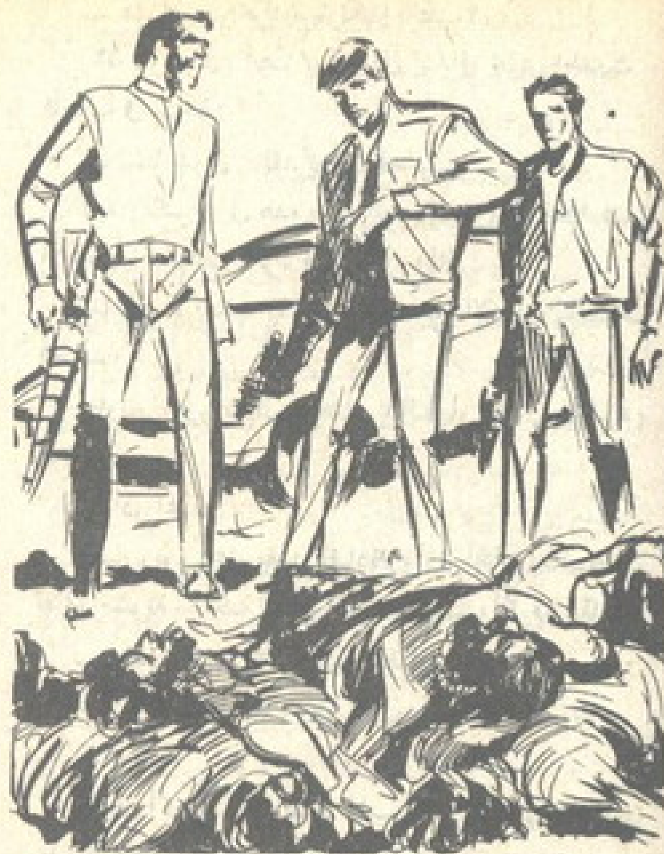
ـ (نور) و(رمزى).. بطلا التحرير.. يا إلهى!.. لقد تصورت أنكما فقدتما عقليكما؟ مع من فقدوا عقولهم.. هل يروق لكما ما أوصلتما الأرض وسكانها إليه، بعد حرب التحرير العظيمة؟

ظهر الضيق على وجه (رمزى)، فى حين قال (نور) فى صرامة:

ـ لن نناقش هذا الآن يا (أكرم).. أخبرنى أولًا: كيف نجوت من تأثير قنبلة (جاما)؟

هز (أكرم) كتفيه، وقال:

ـ لست أدرى كيف، فكل ما أذكره هو أننى هاجمت أحد الغزاة، واشتبكت معه فى قتال عنيف، سقطنا خلاله فى بئر أحد المناجم، ومع السقطة انكسر عنقه، فلقى مصرعه فى



قال (نور) فى حدة ، وهو يشير إلى عشرات الجثث حوله :
ــ وهل تعلَّمت أن تقتل البشر بلا رحمة ؟

الحال ، فى حين وجدت أنا نفسى سجينا داخل البئر ، وفى أثناء محاولاتى للخروج ، دوى انفجار مكتوم ، ارتج له مخى داخل جمجمتى ، فهويت فاقد الوعى ، ولا ريب أننى قد استغرقت فترة طويلة ، قبل أن أستعيد وعيى ، فلقد استيقظت لأجد نفسى مغمورًا بأتربة المنجم ، فواصلت محاولة خروجى من البئر ، وفاجأنى ما وجدت الأرض عليه ، وأرعبنى ما أصاب سكانها ، ثم لم ألبث أن تكيفت مع الوضع ، وقررت أن أقاوم لأحيا .. وهأنذا .

قال (نور) فى حدة ، وهو يشير إلى عشرات الجثث حوله :

ــ وهل تعلَّمت أن تقتل البشر بلا رحمة ؟

ابتسم (أكرم) فى سخرية ، وقال :

ــ هل كنت تفضِّل أن أتركهما لهم ؟

هتف (نور) غاضبًا :

ــ كانت تكفى إصابة أو إصابتان ، لبث الرعب فى قلوبهم أو ...

قاطعه (أكرم) فى ضجر :

ــ فليكن .. افعل هذا ، عندما نتبادل الأدوار .

وقبل أن يسمح لـ (نور) بالاستطراد ، التفت إلى السيارة ، مستطردًا :

— هل أصيب محرّك سيارتكما بعطب ؟

كان (رمزى) أيضًا يرغب فى إبدال مجرى الحديث، فأجاب فى سرعة :

— لسنا ندرى .. لقد توقّف فحسب .

اتجه (أكرم) فى هدوء إلى السيارة، ورفع غطاءها الأمامى، ثم فحص المحرّك فى سرعة، وقال :

— لا .. لم يصب بعطب، سنصلح الإطار التالف فحسب .

تعاونوا على إبدال الإطار التالف، ثم قال (أكرم) لـ(نور) :

— أدر المحرّك .

جلس (نور) على مقعد القيادة، وأدار المحرّك، فاستجاب له فى خشونة، ولكنه انطلق يعمل، فابتسم (أكرم)، قائلاً :

— رائع .. لدينا الآن وسيلة انتقال .

عقد (نور) حاجبيه، وهو يقول :

— لدينا ؟!

أجابه (أكرم)، وهو يفتح الباب الخلفى للسيارة، ويجلس على الأريكة، واضعًا بندقيته الليزرية على ركبتيه :

— بالطبع .. لقد سئمت الوحدة، وسأصحبكما إلى أى مكان تذهبان إليه .

سأله (نور) :

— أتعلم وجهتنا، وطبيعة مهمتنا ؟

لوّح بكفه، قائلاً فى مرح :

— إنكما بطلان، ولا ريب أنكما تنطلقان لإنقاذ بعض العقلاء من خطر داهم، أو البحث عن وسيلة لإعادة العقل إلى سكان كوكب الأرض .. أعلم هذا .. لقد قرأت عشرات من الروايات الشبيهة فى صباى .. هيا .. سأشارككما مهمتكما .

تبادل (نور) و (رمزى) نظرة دهشة، ثم عاد (نور) يتطلّع إلى (أكرم)، قائلاً :

— يبدو أنك لا تدرك بالفعل خطورة مهمتنا .. إننا لن نواجه مجرّد قبائل همجية، بل نوعًا خاصًا من الهمج، تحوّلوا بسبب نقص الغذاء إلى ..

قاطعه (أكرم) بابتسامة ساخرة :

— أعلم ما تحوّلوا إليه، وإلا فلماذا تتصور أننى تركت كل هذه الجثث خلفنا ؟

ومال نحوه، مستطردًا :

— إننى أؤمِّن غذاءً مجانيًا لهؤلاء الأوغاد ، حتى يكفوا عن مطاردتنا .

انتفض (رمزى) فى اشمئزاز ، فى حين هتف (نور) فى حنق :

— ياله من رجل !

تراجع (أكرم) ، قائلًا فى صرامة :

— إننى رجل واقعى يا بطل التحرير ، قضيت الشهور الثلاثة الأخيرة وحيدًا ، وسط عالم وحشى ، أنام بعين نصف مغمضة ، وأشك فى كل حجر يعترض طريقى ، وأواجه الخطر والموت فى كل لحظة ، ولقد شاهدت بعينى أهوالًا ، يشيب لها الوليد فى بطن أمه ، وبقائى على قيد الحياة يعنى أننى قاتلت بكل قوة وشراسة ، دفاعًا عن حياتى ، ولم أكتف بترديد حكم وأقوال مثالية .. هل فهمت الآن لماذا أتعامل بهذا الأسلوب ؟

مضت لحظة من السكون ، قبل أن يقول (رمزى) :

— أنت على حق يا رجل .

ثم التفت إلى (نور) ، مستطردًا :

— لقد قضينا نحن هذه الشهور الثلاثة فى مقر سرى مكيف الهواء ، مجهز بكل وسائل الرفاهية ، وعلى بابه يقف (س ١٨) ، بكل قوته وقدراته ، لحمايتنا والذود عنا ، وعلى

الرغم من هذا توترت أعصابنا فى شدة ، وأصبحنا لا نحتمل النقاش ، فما بالك بما عاناه (أكرم) .

صمت (نور) لحظات ، وهو يتطلع إلى وجه (أكرم) ، ثم لم يلبث أن قال فى حزم :

— فليكن .. ستصحبنا يا (أكرم) .

وأمسك عجلة القيادة ، مستطردًا فى نفس اللهجة :

— هيا بنا ، فقد أضعنا وقتًا ثمينًا .

وعندما انطلقت السيارة هذه المرة ، لتواصل رحلتها ، كان هناك فرد جديد قد أضيف إلى الفريق ..

وإلى الأمل ..

* * *

قطع (محمود) ممر مركز القيادة الطويل فى خطوات سريعة ، وهتف وهو يدلف إلى حجرة الاتصالات والكمبيوتر ، حيث تجلس (سلوى) مع الدكتور (حجازى) :

— ماذا حدث يا (سلوى) ؟.. لماذا طلبت حضورى بهذه السرعة ؟

هتفت (سلوى) فى انفعال ، وهى تشير إلى شاشة الكمبيوتر :

اقرأ هذه العبارة .

انعقد حاجباه ، وهو يقرأ العبارة ، التى تحمل توقيع (نشوى) ، ثم قال فى حدة :

ـ من فعل هذا ؟

سألته بكل انفعالها :

ـ ما رأيك أنت ؟

لوّح بكفه ، هاتفًا :

ـ رأيى أنها دعابة سخيفة ، يستحق صاحبها العقاب .

صاحت فى صوت مرتجف ، وهى تشير مرة أخرى إلى الشاشة :

ـ بل هى رسالة وعلامة يا (محمود) ، تلقيتها من ابنتى (نشوى) .. إنها تستغيث بنا لإنقاذها ، وإعادتها إلينا .

قال فى صرامة :

ـ لا تتشبثى بهذه الفكرة يا (سلوى) ، ولا تفقدى إيمانك بالله (سبحانه وتعالى) .. كلنا نعلم أن الموتى لا يعودون إلى الحياة ، إلا فى يوم الحشر ، ومن الخطأ أن يدفعنا حزننا على موتانا إلى الاقتناع بالعكس ، أو بقدرة البشر على إعادة الحياة إلى من رحلوا ، مهما بلغ تقدمنا وبلغت علومنا .

هتفت مرة أخرى :

ـ إننى لا أتشبث بشىء يا (محمود) ، ولكن حاول أن تجد تفسيرًا لهذه العبارة .. لقد استيقظت من نومى لأجدها على شاشة الجهاز ، دون أن يدخل أى مخلوق إلى الحجرة ، سوى الدكتور (حجازى) ، الذى فوجئ بوجودها أيضاً ، فمن كتبها إذن ؟

أجابها فى حزم :

ـ لو سألت (رمزى) هذا السؤال ، لأجاب بأنك أنت فعلت يا (سلوى) .

تراجعت هاتفة فى ذهول :

ـ أنا ؟!.. هل تتهمنى بتلفيق هذا ؟

أجابها فى حدة :

ـ لا يا (سلوى) .. لست أتهمك ، ولكننى أقول إنك فعلت هذا دون شعور منك ، فى أثناء نومك .. لقد دفعك عقلك الباطن إلى كتابتها ، فى محاولة لإقناع نفسك بأن ابنتك لا تزال على قيد الحياة .. أراهن أنك كنت تحلمين بها ، قبل أن يحدث هذا .. أليس كذلك ؟

اتسعت عيناها فى هلع ، دون أن تجيب :

إنه على حق..

لقد كانت تحلم بها قبل هذا..

فهل هي التي كتبت هذه العبارة؟..

قبل أن يجيب عقلها عن السؤال، ارتفعت ضجة قوية في المكان، ودوى صفير الإنذار، فهتف الدكتور (حجازى):

ــ يا إلهي!.. إننا نتعرّض إلى هجوم عنيف.

اندفع إلى شاشة الراصد، و(محمود) يقول:

ــ من الواضح أنه هجوم قوى للغاية. فكل أجهزة الإنذار تنطلق في آن واحد.

أشعل الدكتور (حجازى) شاشة الراصد، وهو يهتف:

ــ ترى هل عاد الغزاة مرة أخرى؟ أم..

بتر عبارته بغتة، وهو يحدّق في الشاشة بذهول، واتسعت عينا (محمود) في ذعر، في حين هتفت (سلوى):

ــ يا إلهي!.. مستحيل!

فقد نقلت إليهم شاشة الراصد صورة ذلك المهاجم الشرس، الذي لم يكن سوى حارسهم الأمين..

(س ١٨).

* * *

٦ ـ الأشرار..

التقط الدكتور (رشاد) علبة طعام محفوظ، وهو يتنهّد، ويتطلّع إلى علبة أخرى، بقيت منفردة، داخل دولاب الطعام، وقال:

ــ ها هي ذى العلبة قبل الأخيرة.. يبدو أنك تسرف في تناول الطعام يا (رشاد).

فتح العلبة بأداة قديمة، بدأ الصدأ يرسم توقيعه على أطرافها، وأفرغ نصف محتوياتها في حرص شديد، وهو يقول:

ــ حذار من استهلاك الطعام في كثرة، فلا أحد يعلم متى تأتى النجدة.

كانت كمية الطعام أمامه ضئيلة للغاية، ولكنه راح يلتهمها في بطء، وهو يغمغم:

ــ هيا، فلنحرص أشدّ الحرص على الطعام، وإلا اضطررنا للخروج، وأصبحنا طعامًا لهؤلاء الوحوش.

انتهى من تناول كمية الطعام الضئيلة في دقيقة واحدة،

وربّت على معدته، وهو يشعر بالجوع، ثم تنهّد مرة أخرى، وقال:

ـ لا بأس.. كثرة الطعام تسبّب عشرات الأمراض.

نهض فى توتر، يدير عينيه فيما حوله، ثم اتجه إلى جهاز الإرسال اللاسلكى، الذى صنعه مؤخرًا، وربّت عليه، قائلًا لنفسه:

ـ تُرى متى يأتى (نور) ورفاقه، لإخراجى من هنا؟.. هل ينجحوا فى هذا، أم تضمنا معًا قائمة طعام واحدة، على مائدة أكلة البشر هؤلاء؟

لم يستطع مقاومة ذلك القلق المتصاعد فى أعماقه، فجلس أمام جهاز الإرسال، وضغط أزراره، ثم أمسك سماعة، وقال:

ـ هنا الدكتور (رشاد).. ما زلت فى انتظار النجدة.. ما زلت فى انتظار النجدة.

كرّر هذه العبارة عدة مرات، حتى أصابه السأم، فأغلق جهاز الإرسال، دون أن ينتظر جوابًا، وقال:

ـ الآن ليس أمامى سوى الانتظار.

وزفر فى عمق، مستطردًا:

ـ كالمعتاد.

* * *

ساد الصمت لفترة طويلة، داخل سيارة (نور)، وهى تعبر الطريق الصحراوى القديم، وإن بدا ركابها الثلاثة شديدى اليقظة والانتباه، يراقبون الطريق فى حرص وحذر، و(أكرم) يضع إصبعه على زناد بندقيته الليزرية طوال الوقت، فى تأهّب تام، حتى بلغت السيّارة مشارف (الاسكندرية)، فقال (أكرم) فى هدوء:

ـ احترس وأنت تدخل المدينة، فعلى عكس الصحراء، تكتظّ المدن بهذه الوحوش الآدمية.

قال (نور) فى غلظة:

ـ لا تنس أن هذه الوحوش الآدمية مجرّد ضحايا.. لقنبلة أطلقها إمبراطور الغزاة.. قبل رحيله.

هزّ (أكرم) كتفيه، وقال:

ـ ليس المهم أن أقتنع أنا بهذا، بل أن يقتنعوا هم.

همّ (رمزى) بمناقشة (أكرم)، لولا أن أصدر محرّك السيارة صوتًا مزعجًا، وترجرجت السيارة عد مرات، فأوقفها (نور)، وهو يقول:

ـ لقد نفد الوقود.. يبدو أننى لن أعتاد أبدًا قيادة هذه السيارات القديمة، التى تحتاج إلى الوقود باستمرار، بعد

قيادتى السيارات الصاروخية، ذات الوقود النووى، الذى لاينضب أبدًا تقريبًا .

قال (أكرم) فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـــ هناك أمور عديدة ينبغى أن تعتادها يا بطل التحرير .

ثم حمل وعاء الوقود، وهو يستطرد :

ـــ أظن هذا هو الوقود الاحتياطى .. أليس كذلك ؟

غادر (رمزى) السيّارة، وهو يقول :

ـــ بلى .. هو كذلك .

خرج (أكرم) من السيارة بدوره، وهو يحمل وعاء الوقود، وقال ساخرًا :

ـــ أتظنان أن هذا الوقود يكفى رحلتى الذهاب والعودة .

أجابه (نور) فى خشونة :

ـــ هذه كل كمية الوقود، التى أمكننا الحصول عليها .

هتف فى سخرية، وهو ينزع غطاء الوقود بالسيارة :

ـــ عظيم .

وفجأة شق الهواء صفير حاد، وانغرس رمح حاد فى وعاء الوقود، وهتف (أكرم) :

ـــ اللعنة .

وفى نفس اللحظة رأى (نور) أحد الهمج يبرز أمامه، حاملًا رمحًا مماثلًا، ألقى به فى عنف نحو زجاج السيارة الأمامى ..

ونحو جسد (نور) مباشرة ..

وانحنى (نور) فى حركة غريزية حادة، وسمع صوت تهشم زجاج السيارة، وتناثرت بعض قطعه المكسورة عليه، فى نفس اللحظة التى انغرز فيها الرمح فى مقعده، فوق رأسه بسنتيمترات قليلة، وانطلقت صرخة الهمج، وهم يهاجمون السيارة ..

وقفز (نور) خارج السيارة، وحطّم فك أقرب المهاجمين إليه، بلكمة كالقنبلة، ثم ركل ثانٍ فى معدته، فى نفس اللحظة التى أخرج فيها (رمزى) مسدسه، وأطلق أشعته على عدد آخر من المهاجمين، واندفع (أكرم) نحو السيارة، يختطف بندقيته الليزرية، وهو يهتف :

ـــ تبًا لكم، أيها الوحوش الآدمية .

وانتزع البندقية فى عنف، وانهال بأشعتها على الصدور والرءوس بلا رحمة ..

ولكن عدد المهاجمين كان هائلًا هذه المرة ..

كانوا يتوافدون بالعشرات، حتى لقد اضطرّ (نور) إلى استخدام مسدسه، وإطلاق النار عليهم مباشرة ..

وخُيِّل لـ(رمزى) أنه كلما سقط واحد منهم، برز بدلًا منه ثلاثة، عاودوا الهجوم فى شراسة أكثر..

وفى هذه المرة، كان من الواضح أن المقاومة لن تجدى.. وأنها النهاية..

* * *

شعرت (سلوى) برعب هائل، وهى تتابع على شاشة الراصد (س ١٨)، الذى أخذ يحطّم الأبواب بقبضتيه الفولاذيتين، ويتقدّم فى بطء نحو المقر، وتراجعت هاتفة:

ــ ماذا أصابه؟

هتف الدكتور (حجازى):

ــ إنه ذلك الشىء فى أعماقه.. إنه ذلك الشيطان حتمًا.

بدا (محمود) كالمأخوذ، وهو يحدّق فى شاشة الراصد، قائلًا:

ــ أوهى أشعة (جاما).. إننا نجهل الكثير من تكوين هذا الآلى، وربما أفسدت قنبلة (جاما) بعضًا من آلاته.

صاحت (سلوى):

ــ ولكنه لم يتعرّض للقنبلة مباشرة.. لقد كان معنا، داخل القاعة الإمبراطورية، عندما انفجرت القنبلة.

قال (محمود):

ــ ولكن أشعة (جاما) لم تتلاش كلها من جو الأرض، وربّما..

ارتجّت قاعة الاتصالات كلها، فى هذه اللحظة، وهتف الدكتور (حجازى)، وهو يتابع شاشة الراصد:

ــ لقد اخترق (س ١٨) دفاعات المقرّ كلها، وها هوذا يتجه إلينا مباشرة.

أسرع (محمود) يلتقط جهاز اتصال صغير، وهو يقول فى توتر:

ــ من القيادة إلى الفريق الطبى.. تراجعوا إلى المقرّ الاحتياطى.. إننا نتعرّض لهجوم شرس.. تراجعوا على الفور.

نقلت إليه شاشات الرصد ذلك التوتر، الذى ساد الجناح الطبى، وهم يتراجعون إلى المقر الاحتياطى فى فزع، ويحاولون حمل ما يمكنهم حمله من آلاتهم ومعداتهم، فى حين هوت قبضة (س ١٨) على الباب المعدنى الأخير، الذى يفصله عن حجرة الاتصالات، فهتفت (سلوى):

ــ ألا ينبغى أن نتراجع بدورنا؟

أجابها فى توتر:



وبحركة حادة مباغتة ، انقضت قبضته على عنق (سلوى) ،
التي أطلقت صرخة ذعر هائلة ..

ــ نعم .. ينبغى أن نفعل ، وأن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انهار الباب المعدنى ، تحت ضربات (س ١٨) ، الذى بدا خلفه بوجهه الأخضر الجامد ، وثوبه الأحمر الزاهى ، وصرخت (سلوى)

ــ يا إلهى !.. فات وقت الفرار ..

تراجعت مع (محمود) والدكتور (حجازى) ، فى حين اتجه (س ١٨) نحوهم مباشرة ، وهتف (محمود) :

ــ توقّف يا (س ١٨) .. توقّف بالله عليك .

ردّد (س ١٨) عبارته التقليدية :

ــ (س ١٨) فى خدمتك يا سيّدى .

ولكنه لم يتوقّف ، وإنما واصل تقدّمه نحوهم ..

وبحركة حادة مباغتة ، انقضت قبضته على عنق (سلوى) ، التى أطلقت صرخة ذعر هائلة ، عندما حملها (س ١٨) من عنقها ، وراحت تضرب الهواء بقدميها فى عنف ، وحاول الدكتور (حجازى) إنقاذها ، وهو يهتف :

ــ ماذا أصابك يا (س ١٨) ؟

ولكن (س ١٨) ضربه بيده اليسرى ضربة خفيفة ، بدت له أشبه بهراوة ثقيلة ، أصابت رأسه ، وألقته فاقد الوعى ، وهتف (محمود) فى هلع :

— ماذا أفعل ؟.. يا إلهى !.. ماذا أفعل ؟

كان يشعر بعجز هائل، فى مواجهة الآلى الأطلنطى الخارق، الذى تطلّع إلى عينى (سلوى) بعينين جامدتين، حمراوين كالدم، قبل أن يرفع يده اليسرى، ويتراجع بقبضتها إلى الخلف..

واتسعت عينا (سلوى) فى رعب، وهى تستعيد ذلك المشهد، الذى نقلته إليها شاشة الراصد منذ ساعات، لـ(س ١٨)، وهو يقتل الهمجى..

وبدا لها موقفها شديد الشبه بذلك المشهد..

وتعلّقت عيناها بقبضة (س ١٨)، وهى تتراجع فى قوة، ووجدت نفسها تصرخ:

— النجدة يا (نور).

ثم هوت قبضة (س ١٨)..

* * *

ارتسمت ابتسامة مزهوّة واسعة، على شفتى الإيطالى (كارلو)، وهو يفرقع سوطه الكهربائى فى الهواء، فى مواجهة مجموعة الهمج المقيدين بالأغلال، الذين انكمشوا فى رعب، مصطفين عند الحائط، وقال ملوّحًا بكفه:

— عظيم.. لقد أديم عملًا رائعًا أيها الجرذان الحقيرة.. لقد أصبحت هذه القلعة القديمة صالحة للسكنى.

قهقه (جيس)، وقال:

— أخيرًا أصبحت لنا قلعة حصينة.

ثم أشار إلى الهمج، مستطردًا:

— لاتنس مكافأة العبيد

ابتسم (كارلو)، قائلًا:

— وكيف أنسى هذا؟

واتجه فى رصانة إلى صندوق معدنى كبير، أزاح غطاءه، والتقط من داخله قطعة لحم كبيرة، ألقاها نحو الهمج، هاتفًا:

— هيا.. كلوا أيها الجرذان.

اندفع الهمج نحو قطعة اللحم، وراحوا يلتهمونها فى شراهة، فقهقه (جيس) مرة أخرى، وقال:

— هيا.. اطعمهم تربحهم.

كان يراقبهم فى استخفاف، عندما اندفع (رالف) إلى القاعة، هاتفًا:

— لقد تلقيت رسالة لاسلكية.

التفت إليه (جيس) و(كارلو) فى دهشة، وهتفا فى آن واحد:

— رسالة لاسلكية؟!

ثم عقد (جيس) حاجبيه، وقال:

— أتعنى أنك قد كشفت وجود مخلوق عاقل، وسط كل هذه الأطلال.

هتف (رالف):

— بالتأكيد.. انظرا.

وضع أمامهما ورقة مطبوعة، من أوراق الكمبيوتر، فتطلّعا إليها فى دهشة، وقال (كارلو) فى حيرة:

— من الدكتور (رشاد) هذا؟

برقت عينا (رالف)، وهو يقول:

— لو صحّ تخمينى، فهو واحد من أشهر وأذكى علماء الأشعة، فى العالم أجمع.. أعنى فى عالم ما قبل الغزو.

سأله (جيس) فى حدة:

— وكيف احتفظ بعقله، وسط كل هذا؟

لوّح (رالف) بذراعه، هاتفًا:

— ليس هذا هو المهم.. المهم أنه هنا، على بعد أمتار منا.

هتف (جيس):

— فليذهب إلى الجحيم.

صاح (رالف):

— بل فلنأت به إلى هنا.

سأله (كارلو) فى استنكار:

— وماذا نفعل به؟

صاح:

— نبنى به امبراطوريتنا.

قال (جيس) فى سخرية:

— أكثر من هذا.

عقد (رالف) حاجبيه، وهو يقول فى حدة:

— ما هذا الذى تشير إليه؟!.. أتتصوّر أننا قد أصبحنا أباطرة، بمجرّد أننا نجحنا فى السيطرة على بعض الممسخ؟!.. لا يا رجل.. لو أنك تتصوّر هذا فأنت واهم.. إننا لن نصبح أباطرة بحق، إلا وسط عالم عاقل، يخضع لنا، ويمنحنا الإحساس بالقوة والعظمة.. لن نشعر بتفوّقنا، إلا فى وجود عالم حقيقى.

هتف (جيس) فى ازدراء:

— وهل سيصنع لنا (رشاد) هذا عالمنا الحقيقى؟

أجابه (رالف) فى حزم:

— بالتأكيد .
سأله في حدة :
— كيف ؟.. أهو ساحر ؟
ابتسم (رالف) ابتسامة غامضة ، وقال :
— بل هو عالم .. عالم عبقري ، وبعلمه نستطيع أن نصنع عالمنا ، وأن نحكمه .
لوّح (جيس) بكفه ، وقال :
— فليكن .. افعل ما يحلو لك ، ما دمت لن تتدخل في حياتي .
وانصرف لا يلوي على شيء ، في حين التفت (كارلو) إلى (رالف) ، وسأله :
— وكيف يمكن أن يصنع رجل واحد عالمنا ؟
ابتسم (رالف) ابتسامة غامضة مخيفة ، وهو يقول :
— اطمئن يا صديقي .
وتطلّع إلى المسح ، مستطردًا :
— لدي خطة محكمة .
واتسعت ابتسامته أكثر ، وازدادت غموضًا .. وشراسة .

* * *

٧ ـ السباق ..

لم يعد هناك أمل ..
لقد تزايد عدد المهاجمين في كثرة ، وتضاعفت شراستهم ، على الرغم من طلقات الليزر ، ومقاومة (نور) و (محمود) و (أكرم) المستميتة ..
وهتف (رمزي) في يأس :
— لا فائدة .. إنها النهاية هذه المرة .
صاح به (نور) :
— قاتل يا (رمزي) .. قاتل حتى آخر رمق .
أما (أكرم) ، فقد صرخ في غضب :
— اللعنة !.. اللعنة !
ثم سأل (رمزي) في حدة :
— أتحملون طعامًا ؟
أجابه (رمزي) ، وهو يصدّ هجمة همجي آخر :
— بالطبع .. ستجد الكثير منه ، في حقيبة السيارة .

توقّف (أكرم) عن إطلاق النار، والتفت فى سرعة إلى حقيبة السيارة، وفتحها بضربة عنيفة من قدمه، وتطلّع ثانية واحدة إلى قطع اللحم الجافة، والخبز الأبيض، والخضروات التى تملأ حقيبة السيارة، ثم حملها بيديه، وصاح:

— طعام .. طعام أيتها الوحوش الشرسة.

توقّف الهمج عن القتال بغتة، وتعلّقت عيونهم بالطعام الذى يحمله (أكرم)، فتابع هذا الأخير، وهو يلقى الطعام فوق السيارة، ويخرج غيره:

— طعام للجميع .. طعام طازج.

وفجأة اندفع الجميع نحو الطعام، وراحوا يتخاطفونه فى شراسة، وقد نسوا أمر (نور) و(رمزى)، اللذين تطلّعا إلى ما يحدث فى ذهول، حتى صاح بهما (أكرم):

— ابتعدا .. ابتعدا بسرعة.

أخرجتهما صيحته من ذهولهما، فأسرعا يبتعدان عن السيارة، وغمغم (نور) فى أسى، وهو يتطلّع إلى الهمج، الذين أحاطوا بالسيارة كالوحوش الجائعة، يتقاتلون من أجل قطعة لحم جافة، أو كسرة خبز:

— يا للمساكين!

تطلّع إليه (أكرم) فى سخرية، وهو يردّد:

— مساكين؟!

ثم رفع فوهة بندقيته الليزرية، وصوّبها إلى وعاء الوقود المثقوب، الذى سال منه الوقود غزيرًا، حول السيارة، وهو يستطرد:

— خطأ يا بطل التحرير .. إنهم مجرّد وحوش .. وحوش آدمية.

وأطلق أشعته على وعاء الوقود ..

واشتعلت النيران ..

جحيم هائل اشتعل دفعة واحدة، فى الأجساد، والسيارة، والطعام ..

وصرخ (نور):

— ماذا فعلت أيها التعس؟

لم ينبس (أكرم) ببنت شفة، وإنما عقد حاجبيه فى صرامة، فى حين ارتفع صراخ الهمج، وراحوا يعدون فى رعب وألم، وأجسادهم تشتعل بالنيران، وهتف (رمزى):

— إنها جريمة .. جريمة بشعة.

وجذب (نور) (أكرم) من كتفه فى عنف، وهو يهتف:

— أيها المجرم الحقير .

وكال له لكمة عنيفة ، ألقت به أرضًا ، فهتف (أكرم) فى غضب :

— أية جريمة ، تلك التى تتهمنى بارتكابها ؟!

كانت الصرخات تتردَّد حولهم ، وعشرات الهمج يسقطون صرعى ، والنيران ماتزال مشتعلة فى أجسادهم ، فى حين تصاعدت رائحة شواء مفزعة ، فصاح (نور) ، والألم يمزّق نياط قلبه :

— ماذا تسمّى هذا ؟.. أليس جريمة بشعة ؟

نهض (أكرم) هاتفًا :

— كلّا أيها البطل المغوار .. أنت تسميه جريمة بشعة ، أما أنا فأطلق عليه اسم الدفاع الشرعى عن النفس .

أشاح (رمزى) بوجهه فى ألم ، فى حين كاد (نور) يبكى من فرط مرارته ، وهو يقول :

— أى دفاع شرعى هذا ؟.. إنهم مجرّد مجموعة من الجوعى ، الطعام هو هدفهم الوحيد ، ولقد تركونا عندما وجدوه .

— صاح (أكرم) :

— وكانوا سيعودون إلينا مرة أخرى ، عندما ينفد الطعام ، الذى لن يكفى عددهم الضخم حتمًا ، فيعودون إلى مطاردتنا ، ومهاجمتنا ، ونعود نحن للبحث عن وسيلة جديدة للفرار .. لا أيها البطل .. إننى أعلم مالا تعلمه أنت فى هذا الشأن .. أعرف ماسيحدث ، ومايحدث فى كل مرة ، ولست أختفى خلف عبارات أنيقة ومبادئ منمّقة .. إننى واقعى .. هل تفهم ؟.. واقعى .

كانت الصرخات تخفت وتتلاشى ، مع سقوط آخر الصرعى من الهمج ، فربّت (رمزى) على كتف (نور) ، وقال فى مرارة :

— إنه على حق يا (نور) .

التفت إليه (نور) فى حدة ، هاتفًا :

— على حق ؟!

أجابه (رمزى) ، والمرارة تمتزج بالألم والأسى ، فى كل حرف من حروف كلماته :

— نعم يا (نور) .. صحيح أن الصورة الجديدة تؤلمنا ، وتثير حزننا وأسفنا ، ولكن لابد وأن نعتادها ، ونتعامل معها بواقعية ، كما يقول (أكرم) .. أعلم مثلك تمامًا أن هؤلاء الهمج هم أهل الأرض ، وأنهم ضحايا سلاح شيطانى رهيب ، أفقدهم

عقولهم وحضارتهم، ولكن معرفتنا هذه لاتعنى شيئًا، أمام وحشيتهم، وهجومهم الشرس .. إننا أمل الأرض الأخير، كما تقول يا (نور)، ولن يتحقق هذا الأمل، إلا ببقائنا على قيد الحياة، حتى نجد الوسيلة، لإعادة الحضارة والعقول إلى البشر، على وجه الأرض، وهذا يضطرنا إلى القتل أحيانًا، والدفاع عن أنفسنا بكل وسيلة ممكنة.

هتف (أكرم):

ــ ثم أننا لا نقتل لمجرد القتل .. إننا ندفع الضرر عن أنفسنا فحسب.

أشار (نور) إلى الجثث المحترقة، وقال فى أسى:

ــ بهذه الوحشية.

هتف (أكرم) فى حنق:

ــ وهل كانت هناك وسيلة سواها؟

ران الصمت طويلًا على المكان، حتى قطعه (نور)، وهو يقول فى حسم:

ــ حسنًا يا رفاق .. إننى أعترف بضرورة القتال فى بعض الأحيان، ولكننى أصرّ على أن نحاول تفادى القتل والتدمير، بكل وسيلة ممكنة، وألا نلجأ إليهما إلا للضرورة القصوى،

وأن نتذكّر دائمًا أننا نواجه البشر، وليس مجرّد حيوانات مفترسة.

هزّ (أكرم) كتفيه، وقال:

ــ فليكن .. يمكننى أن أحاول هذا.

ساد الصمت لحظات أخرى، قبل أن يقول (رمزى) فى تردّد:

ــ والآن ماذا يمكننا أن نفعل، بعد أن فقدنا السيارة والوقود والطعام؟

أجابه (نور) فى هدوء:

ــ وماذا تتوقع أن نفعل يا عزيزى (رمزى)؟

وأشار إلى الطريق الممتدّ أمامه، مستطردًا فى حزم:

ــ سنواصل رحلتنا.

وكان فى قوله الكفاية ..

* * *

انتفض جسد (محمود)، وأغلق عينيه فى قوة، عندما هوت قبضة (س ١٨) على صدر (سلوى) كالقنبلة، واستعاد ذهنه، فى جزء من اللحظة، مشهد ذلك الهمجى المسكين، الذى هوت قبضة (س ١٨) على صدره، وحطمته تحطيما ..

وانتظر أن يسمع الصوت نفسه ..

صوت عظام (سلوى) وهى تتهشم، تحت القبضة الفولاذية الآلية، ممتزجًا بصرخة ألم رهيبة، تنطلق من حلقها ..

ولكن هذا الصوت لم يأت ..

لم يأت أبدًا ..

وفى دهشة، فتح (محمود) عينيه، وتطلّع إلى (س ١٨)، الذى بدا جامدًا كتمثال من البرونز، قبضته اليسرى على بعد سنتيمترات من صدر (سلوى)، فى حين أحاطت قبضته اليمنى بعنقها، وهى تتعلّق بذراعه، وتقاوم لتخليص عنقها من بين أصابعه الحديدية، قبل أن تختنق ..

وهتف (محمود):

ــ حمدًا لله.

صاحت به (سلوى):

ــ انتزع نفسك من هذا الذهول يا (محمود)، وساعدنى على تخليص نفسى.

انتزع نفسه من ذهوله بالفعل، واندفع نحوها، محاولًا تخليصها، ولكن قبل أن يبلغها بخطوة واحدة، فتح (س ١٨) أصابعه بحركة مباغتة، وترك عنقها، فسقطت أرضًا، وهتف بها (محمود):



ولكن قبل أن يبلغها بخطوة واحدة، فتح (س١٨) أصابعه بحركة مباغتة، وترك عنقها، فسقطت أرضًا ..

— أأنت بخير ؟

أجابته وهي تتطلّع إلى (س ١٨) في حذر :

— في الوقت الحالي ، نعم .

ساعدها على الابتعاد عن الآلي الأخضر ، وهو يقول في حيرة وتوتر :

— ولكن ماذا أصابه ؟

قالت :

— لست أدري .. كادت قبضته تخترق جسدي بالفعل ، ولكنه توقّف بغتة ، و ... أدار (س ١٨) رأسه نحوهما في هذه اللحظة ، فبترت عبارتها في رعب ، وتجمّدت أطراف (محمود) ، وهو يتطلّع إليه في توتر بالغ ، لم يلبث أن تحوّل إلى انتفاضة ، عندما قال (س ١٨) فجأة :

— (س ١٨) في خدمتك ياسيّدي .

ثم استدار بجسده كله ، وغادر المكان بخطواته البطيئة القوية ، و (سلوى) تهتف من خلفه في ذهول :

— ماذا أصابه ؟.. يا إلهي !.. ماذا أصابه ؟

وما من مجيب ..

* * *

لم يشعر الدكتور (رشاد) ، طوال الأشهر الثلاثة الماضية ، بالتوتر ، مثلما شعر به في هذه الساعات ، بعد أن نفدت المؤن كلها تقريبًا ، ولم يعد يملك سوى علبة واحدة صغيرة ، من علب الطعام المحفوظ ، لن تكفيه لأكثر من ساعات معدودة ، لابد أن تصله النجدة خلالها ، أو تبدأ مرحلة جوع تام ، وصيام ممتد إلى مدى لا يعلمه سوى الله (سبحانه وتعالى) ..

وهو لم يعد يحتمل هذا ..

إنه لم يغادر هذه القاعة المحدودة ، منذ انفجار قنبلة (جاما) اللعينة ، ولم ير ضوء الشمس لحظة واحدة ، طوال الشهور الثلاثة الماضية ، ولقد أورثه هذا الكثير من العصبية والتوتر ، وأصاب جلده بجفاف شديد ، وعظامه بوهن لم يعهده من قبل ..

ولكن ما البديل ؟..

إنه لا يستطيع مغادرة مخبئه أبدًا ..

لم يعد يملك القوة والجرأة على أن يفعل ..

لن يمكنه أن يواجه هؤلاء المسخ في الخارج ..

لن يمكنه هذا أبدًا ..

وفجأة انتزعه من أفكاره أزيز خاص ، انطلق من جهاز إنذار صغير ، وسط الأجهزة العديدة ، التي تملأ المخبأ ، فالتفت

إلى الجهاز فى توتر، ثم اندفع نحوه، وضغط زرًا صغيرا، وهو يقول:

— من هناك؟

أتاه صوت خشن جاف، يقول فى صرامة:

— افتح المكان يا دكتور (رشاد).. لقد أتيت لنجدتك.

لم يكـن صاحب الصوت يتحـدث بالعربيـة، وإنما بـ(الاسبرانتو)(*)، كما لم تكن لهجته مما يدعو إلى الثقة أو الارتياح، فقال الدكتور (رشاد) فى توتر وحذر:

— من المتحدث؟

أجابه صاحب الصوت الخشن الجاف:

— أنا الذى أتى لنجدتك، وإخراجك من ذلك القبر الإرادى، الذى تدفن نفسك فيه باختيارك.

سأله الدكتور (رشاد) فى قلق:

— هل أرسلك (نور)؟

قال صاحب الصوت:

(*) الاسبرانتو = لغة ابتدعها (زامنهوف)، واتجه فيها إلى التبسيط، ومزج كل اللغات المعروفة بعضها ببعض، واعترفت بها بعض الحكومات، ونشرت بها مطبوعات عالمية.

— (نور)؟.. (نور) من؟

تراجع الدكتور (رشاد) كالمصعوق، وهوى قلبه بين ضلوعه فى ذعر، وهو يهتف:

— لن أفتح الباب.. لن أفتحه لك أبدًا.

كم تمنى لحظتها لو أن شاشة الراصد تعمل كما ينبغى، حتى يمكنه رؤية وجه محدثه، ولكن هؤلاء الهمج عثروا على آلة الفيديو الخارجية، وحطّموا عدساتها، وأفسدوا الرؤية تمامًا..

ولقد تصوّر، وهو يهتف بعبارته الأخيرة، أنه يجلس داخل حصن منيع، لن تنجح أية أسلحة باقية، بعد الغزو، على اقتحامه، ولكنه لم يكد ينطقها، حتى ارتج باب المخبأ فى قوة، مع الصوت الخشن الجاف، وهو يقول فى سخرية:

— لا داعى يا دكتور (رشاد).. سأفتحه أنا.

التصق الدكتور (رشاد) بالحائط، وهو يقول فى رعب، ضاغطًا أحد أزرار أجهزته:

— من هذا؟.. من أين أتى؟

لم يكد يتم عبارته، حتى تهاوى الباب، إثر طلقة ارتجاجية عنيفة، وظهر على عتبته رجل قوى البنية، فارع الطول، يرتدى

زيًا أشبه بأزياء رواد الفضاء، ويحمل بندقية ضخمة، رفعها فى وجه الدكتور (رشاد)، وهو يقول من خلف خوذته الفضية اللامعة:

ــ مرحبًا يا دكتور (رشاد).. أما زلت تمتلك تلك المعلومات المتفوّقة، عن الأشعة؟

هتف الدكتور (رشاد):

ــ من أنت؟

أشار الرجل إلى صدره، وهو يقول:

ــ أنا رمز العصر الجديد، الذى تشهد الأرض مولده يا دكتور (رشاد).. العصر الذى ستضع أنت لبنته الأولى.

غمغم الدكتور (رشاد):

ــ أى رمز؟.. وأى عصر؟

قال الرجل، وهو يتقدّم نحوه فى بطء:

ــ رمز القوة، وعصر القوة يا رجل.

صاح الدكتور (رشاد)، وهو يلوّح بذراعه فى خوف:

ــ وهل تتصوّر أننى من الممكن أن أعاونك على جعل القوة رمزًا لعصر جديد؟.. لا يا رجل.. أنت واهم.. الرمز الوحيد الذى أؤمن به، ليكون شعارًا لهذا العصر، هو رمز العقل، لا القوة.

بدا الصوت الخشن الجاف أكثر سخرية، وهو يقترب من الدكتور (رشاد) أكثر وأكثر، قائلًا:

ــ سنرى يا دكتور (رشاد).. سنرى.

صرخ الدكتور (رشاد):

ــ ابتعد عنى.

ولكن الرجل أخرج من زيه عصا معدنية صغيرة، وضعها على صدر الدكتور (رشاد)، وهو يكرّر:

ــ سنرى.

وانتفض جسد الدكتور (رشاد) فى عنف، وجحظت عيناه فى شدة، ثم سقط فاقد الوعى، عند قدمى ذلك الرمز.. رمز القوة.

* * *



٨ ـــ الصراع ..

على عكس ما توقع (نور) ورفيقاه، لم تكن رحلتهم، التى قطعوها سيرًا على الأقدام، عبر شوارع وأحياء (الإسكندرية)، أكثر صعوبة من رحلتهم بالسيارة، فى الطريق من (القاهرة) إلى (الإسكندرية)، وإنما كانت أيسر كثيرًا، فلم يواجهوا داخل المدينة سوى عدد من الهمج المتفرقين، يختفون بين الأطلال، ويتابعونهم فى حذر وخوف، مما جعل (رمزى) يهتف:

ـــ يا إلهى!.. يبدو لى أن سيارتنا هى التى كانت تثير غضبهم، وليس نحن.

تمتم (أكرم)، وهو يراقب الأطلال فى حذر وتحفز:

ـــ ربما.

أما (نور)، فقال:

ـــ نظريتك تبدو لى معقولة يا (رمزى)، فلست أظن المناخ هنا يختلف كثيرًا عن المناخ فى (القاهرة)، ثم أننا لم نلتق

بجماعات الهمج، إلا فى أطراف (القاهرة)، ومشارف (الإسكندرية)، أما فى المدن، فلا يوجد سوى بعض الأفراد المتفرقين.

مط (أكرم) شفتيه، وقال:

ـــ لا يا (نور).. لقد قضيت بعض الوقت، داخل أطلال المدن الصحراوية، ولم يكن الأمر شبيهًا بهذا.. أنا واثق من أنه هناك أمر عجيب يحدث هنا.

قال (نور) مبتسمًا:

ـــ المهم أنه يحدث لصالحنا.

قال (أكرم) فى قلق، وهو يتلفت حوله فى توتر:

ـــ من يدرى؟

لم يحاول (نور) الدخول معه فى مناقشة بلا طائل، وإنما أشار إلى ناصية الطريق، قائلًا:

ـــ طبقًا للعنوان، الذى أعطانا إياه الدكتور (رشاد)، سنجد منزله عند المنعطف التالى.

غمغم (أكرم):

ـــ المهم أن نجده هو.

هز (رمزى) رأسه فى أسف، قبل أن يسأل (أكرم):

— أمن المهم أن تكون متشائمًا هكذا ، طوال الوقت ؟

أجابه (أكرم) فى خشونة :

— امنحنى سببًا للتفاؤل .

قال (نور) :

— ألا يكفيك كونك على قيد الحياة ، متمتعًا بكامل قواك العقلية ؟

هزّ (أكرم) كتفيه ، وقال :

— من يدرى ، أنعمة هذه أم نقمة ؟

تمتم (رمزى) :

— يا للتشاؤم !

نطقها وهما يستديران فى المنعطف التالى ، فقال (نور) :

— ها هو ذا منزل الدكتور (رشاد) .

تطلّع الجميع إلى مدخل المنزل المتهدّم ، وقال (أكرم) فى قلق :

— لا يبدو لى أنه يوجد أحياء ، خلف هذه الأطلال .

أجابه (رمزى) :

— إنه يختفى فى مخبأ سرى ، فى قبو منزله .

اكتفى (أكرم) بهزّ كتفيه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وإن

ازدادت قوة امساكه ببندقيته الليزرية ، وهو يعبر الأطلال مع (نور) و (رمزى) ، ويهبط معهما إلى حيث القبو ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه فى قوة ، عندما وقع بصره على باب القبو المحطّم ، وهتف (رمزى) :

— يا إلهى !.. لقد تعرّض الرجل لهجوم عنيف .

اندفع الثلاثة فى انفعال ، إلى المخبأ السرى ، وانحنى (أكرم) يفحص الباب المحطّم فى اهتمام ، فى حين وقف (رمزى) وسط المخبأ ، يدير عينيه فى الأجهزة العديدة ، وقال (نور) فى توتر :

— أخشى أن يكون هؤلاء الهمج قد ..

قاطعه (أكرم) فى حزم :

— لا .. إنهم ليسوا الهمج .

التفت إليه (نور) و (رمزى) فى دهشة وتساؤل ، فأضاف مشيرًا إلى الباب المحطّم :

— هذا الباب تم تحطيمه بأشعة ارتجاجية عنيفة ، وحديثة .

ردّد (رمزى) فى ذهول :

— أشعة ارتجاجية ؟!

فى حين سأل (نور) فى اهتمام :

— كيف يمكنك الجزم ؟



اندفع الثلاثة فى انفعال، إلى المخبأ السرى،
وانحنى (أكرم) يفحص الباب المحطَّم فى اهتمام ..

أجابه فى صوت واثق قوى:

ــ لقد قضيت ثلاثة أعوام من عمرى، أستخدم الأشعة الارتجاجية، فى حفر وتوسيع المناجم، ولن أخطئ أثرها أبدًا.

عقد (نور) حاجبيه، وهو يقول فى قلق:

ــ ولكن هذا يعنى أنه هناك شخص، أو أشخاص آخرون، يتمتعون بكامل عقولهم وحضارتهم، ويملكون أسلحة متطوِّرة، و ...

قاطعه (رمزى):

ــ ونوايا شريرة.

التفت إليه (نور)، يسأله فى دهشة:

ــ لماذا قلت هذا؟

لوَّح (رمزى) بكفه، قائلًا:

ــ ألديك تفسير آخر لكل هذا؟.. لقد اقتحموا المكان فى عنف، رغمًا عن إرادة الدكتور (رشاد)، وقتلوه، أو حملوه إلى مكان آخر، فهل يتصف كل هذا بالنوايا الحسنة؟

قال (نور) فى حزم:

ــ أنت على حق.

ثم رفع عينيه إلى آلة تصوير صغيرة، تتحرّك فى بطء داخل المخبأ، وأضاف:

— وأظن أننا نملك وسيلة، لمعرفة ما حدث بالضبط.

سأله (أكرم):

— أية وسيلة؟

اتجه (نور) إلى شاشة داخلية، وهو يجيب:

— من الواضح أن الدكتور (رشاد) قد تعمّد تسجيل لحظات الهجوم على مخبئه، واقتحامه، ومازالت آلة المراقبة الداخلية تعمل.

ضغط أزرار إيقاف الآلة، ثم قال فى حزم:

— وسنشاهد ماسجّلته آلة التصوير.

مضت لحظات، ثم أضيئت الشاشة، وراحت تعرض ماسجّلته آلة التصوير، منذ ضغط الدكتور (رشاد) زر تشغيلها، وحتى حمله مهاجم خارج المخبأ، وتابع الثلاثة ماتعرض الشاشة فى اهتمام بالغ، وقلق لاحدود له، وقال (رمزى):

— ما هذا الرجل؟.. إنه يبدو كما لو كان مخلوقًا من كوكب آخر.

قال (أكرم):

— ربما كان كذلك بالفعل.

هزّ (نور) رأسه نفيًا، وقال:

— لا.. إنه مجرّد رجل عادى، ولكنه يرتدى زيًا مميزًا، يستخدمه حرّاس سجن القمر، عندما يضطرون لمغادرة منطقة السجن.

سأله (رمزى) فى دهشة:

— وما الذى أتى بهذا الزى إلى هنا؟

قال فى حيرة:

— لست أدرى، ولكن الحديث عن القوة، ومولد عصر جديد، يوحى بمشاكل لاحصر لها، سنواجهها منذ هذه اللحظة، لو أردنا استعادة الدكتور (رشاد).

وشرد ببصره لحظة، وهو يضيف فى حزم:

— ومخاطر قاتلة..

* * *

«فليعد الفريق الطبى إلى مقرّه الأوّل.. لقد انتهى الخطر..».

نطق (محمود) هذه العبارة، وتنهّد فى عمق، قبل أن ينهى الاتصال، بينه وبين حجرة الفريق الطبى، مكملًا فى خفوت:

— مؤقتًا.

التفت إليه الدكتور (حجازى)، و (سلوى) و (مشيرة)، عندما نطق الكلمة الأخيرة، ثم اتجهت عيونهم جميعًا إلى شاشة الراصد، التى تنقل صورة (س١٨)، وقد وقف أمام باب المقرّ جامدًا كالتمثال، وغمغمت (مشيرة) فى قلق:

ـ تُرى ماذا أصابه؟

هزّت (سلوى) رأسها، وقالت:

ـ لن يمكننا الجزم بهذا أبدًا، ما دمنا نجهل تركيب (س١٨).

تنهّد الدكتور (حجازى)، وهو يتطلّع إلى الشاشة، قائلًا:

ـ لو أنه بشرى، لقلنا إنه أصيب بالجنون، أو بازدواج الشخصية، فهو يتصرّف على نحو عجيب، جعله يهاجم ذلك الهمجى فجأة، ويقتله بلا رحمة، ثم يعود إلى مكانه صامتًا ساكنًا، وبعدها يهاجمنا بغتة، ويكاد يقتل (سلوى)، ولكنه يتوقّف فى اللحظة الأخيرة، ويتراجع دون مبرّر مفهوم، فما الذى يعنيه كل هذا؟

أجابه (محمود):

ـ نوع من الخلل فى أجهزته، يمنعه من إدراك الأمور على نحو صحيح.

سأله الدكتور (حجازى) فى حيرة:

ـ ولكن ما سبب هذا الخلل؟

هزّ كتفيه، قائلًا:

ـ من يدرى؟.. ربما أفسدت أشعة (جاما) بعض أجهزته الحسّاسة، أو أصابه بعض التلف، بعد آلاف السنين من العمل المتصل، أو..

قاطعه الدكتور (حجازى) فى صوت مرتجف:

ـ أو ذلك الشىء الكامن فى أعماقه.

تطلّع إليه الجميع فى صمت قلق، ثم غمغم (محمود):

ـ ربّما.

وأشار إلى المقاعد الملقاة أرضًا، وهو يستطرد، محاولًا تغيير دفة الحديث:

ـ المهم أن نزيل أثر ذلك الهجوم.

اتجهت (مشيرة) إلى أحد المقاعد، وهى تقول:

ـ سأعاونك فى هذا.

وحملت (سلوى) مقعدًا آخر، وهى تحاول الابتسام، قائلة:

ـــ سأشارككما أيضًا .

اتجهت إلى شاشة الكمبيوتر ، لتضع المقعد أمامه ، وفجأة اشتعلت الشاشة من تلقاء نفسها ، وتراصت فوقها كلمات سريعة مقتضبة ..

وأمام عيون الجميع ، عادت نفس الرسالة تظهر على الشاشة ..

وشهقت (سلوى) فى قوة ..

واتسعت عيون الجميع فى ذهول ، وهم يحدقون فى كلمات الرسالة ، التى تقول :

ـــ أنا هنا .

وتحمل نفس التوقيع ..

توقيع (نشوى) ..

* * *

استعاد الدكتور (رشاد) وعيه فى بطء ، وخيّل إليه أن رأسه يحمل أطنانًا ثقيلة ، انجابت عنه تدريجيًا ، ليحلّ محلّها إدراكه للواقع من حوله ، وبدأت أذناه تلتقطان مزيجًا من الأزيز والأصوات الآلية والمعدنية ، اختلط به فجأة ذلك الصوت الخشن الجاف ، وهو يقول بنفس اللغة العالمية :

ـــ هيا يا دكتور (رشاد) .. استعد وعيك بسرعة .

فتح الدكتور (رشاد) عينيه فى بطء ، وبهره الضوء الساطع لحظات ، وصاحب الصوت يستطرد :

ـــ من حسن الحظ أن يبقى رجل مثلك ، محتفظًا بعبقريته وخبراته ، بعد كل ما حاق بالعالم من خراب ودمار .

تمتم الدكتور (رشاد) فى صعوبة :

ـــ من أنت ؟

فتح عينيه فى صعوبة ، وتطلّع إلى الرجل الأشقر ، المتين البنيان ، الذى تحرّك ليقف أمامه مباشرة ، وتطلّع إليه بعينيه الزرقاوين الصافيتين ، قائلًا :

ـــ ألا تذكرنى يا دكتور (رشاد) ؟.. لقد سبق أن التقينا ، منذ ما يقرب من عشرة أعوام ، فى مؤتمر التطوير العلمى السابع ، فى (طوكيو) .

تطلّع إليه الدكتور (رشاد) فى دهشة ، قبل أن يهتف :

ـــ مستحيل !!.. لا يمكن أن تكون أنت ...

لم يتمّ عبارته ، ولكن الأشقر فرد جسده فى اعتداد ، وتألقت عيناه فى حزم وظفر وزهو ، وهو يقول :

ـــ بل هو أنا يا دكتور (رشاد) .. أنا (رالف هينريش) ..

عبقرى جراحة المخ والأعصاب، والعلاج العقلى بالأشعة المتطوّرة.

هتف الدكتور (رشاد):

— يا إلهى!.. (رالف هينريش)؟!.. ولكن كيف عدت؟.. إننى أذكر كيف حاولت السيطرة على العقول البشرية، وكيف مارست تجاربك الشريرة على مرضاك، دون الحصول على موافقتهم، فقتلت العشرات منهم، وأصبت عشرات آخرين بالجنون، مما جعل المجلس الطبى العالمى يعتبرك مجرمًا دوليًا، فتمّ إلقاء القبض عليك، ونفيك فى سجن القمر.

امتلأت ملامح (رالف) بالكراهية، وهو يقول:

— نعم.. هذا ما حدث يا دكتور (رشاد).. هذا ما تعرفونه أنتم، وما تنتهى عنده القصة بالنسبة لكم، أما بالنسبة لى أنا، فقد كانت هذه هى البداية.. بداية عذاب رهيب، ذقت كل قطرة منه، طوال عشر سنوات كاملة.. لقد أصبحت سجينًا فى سجن القمر.. مجرّد سجين حقير، يختلط بعدد من أبشع مجرمى العالم، ولا يتعامل إلا معهم.

وضمّ قبضته أمام وجهه، وهو يستطرد فى مقت:

— وفى كل يوم، وكل ساعة، وكل دقيقة، طوال هذه

السنوات العشر، كنت أقسم أن أنتقم، وأن أذيق العالم طعم الثأر، عندما تحين اللحظة المناسبة.

واشتعلت عيناه ببريق شرس مخيف، وهو يبتسم ابتسامة وحشية، متابعًا:

— ثم حانت هذه اللحظة المناسبة، بعد انتهاء غزو الأرض، عندما ثار المسجونون، على سجن القمر، وقتلوا حراسهم، واستولوا على كل أسلحتهم ومركبتهم الفضائية.. عند هذه اللحظة أدركت أن فرصتى قد حانت، وأن ذلك الأمريكى، ورفيقه الإيطالى، اللذين بقيا معى، على قيد الحياة، سيكونان وسيلة من وسائل الانتقام، الذى أعدّ له منذ سنوات عشر، فجعلتهما يعودان معى إلى الأرض، وينشغلان بالأعمال التافهة الحقيرة، حتى أتفرّغ أنا لانتقامى.

هزّ الدكتور (رشاد) رأسه فى أسف، وقال:

— من الواضح أنك تحمل فى صدرك قلبًا قاسيًا شريرًا يا (رالف)، ولكن حتى هذا لم يعد له معنى، مثل انتقامك، فلقد خسرت الأرض كلها، ولم يعد على سطحها من يمكنك توجيه انتقامك إليه.

برقت عينا (رالف) فى وحشية، وهو يقول:

— ولهذا أتيت بك .

سأله الدكتور (رشاد) فى حيرة :

— ماذا تريد منى بالضبط ؟

أشار إلى الأجهزة المحيطة به ، هاتفًا :

— أريدك أن تتعاون معى ، لنعيد إلى العالم عقله .

حدّق الدكتور (رشاد) فى وجهه بدهشة بالغة ، قبل أن يهزّ رأسه ، قائلًا :

— أعرف أننى لم أعد أفهمك يا (رالف) .. إنك تؤكّد رغبتك الصارمة فى الانتقام من العالم أجمع ، وإذلاله وتحطيمه ، ولكنك — فى الوقت نفسه — تطلب مساعدتى ؛ لإنقاذ هذا العالم مما أصابه .

ابتسم (رالف) ابتسامة غامضة مخيفة ، وهو يقول :

— لن يمكنك فهمى بسهولة يا عزيزى (رشاد) .

تطلّع إليه (رشاد) لحظات فى تردد وحذر ، قبل أن يقول فى بطء :

— وماذا لو رفضت معاونتك ؟

أجابه (رالف) فى صرامة :

— سأعيدك إلى حيث كنت .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف :

— وفى هذه المرة ، دون مخبأ يحميك .

ارتجف الدكتور (رشاد) للفكرة ، فى حين عاد (رالف) يبتسم تلك الابتسامة الغامضة المخيفة ، وهو يستطرد :

— ولك أن تختار — بكل حرية — يا دكتور (رشاد) ، إما أن تستعيد عملك كعالم من علماء الأشعة ، أو تصبح مجرّد وجبة حية ، لعدد من الوحوش الآدمية .. ماذا تختار يا دكتور (رشاد) ؟

وأدرك الدكتور (رشاد) أنه ليس أمامه سوى الاستسلام ..

الاستسلام التام .

* * *



٩ — (نشوى) ..

مالت الشمس إلى المغيب، خلف أمواج البحر المتلاحقة، وامتد أمامها طريق ضوئى طويل، يتراقص مع تموجات الماء، وتمتزج فيه أضواء الشفق والغروب، بمياه البحر الزرقاء، وزبد الأمواج الأبيض، ويرتطم معها بالشاطئ الرملى القصير، الذى تناثرت فوقه أطلال كبائن الشاطئ القديمة، وألقت ظلالها الطويلة على طريق الكورنيش المتهدم، وعلى وجوه الرفاق الثلاثة، الذين يسيرون بمحاذاة سور الكورنيش القديم فى حذر، وقال (رمزى) فى قلق:

— إلى أين نتجه يا (نور)؟

أجابه (نور)، وهو يشير إلى حيث تغرب الشمس:

— إلى الغرب.

سأله (أكرم) فى حدة:

— ولماذا إلى الغرب بالذات؟.. إننا نجهل موقع هؤلاء الذين اختطفوا الدكتور (رشاد)، فلِمَ لا يكونون فى الشرق، أو فى الجنوب؟

أجاب (نور) فى هدوء:

— لأنك لم تلحظ ما لاحظته أنا يا (أكرم).

هتف (أكرم) فى حدة، تمتزج بشىء من السخرية:

— وما الذى لاحظته أيها العبقرى؟

أجابه (نور)، دون أن يبدى اهتمامًا بأسلوبه:

— لاحظت أن الكثافة البشرية تتناقص بالتدريج، كلما اتجهنا إلى الغرب، كما أن جميع من التقينا بهم من الهمج يتحركون فى اتجاه الشرق، كما لو كانوا يفرّون من شىء ما فى الغرب.

عقد (أكرم) حاجبيه مفكرًا، ثم قال:

— تفسير معقول.

قال (رمزى) فى اهتمام:

— من الواضح أن ذلك الشىء، الذى يفرّون منه فى الغرب، يسبّب لهم رعبًا شديدًا يا (نور)، وهذا يفسّر تحاشيهم لنا، وخوفهم الزائد منا، فنحن نشبه هؤلاء الذين اختطفوا الدكتور (رشاد)، والذين يرهبونهم كثيرًا.

قال (نور)، وهو يفكّر فى شرود:

— ولكن من هؤلاء؟ ومن أين أتوا؟.. إننا نرسل إشاراتنا إلى جميع أنحاء العالم، منذ رحيل الغزاة، وعلى الرغم من هذا لم

نتلق سوى تلك الإشارة، التى أرسلها الدكتور (رشاد)، ثم إن ما سجّلته آلة التصوير والمراقبة، فى مخبأ هذا الأخير، يؤكّد أن الهجوم عليه تمّ، منذ أقلّ من ساعتين، فما تفسير كل هذا؟

رفع (أكرم) بندقيته الليزرية فى حزم، وهو يقول:

ــ تفسيره أننا سنخوض حربًا عنيفة، لو كنا نصرّ على استعادة هذا العالم، الذى أتيم من أجله.

توقّف (نور) فجأة، وهو يتطلّع إلى الغرب، قائلًا:

ــ أظن أنه هناك تفسير آخر.

سأله (رمزى) فى اهتمام:

ــ ما هو؟

أخرج (نور) منظاره المقرّب، وهو يشير إلى قلعة (قايتباى)، التى تبدو من بعيد، مجيبًا:

ــ لم أتأكّد بعد.

أدار (أكرم) و(رمزى) عيونهما إلى حيث يشير (نور)، فى حين وضع هو المنظار المقرّب على عينيه، وأخذ يراقب القلعة فى اهتمام بالغ، وقال (أكرم)، وهو يحاول تركيز بصره على المشهد البعيد:

ــ ما هذا؟

قال (رمزى) فى انفعال:

ــ إنه يبدو لى أشبه بسفينة فضاء كبيرة.

هتف (أكرم):

ــ سفينة فضاء؟!.. إذن فقد كنا على حق.. إنهم مخلوقات من كوكب آخر.

امتلأ قلب (رمزى) بالرعب، وهو يتصوّر حدوث غزو جديد، ولم تمض بعد ثلاثة شهور، على رحيل الغزاة السابقين، وغمغم فى ارتياع:

ــ يا إلٰهى!

ولكن (نور) قال فى هدوء:

ــ اطمئن يا (رمزى).. إنهم ليسوا غزاة من كوكب آخر.

هتف (رمزى):

ــ ما تفسير وجود سفينة الفضاء هذه إذن؟

ناوله (نور) منظاره الفائق القوة، وهو يقول:

ــ انظر إليها جيّدًا، وستجد فوقها شعارًا عالميًا شهيرًا.

وضع (رمزى) المنظار على عينيه، وقال:

ــ إنه شعار الأمم المتحدة، وأسفله شعار آخر.. يا إلٰهى!.. أهو ذلك الشعار بالفعل يا (نور)؟

اختطف (أكرم) المنظار في حدة، وهو يقول:

ــ أي شعار يعني هذا؟

في حين أجاب (نور) سؤال (رمزي)، قائلًا:

ــ نعم يا (رمزي).. إنه نفس الشعار.. شعار سجن القمر.

امتلأت نفس (رمزي) بقلق خفي، وهو يقول:

ــ ما الذي يعنيه هذا يا (نور)؟

أجابه (نور):

ــ يعني أن خصومنا هم مجموعة من أعتى مجرمي الأرض يا (رمزي)، وأن الصراع سيتخذ منذ هذه اللحظة صورة جديدة.

ثم أدار عينيه إلى حيث تغرب الشمس، مستطردًا في حزم:

ــ وسيكون علينا أن نقاتل بإصرار أكثر يا (رمزي).. من أجل الأرض.. ومن أجل الحق..

وغابت الشمس في الأفق..

* * *

اتسعت عينا (سلوى) في ذهول، وهي تحدّق في شاشة الكمبيوتر، ثم لم تلبث أن هتفت في انفعال جارف:

ــ أرأيتم؟!.. إنها ابنتي.. إنها (نشوى).

واندفعت نحو شاشة الكمبيوتر، وراحت تتحسّسها في لهفة، كما لو كانت ابنتها، وهي تستطرد:

ــ إنها حية.. إنها لم تمت.. أرأيتم.. إنها لم تمت.

التفتت إلى العيون الذاهلة، صائحة:

ــ لقد رأيتم ما حدث بأنفسكم.. أليس كذلك؟

لم ينبس أحدهم ببنت شفة، وهم يحدقون في شاشة الكمبيوتر في ذهول..

كان من المستحيل أن يصدّق أحدهم ما حدث، على الرغم من أنهم قد رأوه بأعينهم..

كان من المستحيل أن يقتنعوا به..

إنه معجزة..

معجزة حقيقية..

لقد رأوا جميعًا (نشوى) تلقى مصرعها، مع انفجار قرص الطاقة الرهيب، والموتى لا يعودون إلى الحياة..

لا يعودون أبدًا، قبل يوم البعث..

ولكن ما تفسير تلك الظاهرة الخارقة، التي شاهدوها بأعينهم؟..



اتسعت عينا (سلوى) فى ذهول، وهى تحدّق فى شاشة الكمبيوتر، ثم لم تلبث أن هتفت فى انفعال جارف: ــ أرأيتم؟!.. إنها ابنتى.. إنها (نشوى)

وصرخت بهم (سلوى) مرة أخرى:

ــ لقد رأيتم ما حدث.. أليس كذلك؟

كان الدكتور (حجازى) هو أوّل من تحدّث، قائلًا:

ــ بل يا (سلوى).. لقد شاهدنا ما حدث.

تفجّرت الدموع من عينيها، وهى تقول:

ــ إنها على قيد الحياة.. إنها على قيد الحياة.

ربّت الدكتور (حجازى) على كتفها فى إشفاق، قائلًا:

ــ لا تتسرّعى بالأمل يا (سلوى).

تراجعت فى حدة، هاتفة:

ــ لا أتسرّع؟!.. ماذا تقول يا دكتور (حجازى)؟.. لقد شاهدت بنفسك ما حدث.

قال فى تعاطف:

ــ هذا ليس دليلًا على كونها على قيد الحياة يا (سلوى).

صاحت مستنكرة:

ــ أى قول هذا؟!.. وماذا يكون ما حدث، لو لم يكن دليلًا على كونها على قيد الحياة؟

قال (محمود) فى تردّد:

ــ ربما كان مجرّد برنامج كمبيوتر يا (سلوى).

صاحت :

ــ ومن وضعه ؟

تردّد مرة أخرى ، قبل أن يشيح بوجهه ، مغمغمًا :

ــ أنت يا (سلوى) .

تراجعت كالمصعوقة ، هاتفة :

ــ أنا ؟!

أجابها فى سرعة ، قبل أن يفقد قدرته على شرح ما لديه :

ــ نعم يا (سلوى) .. أنت .. لو كانت نظريتى صحيحة ، بالنسبة للمرة الأولى ، التى ظهرت فيها هذه الرسالة ، على شاشة الكمبيوتر . وكنت أنت التى وضعت برنامجها ، فى أثناء نومك ، فمن السهل أن يضاف إلى البرنامج أمر بسيط ، يجعل الكمبيوتر يكرّر الرسالة ، كل فترة زمنية محدودة .

صاحت فى غضب :

ــ لا يا (محمود) .. أنا لم أفعل هذا .

قال الدكتور (حجازى) فى خفوت :

ــ ربّما يا (سلوى) .. ولكن حتى هذا لا يعدّ دليلًا على حياة (نشوى) .

صاحت فى مرارة :

ــ لماذا تحاربون الفكرة ؟

أجابها الدكتور (حجازى) فى عطف :

ــ لسنا نحاربها يا (سلوى) ، ولكننا نحاول منعك من الاستسلام لها .

هتفت مختنقة :

ــ حتى ولو لم أكن أنا واضعة هذا البرنامج ؟

أجابها مشفقًا :

ــ نعم يا (سلوى) .. حتى لو كان هذا البرنامج من صنع قوة مجهولة ، فعلى الرغم من تطوّر العلوم ، فى السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين ، والسنوات الأولى من القرن الحادى والعشرين ، فلا يوجد عالم واحد ، فى الكون كله ، يمكنه أن يدّعى معرفته لأسرار الروح ، والموت والحياة .

سألته حائرة متوترة :

ــ ماذا تعنى ؟

أشار إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلًا :

ــ أعنى أنه ربّما يكون ما شاهدناه ظاهرة خارقة للمعتاد ، وربما كانت روح (نشوى) هى التى دفعت الكمبيوتر للعمل على هذا النحو ، ولكن هذا لا يعنى أنها على قيد الحياة .

همّت بالاعتراض، ولكنه أسرع يكمل:

ـــ وربما كان كل ما أقوله مجرّد هراء .. من يدرى؟

صمتت لحظات، شاركها الجميع خلالها صمتها، ثم رفعت رأسها فجأة فى اعتداد، وقالت:

ـــ لا يا دكتور (حجازى) .. قلبى يؤكّد لى أن ابنتى على قيد الحياة.

ثم أشارت إلى الكمبيوتر، مستطردة فى حزم:

ـــ ويمكنكم فحص برنامج الكمبيوتر، للتأكّد مما أقول.

تبادلوا نظرة مشفقة، قبل أن يغمغم (محمود):

ـــ حسنًا .. سأفحصه.

اتجه إلى الكمبيوتر مباشرة، وضغط أزراره فى اهتمام، طالبًا فحص البرنامج..

ولكن الكمبيوتر لم يستجب..

كان يرفض الإفصاح عن برنامجه رفضًا عنيدًا، جعل (محمود) يغمغم:

ـــ عجبًا!.. هذا البرنامج..

سأله الدكتور (حجازى) فى اهتمام:

ـــ ماذا به؟

تردّد (محمود) لحظة، ثم قال فى حيرة:

ـــ هذا البرنامج مزوّد بقفل سرى خاص، يمنع الاطلاع على برنامجه، أو حتى إلغاءه، قبل أن تحين لحظة اختفائه من الشاشة.

والتفت إلى الجميع، مستطردًا:

ـــ وهذا ليس بالبرنامج التقليدى.

سألته (مشيرة) فى انفعال:

ـــ وما الذى يعنيه هذا؟

غمغم متوترًا:

ـــ لست أدرى، ولكن من المؤكّد أن (سلوى) لا يمكنها وضع مثل هذا البرنامج .. لا يمكنها هذا حتمًا.

ران صمت تام على المكان، وقد تركت عبارة (محمود) خلفها علامة استفهام ضخمة..

وأملًا غامضًا..

* * *

وقف الدكتور (رشاد) يتطلّع طويلًا، إلى لوح من الورق الأبيض، وضع (رالف) فوقه خطته العلمية، لإعادة عقول البشر إلى ما كانت عليه، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه، قائلًا:

— هذه الخطة تبدو لى عنيفة أكثر مما ينبغى .

أجابه (رالف) فى هدوء ، وهو يرتدى قفازين مطاطيين ، من قفازات الجراحة :

— ولكنها علمية تمامًا .

قال الدكتور (رشاد) :

— من وجهة نظرك ، فأنت تعتمـــد على فحص المخ البشرى ، للمصابين بقنبلة (جاما) ، ومعرفة الجزء الذى تأثر بالأشعة ، وأفقدهم عقولهم ، وبعدها تجرى تجاربك على هذا الجزء بالذات .

قال (رالف) فى برود :

— ألا يبدو لك هذا أسلوبًا علميًا ؟

أجابه الدكتور (رشاد) :

— من الناحية النظرية فحسب ، أما من الناحية العملية ، فهو أسلوب عسير التنفيذ ، إذ من أين لك بكل هذه الأعداد من الأمخاخ البشرية ، لتفحصها وتدرسها كما يحلو لك ؟

قال (رالف) فى سخرية :

— عجبًا !.. كنت أظنها أبسط نقاط الخطة ، وأيسرها .

واتجه إلى دولاب ضخم ، وفتحـــه على مصراعيـــه ، مستطردًا :

— فلدى هنا كل ما أحتاج إليه .

اتسعت عينا الدكتور (رشاد) فى ذهول ، وهو يحدّق فى الدولاب ، الذى لم يكن فى الواقع سوى برّاد ضخم ، يحوى عددًا من الأجساد البشرية المجمّدة ، فهتف الدكتور (رشاد) فى جزع :

— أهم موتى ؟

أجابه (رالف) بلا مبالاة :

— بل أحياء لقد عرّضتهم للتجميد المباغت . بوساطة النيتروجين السائل ، حتى أحتفظ بهم فى معملى ، وأجرى تجاربى عليهم فى هدوء .

هتف الدكتور (رشاد) :

— ولكن انتزاع أمخاخهم ، والعبث بها ، سيقتلهم حتمًا .

هزّ (رالف) كتفيه فى استهتار ، وقال :

— وماذا فى هذا ؟.. إنهم مجرّد همج .

صاح الدكتور (رشاد) فى غضب :

— ولكنهم بشر .

صاح به (رالف) فى صرامة :

— إنهم مجرّد حيوانات تجارب ، لبلوغ ما أسعى إليه .

ثم جذب جسدًا بشريًا، ووضعه فوق مائدة الفحص، مستطردًا فى حزم:

ـــ ولن يوقفنى مخلوق واحد .. هل تفهم؟

وحمل قاطعًا ليزريًا صغيرًا، وبدأ يثقب الجمجمة البشرية لذلك المسخ، فأشاح الدكتور (رشاد) بوجهه فى اشمئزاز، وغمغم:

ـــ عليك اللعنة أيها الوحش المجنون!

ثم اتجه إلى جهاز كمبيوتر قريب، وراح يجرى تجاربه الخاصة بدراسة تأثير أشعة (جاما) ..

كان يشعر بتوتر بالغ، فى كل خلية من خلايا جسده، وهو يعمل، محاولًا إلهاء نفسه عن تلك المجزرة، التى تحدث خلفه، ولكنه عجز تمامًا عن التركيز، وبدأت معادلاته تتسم بالسطحية والتخبط، مما جعله يتوقف عن العمل، ويغمغم فى سخط:

ـــ اللعنة!

أتاه صوت (رالف)، وهو يقول:

ـــ لا تستسلم إلى اليأس فى سرعة .. إننى أحقق هنا تقدمًا ملحوظًا.

سأله فى اهتمام، دون أن يلتفت إليه:

ـــ ما الذى توصلت إليه؟

أجابه (رالف)، وهو يفحص أجزاء المخ فى عناية.

ـــ من الواضح أن تأثير أشعة (جاما) على الفص الأيسر للمخ، أكثر منها على الفص الأيمن، لهذا كان تأثيرها على قدرة هؤلاء المسخ على الكلام قويًا(*) ولكنه ليس عميقًا كما كنت أتصور، فلا توجد تشوهات بخلايا المخ، ولا بالمخيخ، وكل الأعصاب المخية سليمة، وكذلك قشرة المخ، ولكن النشاط الإشعاعى للجمجمة مرتفع.

سأله الدكتور (رشاد) فى اهتمام بالغ، وقد جذبه الأمر فى شدة:

ـــ أهو مرتفع أكثر مما ينبغى؟

هز (رالف) كتفيه، وقال فى سخرية:

(*) يقع مركز الكلام فى النصف الأيسر من المخ، بالنسبة لأولئك الذين يستخدمون أيديهم اليمنى، ويطلق عليه علميًا اسم (منطقة بروكا)، نسبة إلى العالم الذى كشف وجودها لأول مرة، وإصابات النصف الأيسر من المخ، تؤدى عادة إلى إصابة مركز الكلام، والإصابة بخرس دائم أو مؤقت.

ــ ومن أدراني ؟.. إنه عملك أنت .

ثم نزع قفازيه المطاطيين ، وألقاهما فوق جثة الهمجي في لامبالاة ، وأشعل سيجارته ، وهو يستطرد :

ــ يمكنك أن تفحص النشاط الإشعاعي للجمجمة .

تمتم الدكتور (رشاد) :

ــ سأحاول .

سأله (رالف) فجأة ، وهو ينفث دخان سيجارته :

ــ من (نور) هذا ؟

ارتجف الدكتور (رشاد) للسؤال ، وقال في توتر :

ــ أي (نور) ؟

جلس (رالف) على مقعد قريب ، ووضع إحدى ساقيه فوق الأخرى ، وهو يتأمل الدكتور (رشاد) بعين فاحصة ، ويقول في بطء :

ــ عند اقتحامي مخبئك ، سألتني : هل أرسلك (نور) ؟.. فمن هو (نور) هذا ؟.. وكيف احتفظ بعقله ، بعد انفجار قنبلة (جاما) ؟

أجابه (رشاد) في حذر :

ــ إنه الرائد (نور) .. ضابط مخابرات علمية مصري سابق ، و ...

قاطعه (رالف) ، وهو يعتدل في انفعال :

ــ الرائد (نور) .. أتقصد ذلك الذي قاد حركة مقاومة الغزاة ، طوال الفترة السابقة ؟

سأله الدكتور (رشاد) في دهشة :

ــ كيف عرفت هذا ؟

ابتسم (رالف) ابتسامة شرسة ، وقال :

ــ كان لدينا راصد أرضي قوي على القمر يا رجل ، ومن حسن حظنا أن تجاهله الغزاة تمامًا ، عندما احتلوا الأرض ، فسمح لنا بمتابعة كل ما يحدث .

ثم تراجع في مقعده ، وشرد ببصره ، وهو ينفث دخان سيجارته ، مستطردًا :

ــ الرائد (نور) !.. يا لحظي الحسن !

سأله الدكتور (رشاد) في قلق :

ــ هل تعرفه ؟

مطّ (رالف) شفتيه ، وقال :

ــ ليس بصفة شخصية ، ولكنني راقبت عمله جيدًا ، عندما حضر مع فريقه إلى سجن القمر ، منذ عدة أعوام .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة جذلة ، وهو يستطرد :

— ومن المؤكّد أنه سيكون خصمًا مناسبًا، يحلو لى أن أقاتله.

وتلاشت ابتسامته بغتة، وحلّت محلّها نظرة وحشية شرسة، وهو يستطرد:

— وأن أسحقه سحقًا.

وأدرك الدكتور (رشاد) أنه أمام رجل مجنون.. وقاتل وحشى.

* * *



١٠ — الرمز.. والقوة..

مضت لحظات ثقيلة من الصمت، داخل مقر القيادة السرى، والجميع يتطلّعون إلى بعضهم البعض، بعد أن ألقى (محمود) عبارته الأخيرة، ثم هتفت (سلوى) فى لهفة مشوبة بالأمل:

— إذن فأنت توافقنى يا (محمود).. أليس كذلك؟.. أنت أيضًا تعلم أن (نشوى) وحدها يمكنها وضع مثل هذا البرنامج.

أجابها فى حيرة وتوتر:

— كل ما أستطيع قوله هو أنك لست واضعة هذا البرنامج حتمًا.

قالت (مشيرة) فى حزم:

— وأنا لا أؤمن بنظرية الأرواح هذه.

التفت إليها الدكتور (حجازى)، وسألها:

— ألديك تفسير آخر؟

صمتت لحظة، قبل أن تقول فى حدة :

ــ لا .. لست أملك تفسيرًا .

ثم استدركت فى سرعة وعناد :

ــ ولكننى أملك فكرة .

رفع (محمود) عينيه إليها، وقال :

ــ مجرّد فكرة؟

قالت فى عصبية :

ــ هذا كل ما أملكه، فلست خبيرة علمية مثلكم .. إننى مجرّد مذيعة فيديو سابقة .

ابتسم الدكتور (حجازى)، وهو يقول :

ــ لا بأس يا بنيتى .. هاتِ ما لديك .

ازدردت لعابها فى توتر، وقالت :

ــ فكرتى تقول إن أحدًا منا لم يشاهد مصرع (نشوى) بعينيه .

تألقت عينا (سلوى) فى لهفة، فى حين قال (محمود) فى اهتمام :

ــ ماذا تعنين؟

أجابته فى توتر :

ــ أعنى أن كل ما شاهدناه هو ضوء مبهر، يشبه ألف شمس، انبعث فجأة من قرص الطاقة، ومن مركبة (بودون)، ثم تلاشى الاثنان دفعة واحدة، وكانت (نشوى) داخل المركبة، ولكن أين ذهبا؟.. هذا ما نجهله جميعًا .

سألها (محمود) فى اهتمام :

ــ وأين يمكنهما الذهاب فى رأيك؟

لوّحت بيدها، قائلة :

لست أدرى .. قلت لكم إننى لست خبيرة علمية، ولكن السؤال الذى يقلقنى، منذ حدث هذا، هو : كيف لم تبق ذرة واحدة من المركبة والقرص، بعد هذا الانفجار ؟

أجابها (محمود) :

ــ لقد كانت الطاقة هائلة، لا يمكن تصوّرها، أو ..

قاطعته (سلوى) فى لهفة :

ــ وهذه نقطة بالغة الأهمية يا (محمود) .

التفت يسألها :

ــ ماذا تعنين يا (سلوى)؟

كانت مفعمة بالانفعال، وهى تجيب :

ــ أعنى أن كمية الطاقة، التى تعرّضت لها (نشوى)،

كانت أضخم من أية كمية تمت دراستها من قبل ، حتى طاقة القنابل النووية ، وطاقة الشمس نفسها ، وهذا يعنى أننا نجهل تمامًا ما الذى يمكن أن يحدث ، لجسم امتص كل هذا القدر ، هل يفنى ، أم يتحوّل بدوره إلى صورة أخرى من صور المادة ، أو إلى طاقة صافية ؟

تدخل الدكتور (حجازى) قائلاً :

ـــ وحتى لو حدث هذا أو ذاك .. ألا يعنيان أن (نشوى) قد لقيت مصرعها ؟

هتفت به (سلوى) :

ـــ لا يا دكتور (حجازى) .. إننا علميون ، ولا يمكننا إصدار نتائج حازمة حاسمة ، دون دراسة الأمور على نحو تام .

والتفتت إلى (محمود) ، مستطردة فى انفعال :

ـــ ونحن لم ندرس الأمر كما ينبغى يا (محمود) .. أليس كذلك ؟

أجابها فى حماس :

ـــ بالتأكيد .. لقد افترضنا مصرع (نشوى) ، ولم نحاول افتراض العكس .

ثم اعتدل ، وأشار إلى الكمبيوتر ، مستطردًا :

ـــ ولكن الوقت لم يفت بعد . ويمكننا دراسته الآن .

اندفعت نحو الكمبيوتر ، هاتفة :

ـــ لن أضيع لحظة واحدة .. لن أضيع لحظة واحدة .

قال الدكتور (حجازى) فى قلق :

ـــ ولكنكما تجهلان كل شىء عن كمية الطاقة ، التى امتصتها مركبة (بودون) .

أجابته (سلوى) ، وأصابعها تجرى فى سرعة وخفة ، فوق أزرار الكمبيوتر :

ـــ سنفترض أكبر كمية يمكن تصورها يا دكتور (حجازى) ، وسنضاعفها باستمرار ، حتى نتوصل إلى ..

ارتجّ المكان كله بغتة فى عنف ، فتوقفت (سلوى) عن عملها ، واعتدلت قائلة فى توتر :

ـــ ما هذا ؟

قفز (محمود) يشعل شاشة الراصد ، وهو يقول :

ـــ أخشى ما أخشاه أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، كانت الشاشة قد بدأت عملها ، وحملت إليه صورة واضحة لـ (س ١٨) ، وهو يعاود هجومه على المقرّ ، فهتفت (مشيرة) فى رعب :

— يا إلهي !.. لقد عاودته نوبة الجنون .

لم يضع (محمود) لحظة واحدة، وهو يندفع نحو جهاز الإنذار، هاتفًا :

— ربّاه .. متى ينتهي هذا الكابوس ؟

وضغط زر الإنذار والاتصال، وهو يقول للفريق الطبي :

— إنذار .. إنذار .. إننا نتعرّض لهجوم جديد .. انتقلوا على الفور إلى المقرّ الاحتياطي

نقلت إليه شاشة الراصد حالة توتر شديدة، تسود جناح الفريق الطبي، وصوت قائد الفريق الطبي، وهو يقول في عصبية واضحة :

— لايمكننا الانتقال إلى المقر الاحتياطي .. الأبواب لاتستجيب، ولايمكن فتح أبواب الطوارئ.

تراجع (محمود) هاتفًا :

— ماذا ؟

ثم التفت إلى (سلوى)، وقال في انفعال :

— اختبري أبواب الطوارئ.

ارتجّ المكان في عنف مرة أخرى، وهي تسرع إلى أجهزة الاختبار، وتحرّك أصابعها فوقها في سرعة، قبل أن تهتف في شحوب :

— يا إلهي !.. كل الأبواب لاتعمل .. إننا سجناء هنا .

تعلّقت عيون الجميع بشاشة الراصد، التي تنقل صورة (س ١٨)، وقد تراجع عن الأبواب، وهمست (مشيرة) في رعب :

— لقد سجنتنا هنا .

قال الدكتور (حجازي)، وصوته يحمل كل انفعاله :

— ولكن لماذا ؟.. لماذا ؟

رأوا (س ١٨) يرفع قبضته في مواجهة المقرّ السري، فتألق قبضتاه ببريق أخضر رهيب، جعل (سلوى) تتراجع صارخة :

— يا إلهي !.. إنه سيستخدم طاقة البروتون .. سينسفنا نسفًا .

هوت قلوبهم بين أقدامهم، وتعلّقت عيونهم بالقبضتين المتألقتين، وبريقهما الأخضر القاتل، وأدركوا جميعًا أن النهاية قد حانت ..

نهايتهم ..

* * *

أبرز (أكرم) رأسه من بين الأطلال في حذر، وأشار إلى

سفينة الفضاء الضخمة، التي تقف شامخة، إلى جوار قلعة (قايتباى)، وقال:

ــ ها هو ذا شبح هذا العصر.

تأمّل (رمزى) السفينة فى اهتمام، قبل أن يقول:

ــ ليس من العجيب إذن أن يصاب هؤلاء الهمج بكل هذا الرعب، ويخشون الاقتراب من هنا.

قال (أكرم) بلهجته شبه الساخرة:

ــ لا تشفق عليهم كثيرًا يا رقيق المشاعر، فسيتغلبون بسرعة على خوفهم، ولن تلبث أن تجدهم حولك هنا.

تلفّت (رمزى) حوله بحركة غريزية، ثم قال فى حدة:

ــ كم أمقت أسلوبك هذا.

هزّ (أكرم) كتفيه فى لامبالاة، فى حين قال (نور):

ــ دعونا من هذا العبث، فنحن نواجه تحديًا بالغ الخطورة.

قال (أكرم) فى استهتار:

ــ لماذا؟.. إننا نستطيع اقتحام سفينة الفضاء هذه، و...

قاطعه (نور):

ــ إنهم يقيمون فى القلعة.

عقد (أكرم) حاجبيه فى شك، فى حين قال (رمزى) فى اهتمام:

ــ فى القلعة؟!

أجابه (نور):

ــ نعم.. لو أنك راقبت أبراج القلعة جيّدًا، للاحظت وجود مدفع ليزر فوق كل برج، وذلك البريق البرتقالى الخافت، على بعد ثلاثة أمتار من أسوار القلعة، يعنى أنها محاطة بجدار من الطاقة الكهرومغنطيسية، لصدّ أى هجوم برى أو بحرى، وكل هذا لا يعنى إلا أن هؤلاء القادمين من سجن القمر، قد انتقلوا للعيش فى قلعة (قايتباى)، واتخذوا منها حصنا يقيهم هجمات الآخرين، أو يكون نقطة انطلاق إلى غزو جديد.

قال (أكرم) فى اهتمام:

ــ ولماذا لا نفترض أنهم طاقم الحراسة السابق، فى سجن القمر، وقد عادوا إلى الأرض، ولكنهم يحيطون أنفسهم بكل هذا، خوفًا من هؤلاء الهمج، أكلة لحوم البشر؟

قال (رمزى) فى سخرية:

ــ ماذا أصابك؟.. هل انتقلت إليك عدوى التفاؤل؟

عقد (أكرم) حاجبيه فى غضب، فى حين قال (نور) فى هدوء:

— كان يمكن أن أفترض هذا، لولا ذلك الهجوم المشبوه على مخبأ الدكتور (رشاد)، وانتزاعه منه بالقوة، كما رأينا.

سأله (أكرم) فى حدة:

— ولكن كيف توصلوا إلى مخبئه؟

أجابه (نور) فى بساطة:

— بنفس الوسيلة التى توصلنا بها نحن إليه.. لقد استقبلوا إشاراته. وتعقبوها إلى مخبئه.

هتف (أكرم):

— وماذا يريدون منه؟

أشار إليه (نور) بالصمت، وهو يقول فى حزم:

— اخفض صوتك، فربما كانت لديهم أجهزة تصنّت قوية، ونحن لا نرغب فى كشف وجودنا، قبل أن نستعد لمواجهة هؤلاء الأشرار.

قال (أكرم) فى عصبية:

— حسنًا، سأطبق شفتى تمامًا، ولكننا لن نبقى هنا إلى الأبد.. ألديك خطة محدودة، أم أننا سنقوم بهجوم عشوائى؟

تجاهل (نور) الأسلوب الاستفزازى فى عبارة (أكرم)، وقال فى (هدوء)، وهو يراقب القلعة بمنظاره الخاص:

— لا مجال هنا لأى هجوم عشوائى.. إنك تواجه حصنًا حصينًا، والوسيلة الوحيدة لاقتحام حصن حصين، بأسلحة بسيطة كالتى نحملها، هى أن تكون لدينا خطة محكمة للغاية، لا مجال فيها لثغرة واحدة.

بدأ (أكرم) يناقشه فى الأمر بعصبية، فى حين تراجع (رمزى) عدة خطوات، واستند إلى صخرة قريبة، وعقد ساعديه أمام صدره، ووقف يراقبهما فى صمت..

كان يشعر بإرهاق عنيف، يكاد يفقده وعيه، ولكنه يقاوم ليبقى واقفًا على قدميه، حتى ينتهى هذا الأمر..

وكان أسلوب (أكرم) يرهقه..

يرهقه كثيرًا..

وفجأة شعر (رمزى) بحركة خافتة من خلفه، وتناهى إلى مسامعه صوت سقوط بعض الحصى الصغيرة، وأراد أن يلتفت فى سرعة إلى مصدر الصوت والحركة، ولكن كفًا خشنة ضخمة أحاطت بأنفه وفمه، فى نفس اللحظة التى أحاطت فيها ذراعان قويتان بوسطه وذراعيه..

واتسعت عينا (رمزى) فى رعب، عندما برز أمامه وجه همجى وحشى مخيف، وحاول أن يصرخ مناديًا زميليه، اللذين انهمكا فى نقاش عنيف، دون أن يشعرا به..

ولكن ضربة عنيفة هوت على مؤخرة عنقه، وانتزعت منه آخر خيوط مقاومته..

فسقط..

سقط فاقد الوعي، ولم يشعر بتلك الأيدى القوية، التى حملته، وابتعدت به فى خفة النمور عن المكان..

لقد أصبح صيدًا للهمج..

وطعامًا لهم..

* * *

تألقت عينا (رالف) فى ظفر، وهو يراجع معادلات الدكتور (رشاد)، قبل أن يقول فى انفعال:

— رائع.. نتائج رائعة يا دكتور (رشاد).. أراهنك أننا سنتوصل إلى وسيلة إعادة العقول فى سرعة مدهشة.

سأله (رشاد) فى حذر:

— المهم ما الذى تنوى فعله بعدها؟

تألقت عينا (رالف)، وهو يقول:

— لا تقلق نفسك بهذا الأمر.

قال (رشاد) فى عصبية:

— كيف؟.. إننى أشاركك إياه، و...

ارتفع فجأة أزيز قوى فى المكان، فاعتدل (رالف) فى حركة حادة، وأدار عينيه إلى جهاز صغير، ثم اتجه نحوه، وضغط أحد أزراره، وهو يقول:

— هناك من يراقب الحصن.

أضيئت شاشة داكنة، فور ضغطة الزر، وتألق فوقها ظلّان بشريان، لهما لون أحمر باهت، فتألقت عينا (رالف) أكثر، وهو يقول:

— انظر.. إنهما رجلان، تدور بينهما مناقشة حادة، رفعت حرارة جسديهما كثيرًا، إلى الحد الذى سمح لأجهزة المراقبة الحرارية بالتقاط صورتهما الحرارية، من هذه المسافة.

شعر الدكتور (رشاد) بالقلق، وهو يتطلّع إلى الشاشة، وقال:

— ربما هما مجرد همجيين، أو..

قاطعه (رالف) فى حسم:

— لا.. إنهما متحضران، وإلا فما أمكنهما التحاور على

هذا النحو . ثم إن أحدهما يمسك بندقية ليزرية . والآخر يحمل مسدسًا .

هوى قلب (رشاد) بين قدميه ، وراح ينبض في قوة ، وأنبأته غريزته أن أحد هذين الظلين هو (نور) ..

أمله الأخير ..

وفي سخرية شرسة ، جلس (رالف) أمام الجهاز ، وهو يقول :

ــ الآن يا عزيزى الدكتور (رشاد) ، سترى بنفسك تجربة عملية ، للقضاء على المتسللين .. ستشاهد بنفسك مدفع ليزر قويًا ، وهو يحصد هذين الرجلين حصدًا .

وبضغطة زر ، ارتسمت على الشاشة دائرة ، تقاطع في منتصفها قطران متعامدان ، فوق الظلين تمامًا ، وتألقت عينا (رالف) في شراسة ، وهو يقول :

ــ قل لهما وداعًا .

وانطلقت من حلقه ضحكة شيطانية رهيبة ، قبل أن يضغط الزر ..

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله
ويليه الجزء الثانى
(حصن الأشرار)

رقم الإيداع ٣٢١٥

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

رمز القوّة

- ما مصير العالم ، بعد انفجار قنبلة (جاما) ؟ ..
- كيف ظهرت على الأرض قوة جديدة ، تتخذ الشر رمزًا لها ؟
- هل ينجح (نور) وفريقه في التصدّي للأشرار ، أم يصبح الغزاة الجدد هم (رمز القوة) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه حتى النهاية .

٨١



وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : حصن الأشرار

ملف المستقبل

روايات



حصن الأشرار



نور الدين



سلوى



رمزى



محمود

١ ـ الدمار ..

انتشر الظلام فى سرعة ، فوق ذلك الجزء من العالم ، بعد مغيب الشمس ، وسرت فى الأجساد قشعريرة خوف غريزى ، لم يفارق قلوب الأحياء ، مع غروب كل شمس ، منذ انتهاء احتلال الأرض ، وانفجار قنبلة (جاما) ، التى سلبت الجميع عقولهم وحضارتهم(*) ، ووسط ذلك الظلام الرهيب ، وقف (س١٨) بجسده الآلى القوى ، ووجهه الأخضر المخيف ، يصوِّب قبضتيه إلى المقر السرى الأخير لفريق (نور) ، الذى يحتمى مع الفريق الطبى فى ذلك المخبأ ، بعدما أصاب الأرض ..

كان (س١٨) يستعد لإطلاق أقوى أسلحته على المقرّ السرى ..

طاقة البروتون ..

وفى داخل المخبأ ، كان الجميع يرتجفون ، وقد بدت لهم النهاية قاب قوسين أو أدنى ..

(*) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٨٠) ..

ولكن ماذا عن البداية ؟..

وما الذى يمكن أن نطلق عليه اسم البداية ؟..

أم هو انفجار قنبلة (جاما) ؟..

فلنقل إن البداية قد جاءت بعد هذا بثلاثة شهور ، عندما استقبل (نور) ورفاقه رسالة لاسلكية ، تثبت وجود شخص آخر عاقل ، على قيد الحياة ..

رسالة من الدكتور (رشاد خيرى) أكبر خبراء الأشعة فى عالم ما قبل الغزو ..

ومع ورود الرسالة ، بدأت الأحداث ..

لقد انطلق (نور) مع (رمزى) ، فى سيارة بدائية ، إلى (الاسكندرية) ، فى محاولة لإنقاذ الدكتور (رشاد) ، من أكلة لحوم البشر ، الذين يحيطون به ، وإعادته إلى مقرهم السرى ، ليشاركهم محاولاتهم المستميتة ، لإعادة العقول والحضارة إلى البشر ، الذين حوّلتهم قنبلة (جاما) إلى هؤلاء الممسوخ الوحوش ، أكلة البشر ..

ولم تكن رحلة (نور) و (رمزى) يسيرة ..

لقد تعرضا لمخاطر رهيبة ، كادت تودى بحياتهما ، حتى التقيا بـ (أكرم) ، الذى احتفظ بعقله ، على الرغم من أشعة (جاما) ، والذى أنقذهما ، وشاركهما مهمتهما ..

وفى نفس هذا الوقت ، كانت هناك أحداث رهيبة ، تحدث فى المقر السرى ..

لقد حملت شاشة الكمبيوتر رسالة عجيبة ، تحمل توقيع (نشوى) ، على الرغم من مصرع هذه الأخيرة ، فى نهاية معركة النصر ..

واختلج قلب (سلوى) ..

هاهو ذا الأمل يعود ، فى أن تكون (نشوى) على قيد الحياة ..

وقررت (سلوى) ، كما قرر الفريق كله ، أن يعمل الجميع ، فى محاولة لاستعادة (نشوى) ، لو أنها حقًا على قيد الحياة ..

ولكن (س ١٨) أصيب بالجنون فجأة ..

اختلت آلاته ، التى لم تصب بأدنى ضرر ، منذ قرون عديدة ، وأصابها جنون مدمّر رهيب ، حوّله إلى قاتل آلى بلا رحمة ، ينشر الموت والدمار حوله بلا سبب واضح ..

وفى اللحظة التى تهدد فيها المقر السرى بدمار ساحق ، كان (نور) و (رمزى) و (أكرم) يواجهون خطرًا من نوع جديد ..

لقد فرّ أعتى ثلاثة مجرمين من سجن القمر ، بعد مصرع حراس السجن ومسجونيه ، وحملتهم سفينة فضاء قوية إلى الأرض ، حيث احتلوا قلعة (فايتباى) القديمة ، وسيطروا على المسح ، وراحوا يعدون حصنهم الرهيب فى القلعة ..

وكشف المجرمون مخبأ الدكتور (رشاد) ، ونجح أحدهم ، وهو الألمانى (رالف) ، فى إلقاء القبض على الدكتور (رشاد) ، وإجباره على معاونته فى فحص عشرات البشر ، والعبث بعقولهم ، بحثا عن وسيلة لتخليصهم من تأثير أشعة (جاما) ، والسيطرة عليهم بعدها ..

وعلم (نور) ورفيقاه بما حدث للدكتور (رشاد) ، وبدأوا مراقبة القلعة ، ولكن ..

تعرّض (رمزى) لهجوم مباغت ، من أكلة لحوم البشر ، الذين نجحوا فى إفقاده وعيه ، وحملوه إلى معسكرهم ، ليجعلوا منه صيدًا ..

وطعامًا ..

وفى نفس الوقت كشف (رالف) وجود (نور) و (أكرم) ، على مقربة من القلعة ..

وقرّر تدميرهما ..

ونقل إليه راصده صورتى (نور) و (أكرم) ، فى منتصف هدف تصويب مدفع ليزرى قوى ..

وضغط (رالف) زر المدفع ..

زر الفناء(*) ..

* * *

لم يكن هناك مفرّ من الهلاك ..

صحيح أن وجه (س١٨) ، بحكم آليته ، يخلو من أية ملامح أو انفعالات ، قد تشير إلى حقيقة نواياه ، إلا أن تألق قبضتيه ، بذلك البريق الأخضر ، كان يعنى أن طاقة البروتون ستنطلق من القبضتين لا محالة ..

وصرخت (سلوى) فى رعب :

ــ رباه !! إنه سينسفنا نسفًا

هتف (محمود) :

ــ لابد من منعه .

أجابه الدكتور (حجازى) فى يأس :

ــ كيف ؟!

تجمّد الجميع فى أماكنهم ، واتسعت عيونهم ، وهى تحدق

(*) راجع الجزء الأول (رمز القوة) .. المغامرة رقم (٨١) .

في القبضتين الرهيبتين ، اللتين ازدادتا تألقًا والتهبتا ببريق أخضر مخيف ، وبقى أن تنطلق طاقة البروتون ، وتسحق الجميع بلا رحمة ..

وانهارت (سلوى) ، هاتفة :

— لافائدة .. لقد بلغ نقطة اللاعودة .

ولم تكد تتم عبارتها ، حتى انطلقت الطاقة من القبضتين .. طاقة الموت ..

* * *

استعاد (رمزى) وعيه ، مع صراخ رهيب ، وضع غشاوة مخيفة أمام عينيه ، امتزجت بوجوه وحشية ، وأسنان مخيفة ، جعلته يفتح عينيه عن آخرهما ، ويحدّق في هؤلاء المحيطين به ..

كان هناك عشرات الهمج ، يتطلّعون إليه في لهفة ، ويتحسّسون جسده بلمسات وضغطات مخيفة ..

وهوى قلب (رمزى) بين ضلوعه ..

إنهم يختبرون الطعام قبل التهامه ..

وهو هذا الطعام ..

وحاول (رمزى) أن يقاوم ، ولكن هذه المحاولة كشفت له حقيقة لم ينتبه إليها من قبل ..

حقيقة أنه مقيّد في إحكام ، إلى قائم خشبي قوى ..

وأمام عينيه المذعورتين ، رأى (رمزى) هؤلاء الهمج يوقدون النار ، استعدادًا لطهو طعامهم ..

وصرخ (رمزى) :

— لا .. لا تفعلوا .. إننا بشر .. استعيدوا عقولكم .. إننا بشر .

ولكن أحدًا لم يلتفت إليه ، بل واصل الجميع إشعال النيران ، حتى تأججت ، وتصاعد لهيبها المخيف ، ثم التفتوا إليه ، وأسرعوا يحلّون وثاقه ، ثم أمسكوا به في قوة ، وهو يواصل صراخه :

— أيها الأغبياء .. استيقظوا من وحشيتكم هذه .. إنكم بشر .. كلنا بشر .

ولكن الصرخة احتبست في حلقه ، عندما حملوه نحو نهايته ..

نحو النار ..

* * *

هزّ (أكرم) رأسه في عناد ، وهو يشير إلى القلعة الحصينة ، قائلًا في حدة :

— لا أيها الدورى .. لن يمكنك إقناعى أبدًا بقدرتنا على اقتحام حصن كهذا ، ونحن لا نمتلك سوى مسدس وبندقية فقط .

بذل (نور) أقصى جهده ؛ للسيطرة على أعصابه ، وهو يقول :

— هذا لأنك تفكّر من مبدأ القوة فحسب يا (أكرم) ، ولو نظرنا إلى الأمر من وجهة نظرك فحسب ، فسنجد أنك على حق ، وأنه من المستحيل حقًا اختراق مثل هذا الحصن ولكن ..

قاطعه (أكرم) فى عصبية :

— ولكن ماذا ؟.. هل سنقتحم الحصن بالحيلة ؟.. هل ستنادى قاطنيه ، وتشير إلى الشرق ، قائلًا : «انظـروا العصفور» ، وعندما يلتفتون شرقًا ، تقتحمه أنت غربًا ؟

تنهّد (نور) ، وقال :

— يا إلهى !.. يبدو أن النقاش معك مستحيل .

ثم التفت إلى حيث كان يقف (رمزى) خلفهما ، مستطردًا :

— أليس كذلك يا (رمزى) ؟..

انعقد حاجباه فى شدة ، عندما وجد المكان خلفه خاليًا ، وقال فى توتر :

— أين (رمزى) ؟

التفت (أكرم) بدوره فى سرعة ، وانعقد حاجباه فى شدة أيضًا ، وهو يقول :

— يا إلهى !.. أخشى أن ..

ختم جملته بشهقة مكتومة ، قبل أن يقفز نحو الموضع الذى كان يقف فيه (رمزى) ، مستطردًا فى توتر :

— انظر .. لقد سقط جسم ماهنا ، وهناك آثار أقدام عارية تحيط به ، ومايشير إلى أن أصحاب الأقدام العارية قد سحبوا شيئًا ما ..

ارتسمت صورة مفزعة فى رأس (نور) ، جعلته يهتف فى ذعر :

— (رمزى) ؟!.

ثم أمسك كتف (أكرم) فى قوة ، مستطردًا :

— لابد أن نعثر عليه ، قبل أن يلتهمه هؤلاء الهمج .

قال (أكرم) فى لهجة أقرب إلى السخرية :

— هل اقتنعت أخيرًا أنهم مجرّد همج ؟

قفز (نور) فوق صخرة كبيرة ، وهو يقول فى حزم :

ـــ لامجال لكل هذه المناقشات يا (أكرم) .

قال (أكرم) ، وهو يتبعه بقفزة رشيقة :

ـــ فليكن ، سنؤجل هذا إلى ...

قبل أن يتمّ عبارته ، كان المدفع الليزرى المصوّب نحوهما قد أطلق أشعته ..

وتألقت السماء ببريق أزرق ..

ودوى الانفجار .

* * *



٢ ـــ الهدف ..

فى اللحظة الأخيرة ، وقبل انطلاق طاقة البروتون نحو المقر السرى ، بجزء من الثانية عادت أجهزة (س ١٨) تعمل على نحو طبيعى ..

وفى ذلك الجزء من الثانية ، أدرك الأتلانتى الآلى ماسيفعله ..

صحيح أنه لايحمل ، فى برنامجه الشديد التعقيد ، أية مشاعر أو أحاسيس أو عواطف ، تجاه فريق (نور) ، إلا أن هذا البرنامج كان يحمل أمرًا حازمًا ، بضرورة حماية هذه المجموعة من البشر بالذات ، والدفاع عنها ضد أى خطر ..

ولهذا تحرّك (س ١٨) ..

لهذا رفع قبضتيه إلى أعلى ، فى ذلك الجزء من الثانية .

وبسرعة مذهلة ..

لقد أدركت الآلة أنه قد بلغ فى هجومه نقطة لا رجعية .

غادرت فيها طاقة البروتون مخزنه الرابض فى أعماقه ، وتجمعت فى قبضتيه ، وبات من المحتم أن تنطلق ..

وعندما رفع قبضتيه إلى أعلى ، انطلقت طاقة البروتون .. أقوى طاقة صافية عرفها الكون ، حتى هذه اللحظة ..

وفى المقرّ السرى ، هتفت (سلوى) فى فرح :

ـــ لقد نجونا .. (س ١٨) أفرغ طاقته فى الهواء .

عقد الدكتور (حجازى) حاجبيه ، وقال :

ـــ عجبًا ؟!.. ما الذى يسعى إليه ذلك الآلى بالضبط .

أما (محمود) ، فلم ينبس ببنت شفة ؛ إذ كان يتابع فى قلق ، على شاشة راصد آخر ، مسار تلك الطاقة الهائلة ، التى أطلقها (س ١٨) فى الفضاء ..

وفى توتر بالغ ، ازداد تركيزه على تلك الدائرة المستديرة اللامعة ، التى تركتها الطاقة فى سماء الأرض ، قبل أن تواصل طريقها إلى أعمق أعماق الفضاء السحيق ..

وفى أعماقه هو ، تولّد خوف جديد ..

ما هذه الدائرة ؟..

ما الذى يعنيه وجودها ؟..

وانتزعته (سلوى) من أفكاره ، وهى تهتف فى سعادة :

ـــ لقد نجونا يا (محمود) .. لم ينسفنا (س ١٨) .. لقد أطلق الطاقة كلها فى الفضاء ، وتركنا لنواصل بحثنا عن (نشوى) .

أعادت إليه عبارتها ذكرى (نشوى) ، ورسالتها التى ينقلها الكمبيوتر ، فهتف كمن يستيقظ فى شرود عميق :

ـــ (نشوى) ؟!

وهنا هتفت (مشيرة) ، وهى تشير إلى شاشة الكمبيوتر :

ـــ انظروا !..

التفت الجميع إلى حيث تشير ، وأطلقت (سلوى) شهقة حسرة وألم ..

لقد اختفت رسالة (نشوى) تمامًا من شاشة الكمبيوتر ..

واندفعت (سلوى) نحو شاشة الكمبيوتر فى لوعة ، وراحت تتحسّس شاشته فى لهفة ، وهى تهتف فى لهجة أقرب إلى النحيب :

ـــ لا يا (نشوى) .. لا تذهبى .. عودى يا ابنتى .. عودى .

ملأ أسلوبها قلوب الجميع بحزن طاغ ، جعل الدكتور (حجازى) يحيط كتفها بذراعه فى حنان ، وهو يهمس :

ـــ ستعود يا بنيّتى .. ستعود بإذن الله .

انفجرت (سلوى) فى بكاء حار ، سالت له دموع (مشيرة) ، فى حين حاول (محمود) السيطرة على

مشاعره . وهو يتشاغل عن الموقف الداخلى بمراقبة شاشتى الراصد ، ومتابعة تألق تلك الدائرة فى السماء ، و (س ١٨) ، الذى عاد إلى سكونه وصمته ، وهو يقف أمام المقر كتمثال من الصلب ..

وكان من الواضح أن القدر مايزال يدخر أكثر من مفاجأة ..

وأكثر من خطر ..

* * *

لم يكن من الممكن أبدًا أن يستسلم (رمزى) لمثل هذا المصير البشع ..

كان من الضرورى أن يقاوم ..

وأن يقاتل ..

وبكل مايملك من قوة ، ركل (رمزى) أقرب الوجوه إليه ، صارخًا :

— اتركونى أيها الوحوش .

سقط الرجل الذى ركله (رمزى) ، وأختلّ سقوطه بتوازن رفيقيه ، اللذين يشاركان فى حمل (رمزى) ولم يكد هذا الأخير يشعر باختلال توازنهما ، حتى دفع جسده فى عنف ،

ليسقطهما ، ويسقط فوقهما ، ثم هبّ واقفًا على قدميه ، وانطلق يعدو نحو أطلال منزل قديم ، وهو يهتف :

— معذرة .. سأضطر لحرمانكم من وجبة العشاء ..

زمجر الهمج فى غضب ، لضياع صيدهم ، واندفعوا خلفه فى ثورة ، وهم يلقونه بكل مايبلغ أيديهم ، من عصى وحصى وأحجار ..

وتضاعف الخوف فى أعماق (رمزى) ..

لقد كانت قدرتهم على العدو تفوق قدرته بعشرات المرات ، فجوعهم الشديد كان يمنحهم دافعًا أقوى من دافعه للفرار ، والحفاظ على حياته ..

ومن بعيد ، لاح له طريق ممهّد ، فغمغم لنفسه فى توتر :

— لو بلغت هذا الطريق ، فربما أمكننى أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، أصاب ذلك الحجر مؤخرة رأسه ..

وارتجّ عقله فى قوة ..

ومادت به الأرض ..

كان يعلم أنه سيفقد وعيه ، ولكنه حاول أن يقاوم ذلك الدوار العنيف ، ليتشبّث بأى شىء ، حتى لا يفقد وعيه ، ويسقط مرة أخرى فى أيدى هؤلاء الهمج ، و ..



وكان الانفجار قويًا ، بما يكفى لدفعهما ثلاثة أمتار إلى الأمام ، وسقوطهما فوق كومة من الحصى والرمال ..

ولكن كل شيء أظلم أمام عينيه دفعة واحدة ..

وسقط ..

وفى هذه المرة انقضّ عليه الهمج فى شراسة ، ومزّقوا قميصه ، وهم يحملونه فى عنف ، ثم اندفعوا به نحو النيران ، وهو فاقد الوعى ..

وفى هذه المرة لم يكن هناك مخرج ..

أو أمل ..

* * *

أصاب مدفع الليزر الصخور ، على قيد أمتار قليلة من موضع (نور) و (أكرم) ، وكان الانفجار قويًا ، بما يكفى لدفعهما ثلاثة أمتار إلى الأمام ، وسقوطهما فوق كومة من الحصى والرمال ..

وشعر (نور) بآلام مبرحة فى صدره وذراعيه وساقيه ، وتفجّرت الدماء من أنفه فى غزارة ، ولكنه نهض فى سرعة ، وأدرك ، على الرغم من آلامه ، أنه لم يصب بكسور ، وإنما ببعض الرضوض ، فالتفت فى قلق إلى (أكرم) ، وتنهّد فى ارتياح ، عندما رآه ينهض أيضًا ، وساقه تنزف ، وهتف بـ(نور) :

ــ أسرع .. ابتعد عن هنا .. من الواضح أنهم كشفوا أمرنا .

كان يعدو فى سرعة مدهشة ، جعلت (نور) يتعقب به ، وهو يقفز خلفه ، وراء عدد من الجدران السميكة ، نصف المتهدمة :

— وماذا عن إصابة ساقك ؟

انفجرت خلفهما طلقة ليزر أخرى ، حجبت الجدران آثارها عنهما ، و (أكرم) يجيب :

— دعك منها .. إنها مجرّد خدش سطحى .

واصلا ابتعادهما وسط الأطلال فى سرعة ، وتوقفت طلقات مدافع الليزر خلفهما ، فقال (نور) وهو يلهث فى شدة :

— من الواضح أننا قد تجاوزنا مدى رماياتهم .

غمغم (أكرم) :

— أنت أكثر دراية بهذا .

ثم اعتدل فى حركة حادة ، وهو يقول :

— استمع .

أرهف (نور) سمعه ، والتقطت أذناه زمجرة ظافرة ، تنطلق من مكان قريب ، أدار عينيه إليه فى سرعة ، ورأى وهج النيران ، فهبّ واقفًا على قدميه ، وصاح :

— يا إلهى !.. (رمزى) .

انطلق يعدو نحو مصدر الوهج ، وتبعه (أكرم) وهو يقول فى غضب :

— أيها الوحوش المسعورة ..

بلغا المكان فى سرعة ، واتسعت عينا (نور) ، وهو يحدّق فى ذلك المشهد المخيف ، لهؤلاء الهمج ، وهم يحملون (رمزى) نحو النيران ، وهتف :

— (رمزى) .

قبل أن يضيف حرفًا واحدًا ، كان (أكرم) قد رفع بندقيته ، وصرخ :

— أيها الوحوش .

ثم انهالت أشعة البندقية على الرءوس والصدور بلا رحمة ..

وألقى الهمج (رمزى) أرضًا ، وراحوا يعدون فى كل مكان ، فرارًا من وابل النيران ، الذى ينصبّ عليهم كالمطر ..

وصاح (نور) :

— كفى يا (أكرم) .. كفى .

ولكن (أكرم) واصل صراخه :

— اهربوا أيها الأوغاد .. اهربوا .

وواصل إطلاق أشعته على الفلول الهاربة في شراسة .

جعلت (نور) ينقضّ عليه ، ويختطف بندقيته ، صارخًا :

ـــ قلت كفى .

التفت إليه (أكرم) في شراسة ، وخُيّل لـ(نور) لحظة أنه سينقضّ عليه في وحشية ، ويشتبك معه في قتال عنيف ، إلا أن (أكرم) لم يلبث أن ابتسم في سخرية ، تناقضت مع لهجته العصبية وهو يقول :

ـــ عجبًا !!.. أما زلت تشعر بالشفقة ، تجاه هؤلاء الوحوش ؟

صاح به (نور) في غضب :

ـــ إنهم بشر .

أشار (أكرم) إلى (رمزى) ، الفاقد الوعى إلى جوار النيران ، وقال :

ـــ وماذا عن زميلك ، الذى كادوا يلتهمونه ، لولا وصولنا في اللحظة المناسبة .. أليس بشرًا أيضًا ؟

أشاح (نور) بوجهه ، واتجه نحو (رمزى) ، وهو يقول :

ـــ لا ذنب لهم فيما يفعلونه .

لوّح (أكرم) بيده في حدة ، وهو يقول :

ـــ هل يمكنك إقناع (رمزى) بهذا ؟

قال (نور) في حزم :

ـــ بالتأكيد .

مطّ (أكرم) شفتيه ، وهزّ كتفيه ، قائلًا :

ـــ إذن فلست وحدك المصاب بالجنون .

اكتفى بهذا القول ، وأطبق شفتيه بعدها تمامًا ، وراح يراقب (نور) ، الذى انحنى يفحص (رمزى) في اهتمام ، ثم أخرج من حزامه بخاخة صغيرة ، رشّ قليلًا من محتوياتها على أنف (رمزى) الذى انتفض في قوة ، وفتح عينيه دفعة واحدة ، وحدّق في وجه (نور) لحظة ، قبل أن يهتف ، في صوت لم يفارقه الفزع بعد :

ـــ أين أنا ؟

أجابه (نور) في تعاطف :

ـــ في عالمنا يا صديقي .. اطمئن .. لقد نجوت .

اعتدل (رمزى) جالسًا ، وتطلّع حوله إلى عشرات الجثث ، التى تحطّمت رءوسها وصدورها ، وقال في حنق :

ـــ أراهن أن (أكرم) هو الذى أنقذنى .. أليس كذلك ؟

قال (أكرم) فى برود :

ـــ بلى .. لقد ربحت الرهان يا صاح .

قال (رمزى) فى عصبية :

ـــ المفروض أن أشكرك على إنقاذ حياتى ، ولكن حلقى يحتجز كلمات الشكر ، بعد أن رأت عيناى آثار المذبحة ، التى ارتكبتها لتنقذنى .

عقد (أكرم) حاجبيه فى غضب ، وقال فى حدة :

ـــ هل كنت تفضّل الموت ؟

أجابه (رمزى) فى حدة مماثلة :

ـــ نعم .. لو كان هذا هو الثمن .

لوّح (أكرم) بذراعه كلها ، وهو يهتف فى غضب :

ـــ أنتما مصابان بالجنون .. أراهن أنكما كذلك .. ماذا أصابكما ؟.. أتفضلان الموت ، عن قتل عدد من هؤلاء الهمج ؟

أجابه (نور) فى صرامة :

ـــ من الواضح أننا نختلف كثيرًا فى وجهات النظر يا (أكرم) ، فأنت تنظر إلى هؤلاء القوم وكأنهم مجرمون ، يستحقون العقاب والقتل ، فى حين ننظر نحن إليهم باعتبارهم

ضحايا مساكين ، دُفعوا دفعًا إلى ما يفعلونه ، دون أن يدرك أحدهم أنه يرتكب أدنى خطأ .. إنهم يتحركون بدوافع غريزية فحسب ، ولو أنهم وجدوا ما يكفى غذاءهم ، لما تحوّلوا إلى هذا النمط الوحشى .

قال (أكرم) فى حدة :

ـــ ولماذا لا يلجئون للزراعة ، أو تربية الماشية ، أو ..؟

قاطعه (رمزى) :

ـــ لأنهم لا يدركون شيئًا من هذا .

صمت (أكرم) تمامًا ، وبدا من الواضح أن منطق (نور) و (رمزى) قد وجد طريقه إلى عقله ، ولكن انعقادة حاجبيه أشارت إلى عناده الشديد فى الاعتراف بهذا ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد تجاوز هذه النقطة بانحناءة بارعة فى الحديث ، وهو يسأل (نور) بغتة :

ـــ ولكن ماذا سنفعل ، بشأن ذلك الحصن اللعين ؟

أدرك (نور) محاولته لتفادى الحديث ، فتبعه إلى ما يرغب ، وأجابه :

ـــ ينبغى أن نضع خطة مناسبة .

سأله (أكرم) :

ـ مثل ماذا ؟

همّ (نور) بشرح خطته ، ولكن (رمزى) تراجع فجأة بحركة حادة ، صائحا .

ـ يا إلهى !.. انظرا .

التفت (نور) و (أكرم) فى سرعة مدهشة إلى حيث أشار ، ثم تراجعا فى عنف ، وهتف (نور) :

ـ يا إلهى !.. ما هذا ؟

واتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، وهو يحدق فى ذلك الشىء الضخم ، الذى يقف أمامهم بعينيه الواسعتين ..

وكان ذلك الشىء كائنا عجيبًا ..

أو وحشا مخيفًا .

* * *

٣ ـ الأشرار ..

انعقد حاجبا (رالف) فى شدة ، وهو يتطلع إلى شاشة الراصد الحرارى ، وقال فى غضب :

ـ لقد أفلتا بمعجزة .

تنهّد الدكتور (رشاد) فى ارتياح ، وقال :

ـ حمدًا لله .

التفت إليه (رالف) فى غضب ، ورمقه بنظرة نارية ، ثم لم تلبث شفتاه أن حملتا ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ـ ولكنهما سيواجهان شكلًا أكثر عنفًا من أشكال الموت .

سأله الدكتور (رشاد) فى قلق :

ـ ماذا تعنى ؟

أشار (رالف) بذراعه إشارة مبهمة ، وهو يقول :

ـ أنسيت أن المكان كله يزخر بآكلى لحوم البشر .

قال الدكتور (رشاد) فى حزم :

— سيجدون وسيلة للفرار منهم ، والتغلّب عليهم بإذن الله .

هزّ (رالف) كتفيه ، وقال :

— فليكن .. لن نقلق أذهاننا بهذا الأمر الآن .

ثم أشار إلى رجل يرقد فوق منضدة الجراحة ، مستطردًا :

— فأمامنا عمل شاق .

زفر الدكتور (رشاد) ، وهو يهزّ رأسه فى يأس ، فسأله (رالف) فى صرامة :

— هل درست النشاط الإشعاعى للجماجم البشرية ؟

أومأ (رشاد) برأسه إيجابًا ، وقال :

— نعم .. إنه مرتفع بمقدار عشر درجات ، عن المعدّل الذى يمكن أن تحتمله العقول البشرية .

سأله (رالف) فى اهتمام :

— وهل يمكن تخفيفها ؟

هزّ (رشاد) كتفيه ، وقال :

— ربّما .. لو أننا نمتلك جهاز امتصاص اشعاعى ، من تلك الأجهزة التى ابتكرها الفرنسيون عام ألف وتسعمائة وتسعة وتسعين ، فقد يمكننا أن ..

قاطعه (رالف) بلهجة ظافرة :

— إننا نمتلكه .

ثم اندفع نحو دولاب أدواته ، وفتحه بحركة حادة ، وأشار إلى جهاز فى حجم صندوق متوسط ، وهو يقول فى فخر :

— ها هو ذا .

حدّق (رشاد) فى الجهاز بذهول ، وهتف :

— من أين حصلت عليه ؟

قهقه (رالف) ضاحكًا ، وهو يقول :

— سيدهشك أن تعلم .. لقد حصلت عليه من وحدة الإسعاف ، التابعة لسجن القمر ، فقد كانوا يحتفظون به احتياطيًا ، خشية أن يهبط أى نيزك ، له نشاط إشعاعى ، على سطح القمر .

اتجه الدكتور (رشاد) إلى الجهاز ، وراح يتحسّسه فى حذر ، وهو يقول فى حماس :

— رائع .. هذا يعنى أننا نستطيع امتصاص النشاط الإشعاعى الزائد ، من جماجم البشر ، فنعيد عقولهم للعمل ، كما كانت من قبل ، و ..

قاطعه (رالف) فى صرامة :

— ليس كما كانت من قبل .

التقى حاجبا الدكتور (رشاد) فى ضيق ، وهو يقول :

— أما زلت تصرّ على خطتك هذه ؟

أجابه (رالف) فى خشونة :

— لكل منا أسلوبه .

ثم شدّ قامته ، متابعًا فى زهو :

— سأعيد إلى البشر نصف حضارتهم ، ونصف عقولهم ، بحيث يصبحون رعايا أفضل ، وأكثر جودة ، فى امبراطوريتى العظيمة ، التى سأحكمها إلى الأبد .

قال (رشاد) فى حنق :

— وهل تتصوّر أنه من السهل السيطرة على العالم ، بعد أن يستعيد نصف عقله ؟

لوّح (رالف) بذراعه ، وقال فى ثقة :

— بالتأكيد .. عندما يستعيد البشر نصف مافقدوه ، بقنبلة عكسية ، نصنعها أنا وأنت ، سيصبحون أشبه بما كان عليه سكان الأرض ، فى القرن الثالث عشر ، أو الرابع عشر الميلادى ، ويمكنك أن تتصوّر مايمكن أن يحدث لقوم كهؤلاء ، عندما يواجهون أسلحة جيش من القرن الحادى

والعشرين .. إنهم سيصابون بالهلع حتمًا ، وسيخضعون لقوة هذا الجيش ، الذى سأعيد إليه مقدارًا أكبر من العقل والحضارة ، بحيث لايفوق عقليتى وذكائى ، وبحيث أصبح أنا الامبراطور بلا منازع .

قالها ، وراح يُطلق ضحكات شيطانية ظافرة ، ارتجف لها قلب الدكتور (رشاد) بين ضلوعه ، وأيقن منها أن العالم يواجه شيطانًا بشريًا جديدًا ..

وعهدًا مخيفًا ..

* * *

أطلق (محمود) تنهيدة عميقة ، وهو يتراجع عن شاشة الكمبيوتر ، قائلاً فى أسف :

— لايوجد أدنى أثر لذلك البرنامج ، فى ذاكرة الكمبيوتر .

تراجعت (سلوى) فى مرارة ، وتجمّعت قطرة دمع كبيرة فى عينيها ، دون أن تنبس ببنت شفة ، فى حين تطلّعت إليها (مشيرة) فى إشفاق ، وهتف الدكتور (حجازى) :

— ولكن كيف ؟.. إنه ليس وهمًا بالتأكيد ، فقد رأينا جميعًا تلك الرسالة ، وهى ترتسم على شاشة الكمبيوتر .

هزّ (محمود) رأسه ، وقال :

ــ ولقد اختبرتها بنفسى ، وكشفت أمامكم أن برنامج الكمبيوتر مغلق بأسلوب شديد التعقيد ، لايمكن أن تضعه سوى (نشوى) ، بصفتها خبيرة الكمبيوتر بالفريق .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حذر :

ــ سابقًا .

اعتدل رأس (سلوى) فى حركة حادة ، ثم أطلقت لدموعها العنان ، فأسرع الدكتور (حجازى) يقول :

ــ لست أفهم فى الواقع صعوبة وجود برنامج كمبيوتر مغلق ، فأى طفل فى نهاية المرحلة الابتدائية ، يمكنه وضع برنامج كمبيوتر مغلق .

وافقه (محمود) بإيماءة من رأسه ، وقال :

ــ هذا صحيح يادكتور (حجازى) ، بالنسبة للأساليب التقليدية لوضع البرامج المغلقة ، ولكن أى محترف مثلنا يعرف المعادلة المطلوبة ، لفتح أى برنامج مغلق ، فيما عدا برامج خاصة ، يتمّ إغلاقها بمعادلات شديدة التعقيد ، يستحيل الوصول إليها ، ومثل هذه البرامج الخاصة تحتاج إلى خبير محترف ، مثل ...

صمت لحظة ، اختلس خلالها نظرة جانبية إلى (سلوى) ، قبل أن يستطرد فى خفوت :

ــ مثل (نشوى) .

اعتدل الدكتور (حجازى) وحكّ ذقنه بسبّابته ، مغمغمًا :

ــ هذا يزيد الأمر تعقيدًا .

نهضت (سلوى) بحركة حادة ، فى هذه اللحظة ، وقالت فى توتر :

ــ سأذهب للنوم ، فأنا مرهقة للغاية .

غادرت المكان فى خطوات سريعة ، دون أن يحاول أحدهم منعها ، وران بعد انصرافها صمت رهيب على المكان ، قطعه الدكتور (حجازى) ، مغمغمًا فى إشفاق :

ــ يا للمسكينة !

تنهّدت (مشيرة) ، وقالت :

ــ إنها عاجزة عن احتمال فقد ابنتها .

قال الدكتور (حجازى) :

ــ كلنا كذلك .

ثم أضاف ، وهو يلتفت إلى الكمبيوتر :

ـــ وخاصة بعد أن رأينا ما حدث .

رفع (محمود) عينيه إليه ، وقال :

ـــ كيف تفسّر ما رأيناه يا دكتور (حجازى) ؟

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه فى حيرة ، وقال :

ـــ لست أدرى فى الواقع يا (محمود) ، فما حدث هو ظاهرة خارقة للمألوف ، بكل المقاييس ، ولا أحد يمكنه وضع تفسير مناسب له .

قال (محمود) فى اهتمام :

ـــ أتظن أن (نشوى) على قيد الحياة ؟

بدا له سؤاله سخيفًا ، مما جعله يستدرك فى سرعة :

ـــ أعنى أمن الممكن أن يكون شىء ما قد حدث ، أو ..

مرة أخرى بدا له السؤال سخيفًا ، فبتره قبل أن يكمله ، ولاذ بالصمت ، وهو يحدّق فى شاشة الكمبيوتر الخالية ، وخيّم الصمت مرة أخرى على المكان ، قبل أن تهتف (مشيرة) فجأة :

ـــ انظرا !!.. ما الذى يفعله ذلك الآلى ؟

التفت (محمود) والدكتور (حجازى) إلى شاشة الراصد ، وتطلّعا إليها فى دهشة ، وقال الدكتور (حجازى) فى حيرة تمتزج بالقلق :

ـــ حقًا .. ما الذى يفعله (س ١٨) ؟

وكان ما يفعله (س ١٨) عجيبًا ..

عجيبًا بالفعل ..

* * *

مضت لحظة مخيفة من الصمت ، حدّق خلالها (نور) و (رمزى) و (أكرم) فى ذلك الوحش الرهيب ، الذى بدا أشبه بغوريلا ضخم ، له وجه يجمع ما بين فك الذئب ، وعينى البومة ، وأذنى الثعلب ، وأنياب تمساح رهيب ..

وفى صمت تام ، راح ذلك الوحش يتطلّع إلى الثلاثة ، و (رمزى) يقول فى توتر بالغ :

ـــ ما هذا الشىء ؟

أجابه (نور) :

ـــ ربما هو نوع من الكائنات العادية ، التى تعرّضت بسبب أشعة (جاما) إلى ..

قاطعه (أكرم) ، وهو يرفع فوهة بندقيته الليزرية فى وجه ذلك الوحش ، صارخًا :

ـــ فلنؤجل هذه المناقشة العلمية لما بعد ، حتى ننسف رأس ذلك الوحش الـ ...

تراجع الوحش فجأة فى ذعر ، ولوّح بذراعيه ، هاتفًا :

ـ مهلًا يا رجل .. مهلًا .

تجمّدت أصابع (أكرم) فوق زناد بندقيته الليزرية ، واتسعت عيناه فى ذهول ، شاركه إياه (نور) و (رمزى) ، فى حين هتف هو :

ـ وحش متكلّم ؟!.. أى عبث شيطانى هذا ؟

أمسك الوحش رأسه ، ونزع عنها عن ذلك الزى المخيف ، فبدا من تحته وجه رجل نحيل ، حليق ، يهتف فى لهجة عابثة :

ـ من المؤسف أن ألقى مصرعى ، فى اللحظة التى عثرت فيها على بشر يتمتعون بكامل قواهم العقلية .

حدّق الثلاثة فى وجه الرجل لحظات فى دهشة ، وخفض (أكرم) بندقيته ، و (نور) يسأل الرجل :

ـ من أنت ؟

انحنى الرجل فى حركة مسرحية ، وهو يقول فى مرح :

ـ (نادر فوزى) ، فى خدمتكم .

ولم يكد يعتدل ، حتى هتف :

ـ يا إلهى !.. إنك الرائد (نور) ، بطل التحرير .. إننى أعرفك يا رجل .. يا لسعادتى .



تراجع الوحش فجأة فى ذعر ، ولوّح بذراعيه ، هاتفًا :
ـ مهلًا يا رجل .. مهلًا ..

سأله (نور) فى اهتمام :

— ولكن كيف نجوت يا (نادر) ، من تأثير قنبلة (جاما) ؟ ولماذا ترتدى هذا الزى العجيب ؟

لوّح (نادر) بكفه ، وقال :

— لست أدرى كيف نجوت ، ولكننى أعمل فى قاعة مصفاة بترول قديمة ، عندما دوى ذلك الانفجار الهائل ، ففقدت الوعى ليومين كاملين . وبعدها أفقت لأجد نفسى غارقًا فى بحر من العرق ، وغادرت المصفاة ، لأجد العالم كما تراه اليوم ، همجيًا متخلفًا .

سأله (أكرم) فى حيرة :

— وكيف أنقذتك تلك المصفاة ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

— كل أنواع الوقود تحوى فى تركيبها مادة الرصاص ، ومع مرور الوقت يترسّب الرصاص على جدران المصفاة ، فيصنع طبقة عازلة للإشعاع (*) .

ثم التفت إلى (نادر) ، مستطردًا :

— ولكنك لم تجب بعد الجزء الثانى من سؤالى .. لماذا ترتدى هذا الزى العجيب ؟

(*) حقيقة علمية .

ابتسم (نادر) ، وجلس على الصخرة التى كان يقف فوقها ، وقال :

— إننى مجرّد عامل عادى ، لا أجيد استخدام الأسلحة النارية ، ولقد أفزعنى ما آل إليه الحال هنا ، وخشيت أن تثير بدانتى شهية هؤلاء المتوحشين ، وأعجز عن الدفاع عن نفسى ، فأصبح طعامًا لهم ، ولقد عثرت على هذا الزى فى مدينة السينما فى منطقة الأهرامات ، فارتديته لأثير رعبهم ، وأتقى شرّهم .

ابتسم (رمزى) ، وهو يقول :

— فكرة جيّدة .

هزّ (نادر) كتفيه ، وقال فى مرح :

— إنها أفضل ما لدى .

أومأ (نور) برأسه ، وقال :

— هذا يجعلنا أربعة ، فى مواجهة هذا الحصن .

قال (نادر) فى قلق :

— الحصن ؟!.. أتعنى حصن الأشرار ؟

مطّ (أكرم) شفتيه ، وقال :

— ياله من اسم لفيلم سينمائى عتيق !

قال (نادر) فى حماس :

ـــ ولكنه كذلك بالفعل ، فمنذ هبوط هؤلاء الأشرار الثلاثة من الفضاء ، وهم يحتلون قلعة (قايتباى) ، ولقد جعلوا منها حصنًا لهم ، وأسروا عشرات من هؤلاء الهمج ، ليصنعوا منهم خدمًا وعبيدًا لهم .

سأله (نور) فى اهتمام بالغ :

ـــ إذن فهم ثلاثة فقط .. أأنت واثق من هذا ؟

أجابه (نادر) :

ـــ كل الثقة ، فلقد راقبت القلعة أكثر من مرة ، بمنظار مقرّب ، ولم أر أبدًا سوى هؤلاء الثلاثة .

ثم استدرك فى سرعة :

ـــ ولكن يوجد رجل رابع أيضًا ، اختطفه أحدهم ، وأتى به إلى القلعة .

هتف (رمزى) :

ـــ إنه الدكتور (رشاد) .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى حزم :

ـــ لابد إذن من اقتحام هذا الحصن .

ارتفع حاجبا (نادر) ، وهو يهتف مستنكرًا :

ـــ تقتحم حصن الأشرار ؟!.. لابد أنك تهزل يا رجل .

سأله (نور) فى هدوء :

ـــ لماذا ؟

لوّح (نادر) بذراعيه ، هاتفًا :

ـــ اقتحام ذلك الحصن مستحيل حتمًا .. أنت لاتدرى ما فعلوه به .. لقد وضعوا مدفعًا ليزريًا فوق كل برج من أبراج القلعة ، والأدهى من ذلك أنهم أحاطوها بجدار من الطاقة ، تعجز حتى الدبابات عن اختراقه .

أشار (نور) إلى رأسه ، قائلاً :

ـــ ولكن لن تعجز العقول عن ذلك .

سأله (أكرم) فى توتر :

ـــ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟

ابتسم (نور) ابتسامة غامضة ، وقال :

ـــ إن لدى خطة .

ثم شرح لهم خطته لاقتحام الحصن .. حصن الأشرار .

* * *

٤ — فى عقل آلى ..

تطلّع أفراد الفريق إلى شاشة الراصد ، فى مزيج من الحيرة والقلق ، يتساءلون عما يفعله (س ١٨) بالضبط ، فقد أخذ الأثلاثى الآلى يدور حول نفسه فى بطء ، وجسده يتوهّج ببريق متغيّر الألوان ، يتراوح بين البرتقالى والأصفر والأخضر ، فى تتابع بطىء ، جعل (محمود) يقول فى حذر :

— ما الذى يفعله بالضبط ؟

قالت (مشيرة) فى رعب :

— ربّما ينوى نسفنا بسلاح جديد .

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه نفيًا ، وقال :

— لا .. لست أظن هذا ، فبرنامجه الآلى لا يحوى تلك الأساليب المعقّدة ، ولو أراد القضاء علينا ، لفعل هذا بأسلوب مباشر .

قال (محمود) فى قلق :

— لا تنس أنه لا يتصرّف على نحو منطقى ، منذ فترة

صمت الدكتور (حجازى) لحظات ، وهو يتطلّع إلى تلك الحركة التتابعية البطيئة ، التى يؤديها (س ١٨) دون انقطاع ، ثم أجاب فى خفوت :

— كلّا يا (محمود) .. هذا الأسلوب لا يوحى بالرغبة فى الهجوم ، بقدر ما يوحى بأنه هناك أمر ما ، يدور فى ذلك العقل الآلى .. أمر غامض ..

وكان الدكتور (حجازى) على حق ..

لقد كان هناك أمر هام يدور فى عقل (س ١٨) الآلى بالفعل ..

إن برنامجه يشعر بوجود خلل ما فى أجهزته ، يدفعه إلى إتيان أفعال عجيبة ، سرعان ما يرفضها منطقه الآلى المحكم ، فيتوقّف عن أدائها ..

وكان عليه أن يبحث هذا الخلل ..

وفى أثناء ذلك الدوران البطىء ، كان (س ١٨) يفحص كل دائرة من دوائره ، وكل سلك من أسلاكه .

ولكن نتائج الفحص كانت كلها سلبية ..

كل دوائره سليمة ، وكل أسلاكه تؤدى عملها كما ينبغى ..

ولكن هناك نوع ما فى الطاقة السلبية ، ينبعث من صدره ، ويربك برنامجه ..

طاقة عجيبة ، لم يختبر (س ١٨) مثلها قط ، على الرغم من كل ما واجهه من أخطار ، عبر حياته الآلية الطويلة ..

وباستخدام آلة التصوير التكبيرية الداخلية الدقيقة ، التقط ذهن (س ١٨) صورة لذلك القرص المعدنى ، ذى النقوش العجيبة ، الذى يستقرّ فى أعماقه ، والذى تنبعث منه تلك الطاقة السلبية العجيبة ..

وبسرعة استعاد عقل (س ١٨) الآلى علاقاته بذلك القرص المعدنى ..

استعاد تلك اللحظة ، التى وضعه فيها (نور) فى صدره(*) ..

استعاد كل معلوماته عن القرص ، وذلك الكائن ، الذى ينبعث منه(**) ..

وهنا ..

هنا فقط توقّف (س ١٨) عن الدوران ..

وفى مقر الفريق ، قال الدكتور (حجازى) فى اهتمام

(*) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٨٠) .

(**) راجع قصة (ابن الشيطان) .. المغامرة رقم (٧٢) .

بالغ ، وهو يتابع على الشاشة صورة (س ١٨) ، الذى توقّف عن الدوران :

— يبدو أنه قد انتهى مما يفعله .

هتف (محمود) فى دهشة :

— ولكن ما الذى يفعله الآن ؟

كان (س ١٨) ، فى هذه اللحظة ، يطلق صواريخه الخلفية ، ويرتفع عن الأرض فى بطء ، ثم لم يلبث أن اندفع فجأة إلى الفضاء ، كصاروخ صغير ، فصاحت (مشيرة) :

— إنه يغادر الأرض .

تابع الدكتور (حجازى) المشهد ، حتى اختفى (س ١٨) فى الفضاء والظلام ، ثم هزّ رأسه ، مغمغمًا :

— ربما كان هذا أفضل ، فى الوقت الحالى ..

أشار (محمود) إلى الشاشة الأخرى ، وهو يقول :

— لقد رحل ، وترك لنا هذا .

تعلّقت عيون الثلاثة بتلك الدائرة الفضائية ، التى تركتها طاقة البروتون فى السماء ، وامتلأت نفوسهم بشعور عجيب ..

شعور الخوف ..

* * *

تابع (رالف) فى اهتمام بالغ ، الخطوات الدقيقة الحذرة ، التى يقوم بها الدكتور (رشاد) ، لامتصاص الطاقة من جمجمة الهمجى ، الراقد فى سبات صناعى عميق ، فوق منضدة العمليات الجراحية ، وتألقت عيناه ببريق الظفر ، وهو يقول :

— هل امتصصت الطاقة كلها ؟

أومأ (رشاد) برأسه إيجابًا ، وقال :

— نعم .. كلها تقريبًا ، ولن نلبث أن نعرف نتائج ذلك ، عند استيقاظ هذا الرجل .

قال (رالف) فى لهفة :

— فلنوقظه إذن .

أشار إليه (رشاد) فى توتر ، قائلاً :

— مهلاً .. إيقاظه بعنف قد يفسد عملنا كله .

عقد (رالف) حاجبيه فى ضيق ، وعاد يجلس على مقعده ، قائلاً فى عصبية :

— فليكن .. سأنتظر .

وعادت ابتسامته الوحشية إلى شفتيه ، وهو يستطرد :

— مادام الانتظار سيحقق لى السيطرة الكاملة ، التى أسعى إليها .

انبعث فى تلك اللحظة صوت خشن غليظ ، من مدخل القبو ، يقول :

— هل تسعى حقًا للسيطرة الكاملة يا (رالف) ؟

التفت (رالف) فى حركة حادة ، إلى حيث يقف (جيسى) معقود الحاجبين ، واضح الغضب ، على نحو أثار خوف (رشاد) وقلقه ، فى حين قفزت إلى وجه (رالف) فجأة ابتسامة أنيقة ، وهو يقول :

— نعم يا عزيزى (جيسى) .. إننى أسعى للسيطرة الكاملة ، بحيث يصبح ثلاثتنا أباطرة العهد الجديد .

قال (جيسى) فى غضب :

— ثلاثتنا أم أنت وحدك يا (رالف) ؟

لوّح (رالف) بذراعيه ، هاتفًا بنفس الابتسامة المرحة :

— بل ثلاثتنا بالطبع يا عزيزى (جيسى) .. لقد بدأنا هذا العمل معًا ، وسنجنى حصاده معًا .

صرخ (جيسى) فجأة فى ثورة :

— كاذب .

انعقد حاجبا (رالف) فى غضب ، وسرت ارتجافة قلقة فى جسد الدكتور (رشاد) ، فى حين تابع (جيسى) بنفس الثورة :

ـ لقد أعددت خطتك ببراعة تُحسد عليها يا (رالف) ، ولكنك نسيت نقطة واحدة كانت سببا فى فشل لعبتك كلها .. نسيت أننى بطبعى لا أمنح الثقة لأى مخلوق فى هذا الكون ، مهما كانت الأسباب .

وفى حركة عنيفة سريعة ، انقضّ على لوحة أزرار المراقبة ، وانتزع من إطارها جزءًا صغيرًا ، رفعه فى وجهى (رشاد) و (رالف) ، مستطردًا :

ـ ولهذا وضعت جهاز التصنت البسيط هذا هنا .

وأشار إلى صدره ، متابعًا فى وحشية غاضبة :

ـ ولقد نقل إلىّ كل حرف نطقت به هنا يا (رالف) .

بدا التوتر لحظات على وجه (رالف) ، ثم لم يلبث أن استعاد ابتسامته الواثقة ، وهو ينحنى نحو مكتبه ، قائلًا :

ـ من المؤكّد أنك قد أسأت فهم أو تفسير ما سمعته ، فأنا لم أشر قطّ إلى نية الاستيلاء على كل شىء وحدى يا عزيزى (جيسى) .

انتزع (جيسى) مسدسه الليزرى فجأة ، بحركة سريعة ، وصوّبه إليه ، هاتفًا :

ـ حذار يا (رالف) .. حذار أن تمسّ شيئًا .. إننى لم أنس بعد ألاعيبك فى سجن القمر ، مع الحرّاس والمساجين

اعتدل (رالف) فى غضب ، وهو يقول :

ـ إنك ترتكب أكبر خطأ فى حياتك يا (جيسى) .

أطلق (جيسى) قهقهة وحشية مخيفة ، وقال :

ـ كنت سأفعل حقًا ، لو تركتك تلمس شيئًا ، أو تعبث بشىء يا (رالف) ، فتنطلق نحوى أشعة قاتلة ، من مصباح بالسقف ، أو نقش بالحائط .. لا يا عزيزى (رالف) .. إننى أدرك جيدًا ما يمكنك فعله ، وما أحضرت ذلك المصرى من أجله .

قال الدكتور (رشاد) فى توتر :

ـ لا شأن لى بصراعاتك هذه .. إننى هنا لبحث كيفية إعادة العقول والحضارة إلى البشر فحسب .

أجابه (جيسى) فى حدة :

ـ لا بأس .. إننى أعزلك من منصبك .

قال (رالف) فى توتر عصبى :

ـ من الضرورى أن نعيد إلى البشر جزءًا من عقولهم يا (جيسى) ، وإلا فلن نحكم سوى عالمًا من الهمج .

هزّ (جيسى) كتفيه ، وقال فى استهتار شرس :

ـ إننى أفضله هكذا .

ثم صوّب مسدسه نحو الدكتور (رشاد) ، مستطردًا :

ــ ولهذا سأزيح مساعدك أولًا .

تراجع الدكتور (رشاد) فى رعب ، وهو يهتف :

ــ لا .. أقسم لك ألا شأن لى بكل هذا .

ولكن (جيمى) أطلق ضحكة وحشية مخيفة ..

وتألق القبو ببريق أشعة ليزر قاتلة ..

* * *

رفع (نادر) حاجبيه فى دهشة ، وهو يستمع إلى (نور) ، ثم هتف فى استنكار :

ــ مستحيل أيها الرائد (نور) .. خطتك هذه أشبه بالانتحار .

أجابه (نور) فى هدوء :

ــ ولكنها الوسيلة الوحيدة لدخول ذلك الحصن .

قال (أكرم) فى حدة :

ــ المشكلة ليست فى دخول الحصن ، بل فى الخروج منه ، على قيد الحياة .

ربّت (رمزى) على كتفيه ، وقال :

ــ دعنا ندخله أولًا ، ولنؤجل التفكير فى الخروج منه لما بعد .

هتف (أكرم) فى حدة :

ــ انكما مجنونان .

سأله (نور) :

ــ أيعنى هذا أنك لن تشاركنا المهمة ؟

صاح غاضبًا :

ــ ليس من أجل هؤلاء الهمج .

لم يجادله (نور) ، وإنما التفت إلى (نادر) ، يسأله :

ــ وماذا عنك ؟

صمت (نادر) لحظات ، ثم هز كتفيه ، قائلًا :

ــ لقد سئمت حياة الخوف هذه .. نعم .. سأشارككما مهمتكما أيها الرائد ، وإن كنت أشك فى أن أكون ذا فائدة لكما .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ــ ستكون كذلك بإذن الله .

ثم أخرج جهازًا لاسلكيًا صغيرًا من حزامه ، وقال :

ــ على بركة الله .. والآن سنبدأ الخطة .

وبدأ خطته ..

وبدأت رحلة الخطر .

* * *

٥ ـ الخدعة ..

« أماه .. أنا هنا » .

حاولت (سلوى) أن تخترق حجب الضباب الكثيف بنظرها ، وهى تهتف فى لوعة :

ـ أين أنت يا (نشوى) ؟.. أين أنت يابنيتى ؟

خيل إليها أنها تلمح شبح ابنتها ، وسط الضباب ، وهى تجيب بصوت عميق :

ـ أنا هنا ياأماه .. حولك .. حولكم جميعًا ، ولكننى أعجز عن الوصول إليكم .

هتفت (سلوى) :

ـ لماذا يا (نشوى) ؟.. لماذا تعجزين عن الوصول إلينا يابنيتى ؟

أجابتها (نشوى) ، وصوتها يخفت ويبتعد :

ـ هناك حاجز أعجز عن اختراقه ياأماه .. حاولوا أنتم .. فرصتكم أكبر من فرصتى .

صاحت (سلوى) ، وهى تمد يدها فى يأس ، إلى حيث يتلاشى شبح ابنتها :

ـ كيف نفعل يا (نشوى) ؟.. كيف نصل إليك ؟

جاءها الصوت خافتًا ضعيفًا :

ـ ربما عبر الضوء .. عبر الدائرة الخضراء ، أو ...

تلاشى صوتها دفعة واحدة ، واختفى شبحها وسط الضباب ، فهتفت (سلوى) فى لوعة :

ـ لاتذهبى يا (نشوى) .. لاتذهبى .. (نشوى) .. (نشوى) ..

هبت جالسة على فراشها ، وهى تواصل صراخها باسم ابنتها ، ثم اتسعت عيناها فى هلع ، وهى تتطلع إلى جدران حجرتها ، ثم لم تلبث أن انفجرت باكية ، وهى تهتف :

ـ إنه نفس الحلم .. نفس الحلم مرة أخرى .

وفى نفس هذه اللحظة ، كان الدكتور (حجازى) يسأل (محمود) ، أمام شاشة الراصد :

ـ ولكن ما هذه الدائرة اللامعة ، التى تركتها طاقة البروتون فى الفضاء ؟

هز (محمود) رأسه ، وقال :

— لست أدرى بالضبط يا دكتور (حجازى) ، فليس من المنطقى أن تتوقف الأشعة هكذا فى الفضاء .

سأله الدكتور (حجازى) :

— ألا توجد ظواهر علمية مماثلة ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

— لا .. لا أظن هذا .

أشارت (مشيرة) إلى الدائرة اللامعة ، وهى تقول :

— الواقع أننى ، عبر حياتى كلها ، لم أشاهد أبدًا شيئًا كهذا ، أو ..

قاطعتها شهقة قوية ، جعلتها تلتفت فى سرعة ، مع (محمود) والدكتور (حجازى) إلى مصدرها ، وهنا وقع بصر ثلاثتهم على وجه (سلوى) ، الذى بلغ شحوبه حدًّا مخيفًا ، جعله أشبه بوجوه الموتى ، وهى تحدّق فى شاشة الراصد ، التى تنقل صورة الدائرة اللامعة ، بعينين كادتا تقفزان من محجريهما ، من شدة الاتساع والجحوظ ، فهتف بها (محمود) :

— (سلوى) .. ماذا هناك ؟

أشارت بأصابع مرتجفة إلى الشاشة ، قائلة فى صوت متحشرج مختنق :

— إنها هى .. إنها دائرة الضوء الخضراء ، التى ستقودنا إليها .

تطلّعوا إلى بعضهم البعض فى حيرة وقلق ، ثم سألها الدكتور (حجازى) :

— إلى من ؟.

ازداد شحوبها ، وارتجف صوتها أكثر وأكثر ، وهى تجيب :

— إلى ابنتى .. إلى (نشوى) .

وارتجفت قلوبهم فى رهبة ..

* * *

انتفض جسد الدكتور (رشاد) فى قوة ، والتصق بالحائط فى رعب ، مع تألّق شعاع الليزر فى القبو ، وخيّل له أن الأشعة ستنقضّ عليه بلا رحمة ، وتسحقه سحقًا ..

ولكن هذا لم يحدث ..

لقد ظلّ هو على قيد الحياة ، على الرغم من ذلك الصمت الرهيب ، الذى أحاط به ، ورائحة الشواء ، التى تصاعدت فى المكان ..

وفى بطء ، فتح الدكتور (رشاد) عينيه ، إلا أنهما أفلتتا

منه في سرعة ، واتسعتا عن آخرهما ، وهو يحدق في ذلك المشهد الرهيب ، الماثل أمامه ..

لقد اختفى (جيمس) ..

اختفى ، دون أن يترك خلفه سوى ساقين محترقتين ، وكومة من الرماد ، وبقعة سوداء كبيرة على الحائط ..

أما (رالف) ، فقد بقى خلف مكتبه مبتسمًا ابتسامة رهيبة مخيفة ، أقسم الدكتور (رشاد) أنه لم ير أبغض منها في عمره كله ..

وبكل الحيرة والخوف في أعماقه ، قال الدكتور (رشاد) :

ـ ماذا حدث ؟

أجابه (رالف) ، في لهجة متشفية ساخرة :

ـ لقد نال ما يستحق .

هتف الدكتور (رشاد) :

ـ كيف ؟!

أشار (رالف) إلى حافة مكتبه ، قائلًا في ازدراء :

ـ ضغطة واحدة من قدمي ، على أحد أقدام مكتبي ، أطلقت نحوه حزمة من أشعة الليزر ، طحنته طحنًا .



لقد اختفى (جيمس) ..
ـ اختفى ، دون أن يترك خلفه سوى ساقين محترقتين ..

ثم لوّح بكفه ، وكأنما لاينبغى أن يستوقفه ما حدث .

وأكمل :

ـــ دعك منه .. فلنعد إلى عملنا .

ارتجف الدكتور (رشاد) ، وهو يسأله :

ـــ وماذا عن الإيطالى ؟

هزّ (رالف) كتفيه ، وقال :

ـــ لست أظنه شعر بما حدث ، وعلى أية حال ، سيحين دوره قريبًا .

ثم تابع بلهجة مختلفة :

ـــ والآن ماذا عن فأر التجارب ؟.. ألم تحن لحظة إيقاظه بعد ؟

تمتم الدكتور (رشاد) ، وهو يقاوم شعورًا عاتيًا بالغثيان ، ملأ نفسه حتى الأعماق :

ـــ بلى .. يمكننا إيقاظه فى أية لحظة الآن .

انبعث بغتة صوت (نور) ، عبر جهاز لاسلكى ، وهو يقول :

ـــ دكتور (رشاد) .. هل تسمعنى ؟.. أنا الرائد (نور) .. هل تسمعنى ؟

هوى قلب (رشاد) بين ضلوعه ، فى حين اتسعت عينا (رالف) فى ظفر ، وهو يقول :

ـــ الرائد (نور) ؟!.. يالحسن حظى اليوم !

عاد نداء (نور) يتكرّر فى إلحاح ، فقال الدكتور (رشاد) فى توتر :

ـــ دعك منه ، ولنواصل عملنا .

تألقت عينا (رالف) ، وهو يقول :

ـــ خطأ يا دكتور (رشاد) .. الصحفى يمكن إيقاظه فى أية لحظة ، أما الإيقاع بالرائد (نور) ، بطل حرب التحرير ، فهى فرصة لاتعوّض .

ثم التقط مسماع جهاز اللاسلكى ، وقال :

ـــ هنا (رالف هينريش) .. هل تسمعنى أيها الرائد (نور) ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـــ نعم .. أسمعك .. أين الدكتور (رشاد) ؟

قال (رالف) فى نشوة :

ـــ إننى أحتفظ به .. هل ترغب فى استعادته ؟

أتاه صوت (نور) ، يقول بنفس الهدوء :

— بكل تأكيد .

قبضت أصابع (رالف) على المسماع فى قوة ، وهو يقول :

— تعال لأخذه إذن .

قال (نور) فى بساطة :

— كنت أتمنى هذا ، ولكن ذلك الجدار الكهرومغنطيسى يعوقنى .

عقد (رالف) عينيه ، والتفت إلى (رشاد) ، قائلاً :

— إما أن (نور) هذا أحمق ساذج ، أو أنه أشجع رجل عرفته فى عمرى كله .

ثم قال فى المسماع :

— لا تجعل جدار الطاقة هذا يُقلقك .. سأرفعه فور قدومك .. هيا .. أنا فى انتظارك .

أجابه (نور) :

— سأحضر على الفور ، وأرجو أن تبلغ الدكتور (رشاد) أننى أحمل له تلك الدوائر البالغة الدقة ، التى يحتاجها فى عمله .

غمغم (رالف) ، محاولاً إخفاء انفعاله :

— اطمئن .. سأبلغه .

شعر الدكتور (رشاد) بالحيرة ، عند سماعه الجزء الأخير من الحديث ؛ فهو يعلم جيدًا أنه لم يطلب أية دوائر بالغة الدقة ، ولكنه أدرك أن (نور) يرمى بهذا إلى إحكام خطة ما ، فلم ينبس ببنت شفة ، أو يُبدى اعتراضًا ، وإن راح يدعو الله (سبحانه وتعالى) فى أعماقه ، أن تفلح خطة (نور) .. أيًا كانت ..

* * *

لم يكد (نور) يُنهى اتصاله ، حتى سأله (أكرم) فى اهتمام :

— ما هذه الدوائر البالغة الدقة ، التى تحملها للدكتور (رشاد) ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

— لست أحمل أية دوائر بالطبع .

هتف به (نادر) :

— لماذا أخبرت (رالف) هذا بذلك إذن ؟

أجابه (رمزى) :

— حتى لا يطلق عليه مدفعًا من مدافع الليزر ، قبل اختراقه جدار الطاقة .

التفت إليه (نور) ، وقال مبتسمًا :

ـــ رائع يا (رمزى) .. من الواضح أنك أصبحت تفهم أسلوبى كثيرًا .

تألقت عينا (نادر) فى مرح ، وهتف :

ـــ رائع .. إنكما تعدان خطة نفسية أيضًا .

أما (أكرم) ، فقد عقد حاجبيه ، وقال :

ـــ وحتى لو لم يطلق مدافعه عليك ، وأنت خارج القلعة ، فكيف تضمن أنه سيتركك على قيد الحياة ، بعد أن تدخل إليها ؟

أشار إليه (نور) ، قائلًا :

ـــ هذه مهمتكم .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـــ تقصد مهمتهما ، فلن أشارككم هذه العملية الانتحارية .

ثم حمل بندقيته الليزرية ، مستطردًا :

ـــ أنا ذاهب .

قال (رمزى) فى أسف :

ـــ وداعًا .

ابتعد ببندقيته فى خطوات سريعة ، دون أن يحاول أحدهم منعه ، ثم هزَّ (نور) رأسه فى أسف ، قائلًا :

ـــ يا للخسارة !

إلا أنه لم يلبث أن استعاد حزمه فى سرعة ، وهو يقول :

ـــ فليكن .. هيا يا رفاق .. سنبدأ لعبتنا .

واتجه ثلاثتهم نحو الحصن ..

* * *

فرك (رالف) كفيه فى عصبية وترقُّب ، وهو يتابع شاشة راصده الخاص ، قائلًا فى انفعال :

ـــ أخيرًا سيقع (نور) فى يدى .. يا له من نصر ساحق ، أبدأ به عهدى هنا !

سأله (رشاد) :

ـــ لماذا تعتبر (نور) خصمًا ، على الرغم من أنكما لم تلتقيا أبدًا من قبل ؟

التفت إليه ، مجيبًا فى حماس :

ـــ إنه ليس خصمًا ، وإنما هو رمز .

ردَّد (رشاد) فى حيرة :

ـــ رمز ؟!

لوّح (رالف) بذراعيه ، قائلًا :

ـــ بالطبع .. أليس (نور) هو البطل ، فى نظر الجميع ، بعد أن يستعيدوا عقولهم بالطبع ؟.. أليس هو ذلك الفارس الأرضى ، الذى قاوم الغزاة الفضائيين ، وانتصر عليهم ، وأجبرهم على الرحيل ؟.. لقد صار (نور) هذا هو رمز البطولة يا رجل ، والقضاء عليه هو رمز القوة ، فى بداية العصر الجديد .

سأله (رشاد) فى جزع :

ـــ هل ستقتله عندما يأتى ؟

هتف (رالف) مستنكرًا :

ـــ أقتله عندما يأتى ؟! ماذا أصابك يا رجل ؟.. وما فائدة قتله ، قبل أن يستعيد البشر عقولهم ؟.. لا يا صديقى .. إننى سألقى القبض عليه فحسب ، واحتفظ به حيًا ، فى سجن خاص ، حتى تحين اللحظة المناسبة ..

انطلق فى هذه اللحظة أزيز خافت ، جعل (رالف) يلتفت مرة أخرى إلى شاشة راصده الخاص ، ثم تتألق عيناه ، وهو يهتف :

ـــ لقد وصل .

هوى قلب (رشاد) مرة أخرى بين ضلوعه ، وهو يشاهد على الشاشة صورة (نور) ، الذى اقترب فى هدوء من حاجز الطاقة البرتقالى ، ثم وقف على قيد متر واحد منه ، فى ثبات يُحسد عليه ، وهو يقول فى قوة :

ـــ لقد وصلت .

ازداد بريق عينى (رالف) ، وهو يقول :

ـــ مرحبًا بك .

ثم ضغط زرًا صغيرًا ، فتبدل لون الحاجز البرتقالى بسرعة إلى اللون الأصفر ، ثم تلاشى فى بطء ، وأمسك (رالف) مقبض مكبّر صوتى خاص ، وهو يقول :

ـــ ادخل أيها الرائد (نور) .

عبر (نور) منطقة الحاجز فى هدوء ، و (رالف) يقول لـ (رشاد) فى لهفة :

ـــ لقد أصبح بين أيدينا .

ثم انعقد حاجباه ، وتلاشت فرحته بغتة ، وهو يستطرد :

ـــ ولكن ماذا يفعل ؟

لم يجد الوقت الكافى لفهم ما يحدث ، فلم يكد (نور) يعبر الحاجز ، حتى انتزع مسدسه الليزرى ، وأطلقه نحو المراقب الحرارى ، فى أعلى القلعة ..

وعلى الرغم من بعد الهدف وصعوبته ، إلا أن طلقة (نور) أصابته إصابة محكمة ، فى موضع بالغ الدقة ، وأصابته بعطل مباشر ، دفع (رالف) إلى أن يصرخ فى غضب :

ـ أيها المخادع .

ثم ضغط زر إعادة الحاجز البرتقالى ، وزر إطلاق مدافع الليزر ، وهو يستطرد :

ـ سأقتنصك يا (نور) .. سأسحقك سحقًا .

ولكن (نور) أطلق مسدسه ، وانطلق يعدو نحو القلعة ، بحيث خرج عن المدى المناسب لمدافع الليزر ، فابتسم الدكتور (رشاد) فى ارتياح ، فى حين هتف (رالف) ، وهو يراقب آخر شاشات الراصد الصالحة :

ـ لن يفيده هذا .

ولكن (نور) أطلق حزمة إشعاعية أخرى من مسدسه ، حطمت آخر جزء من جهاز المراقبة ، فانطفأت شاشة الراصد ، فقفز (رالف) كالمجنون نحو لوحة أزرار أخرى ، وقال :

ـ فليكن أيها البطل السابق .. فلتواجه هؤلاء الذين خاطرت بروحك دائمًا من أجلهم ، ولنر كيف يكافئونك على ما فعلت من أجلهم .

وفى موقعه ، أمام أبواب القلعة ، فوجئ (نور) ببوابة كبيرة تنفتح أمامه ، وتراجع فى سرعة ، عندما وقع بصره على ما ينتظره خلفها ..

لقد كان هناك عشرة من الهمج ، لم تكد أبصارهم تقع عليه ، حتى تألقت عيونهم فى وحشية وأطلقوا صرخات هائلة مخيفة ، ثم اندفعوا نحوه كأسود جائعة ..

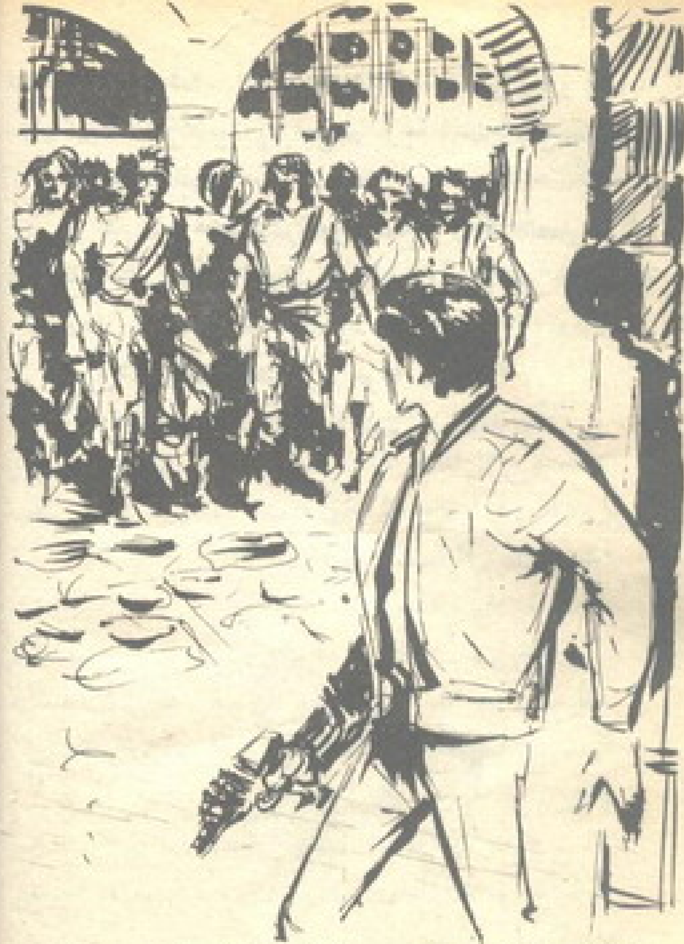
وكانوا بالفعل يتضورون جوعًا ..

وكان (نور) ـ بالنسبة إليهم ـ طعامًا ..

مجرّد طعام .

* * *





لقد كان هناك عشرة من المسخ ، لم تكد أبصارهم تقع عليه ، حتى تألقت عيونهم فى وحشية وأطلقوا صرخات هائلة مخيفة ..

٦ ـ الفجوة ..

هبط الصمت كمظلة ثقيلة ، على أفراد الفريق ، فى المقر السرى ، وهم ينقلون أبصارهم فى حيرة ، بين وجه (سلوى) الشاحب ، وشاشة الراصد ، التى تنقل إليهم صورة تلك الدائرة الخضراء المتألقة فى الفضاء ، ثم لم يلبث الدكتور (حجازى) أن اتجه نحو (سلوى) وأمسك كتفيها فى حنان ، وهو يقول :

ـ تعالى يا (سلوى) .. اجلسى يا بنيتى ، وأخبرينى ما الذى دفعك إلى هذا القول .

أطاعته فى استكانة ، ثم قصّت على الجميع حلمها ، وما قالته لها (نشوى) فى الحلم ، وإشارتها إلى الضوء والدائرة الخضراء ، واستمع إليها الجميع فى اهتمام بالغ ، ثم تطلّعوا مرة أخرى إلى صورة الدائرة المتألقة ، وقال (محمود) :

ـ ألَنت واثقة من أن هذا ليس سوى انعكاس من عقلك الباطن ، و ...؟

قاطعه الدكتور (حجازى) :

ــ وكيف يمكنها أن تثق فى هذا ؟

زفر (محمود) ، وهو يشيح بوجهه عنها ، قائلًا :

ــ لست أدرى .. إننى كالغريق ، الذى يبحث عن قشة يتعلق بها .

ربت الدكتور (حجازى) على كتفه ، ثم قال فى تردد :

ــ ولكن أظننى أملك تفسيرًا هذه المرة .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، وتعلقت به (سلوى) فى لهفة ، وهى تقول :

ــ حقًا ؟!

طمأنها بابتسامة حنون ، وإيماءة من رأسه ، فسأله (محمود) فى اهتمام :

ــ ألديك أى تفسير حقًا يا سيدى ؟

تردد الدكتور (حجازى) مرة أخرى ، ثم قال :

ــ إنه ليس تفسيرًا علميًا ، ولكنه أحد التفسيرات فوق الطبيعية ، التى أومن بها كثيرًا .

سألته (سلوى) فى لهفة :

ــ هات ما لديك يا دكتور (حجازى) .. إننى أثق بكل ما تقول .

تطلع إليها فى إشفاق ، ثم قال :

ــ حسنًا .. نظريتى تقول إن (نشوى) لم تمت ، عندما انفجرت بها مركبة (بودرن) ، بعد امتصاصها طاقة هائلة ، لم يعرف العالم مثلها قط .

سألته (مشيرة) فى اهتمام :

ــ ماذا أصابها إذن ؟.. وأين ذهبت ؟.. و ..

أجابها بسرعة ، وكأنما يخشى أن يتراجع عن رأيه :

ــ انتقلت إلى بُعد آخر .

عقد (محمود) حاجبيه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين هتفت (مشيرة) :

ــ بعد آخر ؟

أما (سلوى) فاتسعت عيناها فى شدة ، وتمتمت فى خفوت :

ــ نعم .. هذا هو التفسير المنطقى .

وبسرعة ، وقبل أن يفقد تسلسل أفكاره ، تابع الدكتور (حجازى) :

ــ لو رجعتم إلى نظريات (أينشتين)(*) لوجدتم نظرية

(*) ألبرت أينشتين (١٨٧٩ ــ ١٩٥٥م) ، عالم فيزيائى ألمانى المولد ، أمريكى الجنسية ، له أبحاث رائعة ، حول الظواهر الكهروضوئية ، وصاحب نظرية النسبية العامة والخاصة ، التى نال عنها جائزة (نوبل) فى الفيزياء عام ١٩٢١

تتحدث عن السفر عبر الأبعاد المكانية والزمانية ، وفيها يقول (أينشتين) أن الانتقال من عالمنا الرباعى الأبعاد(*) إلى عالم آخر ، خماسى ، أو سداسى الأبعاد ، أمر ممكن ، لو وُجدت الطاقة اللازمة لهذا ، ولقد حاول العلماء تحقيق هذه النظرية ، طوال السنوات الماضية ، دون أن تؤدى تجاربهم إلى النجاح ؛ لأنهم لم يتوصلوا أبدًا إلى الطاقة اللازمة لهذا .

قال (محمود) فى حماس :

ـ هذا صحيح .

لم يبد أن الدكتور (حجازى) قد سمع تعليقه ، وهو يواصل فى حماس أكبر :

ـ وعندما امتصت مركبة (بودون) كل طاقة ذلك القرص الشيطانى ، الذى أطلقه الغزاة اكتسب طاقة كافية للانتقال مع (نشوى) إلى بعد آخر ، وهذا يجيب تساؤل (مشيرة) ، عن عدم تخلّف ذرة واحدة عن ذلك الانفجار الضوئى الرهيب ، الذى حدث للمركبة والقرص ، فاختفيا بعده تمامًا .. الجواب هو أن هذا لم يكن انفجارًا ، وإنما عملية انتقال من بعدنا إلى ذلك البعد الآخر .

(*) الأبعاد الأربعة للعالم ـ طبقًا لنظرية (أينشتين) ـ هى : الطول ، والعرض ، والارتفاع ، والزمن .

هتفت (سلوى) فى أمل :

ـ هذا صحيح بالتأكيد .

ربّت الدكتور (حجازى) على كتفها ، فى محاولة لتهدئة انفعالها ، وهو يتابع :

ـ ويُفسّر هذا أيضًا زيارة (نشوى) لك فى أحلامك يا (سلوى) ، وقدرتها على التحكّم فى برنامج الكمبيوتر ، دون أن تلمسه .. إنها تتحرّك فى بُعد آخر يا (سلوى) .. بُعد نجهله ، ولكنها تعجز عن العودة منه إلى هنا .

تفجّرت الدموع من عينى (سلوى) ، وهى تقول :

ـ إذن فابنتى على قيد الحياة .. (نشوى) على قيد الحياة .

خفض الدكتور (حجازى) عينيه ، وقال فى أسف :

ـ ربما كانت على قيد الحياة يا (سلوى) ، ولكن أهى بخير ؟

رفعت رأسها إليه فى جزع ، وهى تقول :

ـ ماذا تعنى ؟

أجابها فى مرارة :

ـ أعنى أنها لو كانت على قيد الحياة ، فهى سجينة فى بُعد آخر ، وما من وسيلة معروفة لخلاصها منه يا (سلوى) ..

اتسعت عينا (سلوى) فى رعب ، وهتفت من أعماقها :

ـ سجينة ؟!

ثم تلاشى رعبها بغتة ، وقالت :

ـــ ولكنها قالت إن عودتها ممكنة ، لو حاولنا نحن إنقاذها .

قال (محمود) فى أسى :

ـــ كيف ؟

أشارت إلى شاشة الراصد ، هاتفة :

ـــ بوساطة هذه الدائرة الضوئية الخضراء .. هى أخبرتنى هذا .

التفت الجميع إلى الراصد ، وهبط عليهم سكون رهيب ، قطعه (محمود) بقوله :

ـــ ولكن كيف ؟.. كيف تفيدنا تلك الدائرة الضوئية فى إعادتها ؟

هزّت (سلوى) رأسها فى حيرة ، قائلة :

ـــ لست أدرى ، لو كان (نور) هنا لـ ...

بترت عبارتها بغتة ، واتسعت عيناها ، وهى تهتف :

ـــ يا إلهى !!.. (نور) .

ثم أمسكت ذراعى (محمود) فى قوة ، مستطردة فى هلع :

ـــ كيف لم ننتبه إلى هذا ؟.. لقد مضى زمن طويل ، دون أن يعود (نور) و (رمزى) .. ماذا أصابهما ؟.. ماذا أصابهما يا رفاق ؟

وبقى سؤالها معلقًا فى سماء الحجرة ..

بلا جواب ..

* * *

كان (نور) يمسك مسدسه الليزرى ، عندما هاجمه هؤلاء الهمج العشرة ، إلا أنه لم يحاول إطلاق طلقة واحدة منه ..

لم يكن قد تخلّى بعد عن مبدئه ..

إنهم بالنسبة إليه مجرّد ضحايا ..

ضحايا من البشر ..

ومع تراجعه ، لكم (نور) أقرب الهمج إليه بقبضته اليسرى ، ثم ركل الثانى فى معدته ، وهوى بمقبض مسدسه على فك الثالث ..

ولكن الستة الباقين حاصروه فى إحكام ، وانقضّوا عليه فى وحشية ..

ولم يكن من الممكن أن يهزم (نور) وحده عشرة من المتوحشين ..

لولا ظهور ذلك الوحش ..

فجأة ظهر الوحش أمام الهمج ، وأطلق صرخة مخيفة ، جمّدتهم فى أماكنهم ، وجعلتهم يتطلّعون إليه فى رعب ، فانقضّ عليهم مطلقًا صرخة أخرى ..

وهنا انقلبت الأمور رأسًا على عقب ، فبعد أن كان الهمج هم الصياد أصبحوا فى موضع الفريسة ، وانطلقوا يعدون عائدين إلى القلعة ، والرعب يملؤهم حتى النخاع ..

ومن حسن حظ (نور) أن الخوف غريزة بشرية كامنة فى الأعماق ، لاتذهب حتى مع ذهاب العقول ..

وتوقف الوحش يطلق قهقهة قوية ، ونزع قناعه هاتفًا :

ــ يا إلهى !.. لقد كنت ذا فائدة ، بأكثر مما تصورت .

وظهر من خلفه (رمزى) ، يقول :

ــ من حسن الحظ أننا نجحنا فى عبور حاجز الطاقة ، فى نفس الوقت الذى دمرت أنت فيه جهاز المراقبة ، طبقًا لخطتك ، وقبل إعادة الحاجز .

قال (نور) فى حماس :

ــ حسنًا فعلتما ، والآن هيا .. سنقتحم القلعة على الفور ، دون أن نضيع لحظة واحدة ، أو نمنح خصومنا الفرصة لصد هجومنا .

اندفع الثلاثة داخل القلعة ، بعد أن أعاد (نادر) قناع الوحش إلى وجهه ؛ لإرهاب الهمج ، الذين أصابهم الفزع لمرآه بالفعل ، فلاذوا بالفرار فى رعب ، فتح الطريق أمام

أبطالنا الثلاثة ، حتى بلغوا ساحة القلعة ، وهنا هتف (رمزى) :

ــ أين ينبغى أن نتجه الآن ؟

تفجرت أمام أقدامهم حزمة من أشعة الليزر ، جعلتهم يتراجعون فى حركة حادة ، مع صوت غاضب ، يهتف :

ــ إلى الجحيم .

تراجعوا فى سرعة ، واحتموا بجدار من جدران القلعة ، انهالت عليه حزمة أشعة أخرى ، و (كارلو) يهتف :

ــ بعد أن أقضى عليكم ، سأقطع عنق ذلك الألمانى الخائب ، الذى لم تنجح أجهزته السخيفة فى منع دخولكم إلى هنا .

سأل (رمزى) (نور) فى قلق :

ــ هل سيصمد ذلك الجدار للأشعة ؟

أجابه (نور) :

ــ ليس طويلاً .

قال (نادر) فى توتر :

ــ ماذا سنفعل إذن ؟

لم يستطع (نور) إجابته على الفور ، وإنما أدار عينيه فيما حوله ، قبل أن يقول :

— لو أمكننى الصعود إلى أحد الأبراج ، واستخدام مدفع من مدافع الليزر ، فقد يمكننى إجبار ذلك الإيطالى على التراجع .

سأله (رمزى) :

— وهل سيمكنك تسلّق البرج ؟

قال (نور) فى حزم :

— سأحاول .

ثم ناول (رمزى) مسدّسه الليزرى ، مستطردًا :

— خذ .. ستكون أكثر احتياجًا إليه منى .

التقط منه (رمزى) المسدّس ، وقال :

— لا تخاطر كثيرًا .

غمغم (نور) :

— سأحاول .

هوت على الجدار حزمة ليزر أخرى ، فى نفس اللحظة ، ارتجّ لها الجدار فى قوة ، فى حين أسرع (نور) نحو البرج ، محاولاً تسلّقه ..

وفى خوف وتوتر ، قال (نادر) :

— لن يحتمل هذا الجدار الضربة الثانية .

قال (رمزى) ، فى صوت لا يقلّ عنه توترًا :

— فلنأمل أن يحتملها بقدر الإمكان ، فهذا أملنا الوحيد

وفى هذه اللحظة ، كان (نور) يفحص جدار البرج ، بحثًا عن وسيلة لتسلّقه ، ولكن الجدار بدا له أملس أكثر من اللازم ، بحيث يستحيل تسلّقه ، فتمتم فى توتر :

— يا للحظ السيئ !!.. لقد تجاوزنا حاجز الطاقة ومدافع الليزر ، ثم نعجز عن تجاوز مسدّس ليزرى واحد .

انتبه فجأة إلى أن الإيطالى لم يطلق أشعته منذ دقائق ، كما لم يطلق صرخاته الثائرة ، فعاد يسأل (رمزى) :

— ماذا حدث ؟.. لماذا توقّف عن القتال ؟

لوّح (رمزى) بمسدّسه الليزرى ، قائلاً :

— لست أدرى .. ربّما يعدّ خطة أخرى ، أو ..

قبل أن يتمّ عبارته ، فرقع سوط فى الهواء ، والتفّ حول المسدّس ، الذى يمسك به (رمزى) ، ثم انتزعه فى قوة ..

وقبل أن يتحرّك (نور) أو رفيقاه ، قفز الإيطالى أمامهم ، وهو يلوّح بمسدّسه الليزرى ، هاتفًا :

— لقد وقعتم أيها الأذكياء .

وبضحكة عصبية عالية ، ضغط زناد مسدّسه ..

وانطلقت الأشعة القاتلة

* * *



قبل أن يتمّ عبارته ، فرقع سوط فى الهواء ، والتفّ حول المسدس ، الذى يمسك به (رمزى) ، ثم انتزعه فى قوة ..

٧ ــ اقتحام ..

بدا التوتر على وجوه أفراد الفريق ، فى مقرّهم السرى ، وهم يحاولون عبثًا الاتصال بمخبأ الدكتور (رشاد) ، حتى قالت (سلوى) فى يأس :

ــ لقد أصابهم مكروه حتمًا ، فلقد كان من الضرورى أن يتصل بنا (نور) ، من مخبأ الدكتور (رشاد) ، ليبلغنا بنجاحه مع (رمزى) فى التوصّل إليه وإنقاذه ، وكونه لم يفعل ، يعنى أن شيئًا ما قد أصابه .

قال الدكتور (حجازى) ، محاولاً إخفاء توتره :

ــ أو أنه قد نجح فى إنقاذ الدكتور (رشاد) ، ولكن جهاز اللاسلكى ، الخاص بهذا الأخير قد تلف لسبب ما

أسرع (محمود) يقول :

ــ نعم .. هذا هو الاحتمال الأكثر منطقية

أدركت (سلوى) أنهم يحاولون طمأنتها ، فزفرت فى توتر ، وراحت تفرك كفيها فى انفعال ، دون أن تنبس ببنت

شفة ، فقال الدكتور (حجازى) ، محاولًا إدارة دفة الحديث :

— أظن أن (نور) ناضج ، بما يكفى ليرعى شئونه بنفسه .. دعونا نولى اهتمامنا لتلك الدائرة الخضراء المتألقة .

نجحت خطته نجاحًا جيّدًا ، فقد قالت (سلوى) :

— نعم .. إننى واثقة بأننا سنجد وسيلة ، لإعادة (نشوى) إلى عالمنا ، بوساطة هذه الدائرة الخضراء .

قال (محمود) :

— المهم أن نفهم طبيعتها أوّلًا .

اندفعت (مشيرة) تقول :

— ربما كانت فجوة .

انعقد حاجبا (محمود) ، وهتفت (سلوى) :

— فجوة ؟!

وقال الدكتور (حجازى) فى حماس :

— نعم يا (مشيرة) .. أنت على حق .. إنها فجوة .. فجوة بين البعدين .. بُعدنا ، وذلك البعد الذى سُجنت فيه (نشوى) .. أليس هذا ما تقصدينه ؟

أجابته :

— بلى .. لقد أطلق (س ١٨) طاقة البروتون ، التى تقولون عنها : إنها أقوى طاقة صافية عرفها الكون .. أطلقها (س ١٨) فى الفضاء ، وربما فتحت تلك الطاقة فجوة بين البعدين .

اتسعت عينا (سلوى) ، فى لهفة وأمل ، ثم التفتت فى انفعال إلى (محمود) ، تسأله :

— أهذا ممكن يا (محمود) ؟

تردّد لحظة ، ثم قال :

— الواقع أننى لم أدرس الكثير عن الكون والأبعاد ، ولكننى أظن طاقة البروتون ، التى أطلقها (س ١٨) ، كانت من القوة ، بحيث يمكنها أن تحدث خللًا كبيرًا ، فى قوانين الطبيعة التقليدية .

هتفت (سلوى) فى سعادة :

— إذن فهناك أمل .

تطلّع إليها (محمود) فى قلق ، وقال :

— معذرة يا (سلوى) .. لست أحبّ أن أهدم ذلك الأمل ، الذى نما فى أعماقك ، ولكن .

هتفت به فى جزع :

— ولكن ماذا ؟

تردّد مرة أخرى ، ثم أجابها في أسف :

— ولكن لو أن هذه الفجوة يمكنها أن تعاوننا على استعادة (تشوى) ، فمن الضرورى أن نستعيدها بأكبر قدر ممكن من السرعة ، إذ أن هذه الفجوة تتناقص في سرعة ، و ..

صمت لحظة ، ثم أضاف وهو يشيح بوجهه :

— وستتلاشى مع الأمل في إنقاذ (تشوى) ، مع مغيب شمس الغد .

وارتجف قلب (سلوى) هلعًا ..

* * *

عندما ضغط (كارلو) زناد مسدسه الليزرى ، كانت فوهة المسدس مصوّبة إلى صدر (نور) ، ولكن هذا الأخير مال جانبًا في سرعة ، وانحنى متفاديًا خيط الأشعة القاتلة ، ثم انقضّ على (كارلو) ، الذى هتف في غضب :

— سأقتلك هذه المرة .

ولكن (نور) أحاط وسط (كارلو) بذراعيه في قوة ، ودفعه أمامه . ليسقط الاثنان أرضًا في عنف ..

ورفع (كارلو) مسدسه ، محاولاً إلصاق فوهته بصدغ (نور) ، وهو يصيح :

— أتظن أنك قادر على هزيمة (كارلو) ؟

أمسك (نور) معصم (كارلو) في قوة ، ولواه في عنف ، فأجبره على إفلات مسدسه ، الذى انزلق مسافة متر واحد ، واستقرّ عند قاعدة الجدار ، في حين هوى (نور) على فك (كارلو) بلكمة عنيفة ، قائلاً :

— لست أظن هذا أيها الإيطالى .. إننى واثق منه .

ولكن الإيطالى كان أقوى مما تصوّر (نور) ، فقد احتمل اللكمة ، على الرغم من قوتها ، ودفع (نور) من فوقه في عنف ، صائحًا :

— لا تثق بما لم تحقّقه بعد يا فتى .

ثم هبّ واقفًا على قدميه ، واختطف في سرعة مدهشة مسدس (نور) ، الملقى أرضًا ، وصوّبه إلى (نور) ، الذى لم يستعد توازنه بعد ، وصرخ :

— والآن مت يا فتى ، وأرسل تحياتى إلى كل الرفاق في الجحيم ، وكل الـ ..

توهّج المكان فجأة بأشعة الليزر ، قبل أن يتمّ (كارلو) عبارته ، وتفجّرت الدماء فجأة من جبهة هذا الأخير ، وجحظت عيناه في شدة ، ثم هوى جثة هامدة ، عند قدمى

(نور) ، الذى التفت فى دهشة إلى مصدر الأشعة ، ووقع بصره على (نادر) الذى يمسك مسدس (كارلو) بيد مرتجفة ووجه شاحب ، ويغمغم فى توتر :

ــ لقد أراد قتلك .. أليس كذلك ؟

اقترب منه (نور) ، وربّت على كتفه ، قائلًا :

ــ بل يا صديقى .. لقد أنقذت حياتى .

سقط المسدس من يد (نادر) ، وهو يقول :

ــ ولكن القتل أمر بشع يا (نور) .. بشع للغاية .

تنهّد (نور) ، وقال :

ــ نعم يا صديقى .. إنه أبشع مما يتصوّر الجميع .

ثم انحنى يلتقط المسدس الليزرى ، مستطردًا فى أسف :

ــ ولكننا نضطر إليه أحيانًا .

اتجه (رمزى) إلى جثة (كارلو) فى تردد ، وانتزع من يدها المسدس الليزرى الثانى ، وهو يضيف إلى عبارة (نور) :

ــ عندما يكون هو الحل الوحيد .

خفض (نادر) رأسه ، وقال فى مرارة :

ــ نعم .. عندما يكون الحلّ الوحيد .

ربّت (نور) على كتفه فى إشفاق ، فى حين سأله (رمزى) :

ــ إلى أين نذهب الآن يا (نور) ؟

أجابه على الفور :

ــ إلى قبو القلعة ، فهو المكان الأمثل ، لقيادة المكان إليكترونيًا .

سأله (رمزى) :

ــ وأين هو ؟

قال (نور) ، وهو ينطلق :

ــ سأقودكما إليه ، فلقد زرت هذه القلعة من قبل .

اندفعوا عبر الممرات الطويلة ، نحو مدخل القبو ، حتى بلغوا الممر الأخير ، فقال (نور) ، وهو يشير إلى القبو :

ــ ها هو ذا القبو .

وفجأة هوى من خلفهم باب معدنى ضخم ، أغلق مدخل الممر ، الذى عبروه منذ لحظات ، وتعالت فى الممر ضحكة ساخرة عالية ، تحمل صوت (رالف) ، أعقبها قوله الساخر :

ــ هنا تنتهى رحلتكم أيها الفتيان ، فقد بلغتم ساحتى .

تجاهل (نور) قوله تماما ، وهو يطلق أشعة مسدسه على رتاج باب القبو ..

ولكن الرتاج امتصّ الأشعة على نحو مدهش ، مع ضحكة (رالف) الساخرة ، التى تردّدت مرة أخرى فى الممر ، وهذا الأخير يقول :

ـ مفاجأة .. أليس كذلك ؟.. لقد أعددت لكل شىء عدّته أيها الرائد ، فهذا الرتاج ، الذى أطلقت عليه أشعة مسدسك ، ليس نفس الرتاج ، الذى حمله هذا الباب ، منذ منشئه .. صحيح أنه يشبهه ظاهريًا تمام الشبه ، ولكنه يختلف عنه فى أمور جوهرية للغاية ، وهى نوع مادته ، وقدرته على امتصاص الصدمات والأشعة .

رفع (نور) مسدسه إلى منتصف الباب ، وهو يقول فى حزم :

ـ فليكن ، ولكن ماذا عن الباب ؟

أجابه صوت (رالف) بنفس السخرية :

ـ لست أنصحك بإطلاق أشعتك عليه ، وإلا أوصلت التيار إلى مدفع ليزر هائل ستراه فوق رءوسكم ، وعندئذ تنطلق منه حزمة رهيبة من الأشعة ، تسحقكم سحقًا .

ثم أطلق ضحكة عالية شامتة ، وهم يرفعون عيونهم ، ليتطلّعوا إلى المدفع الضخم ، المصوّب إليهم ، وتابع هو :

ـ الوسيلة الوحيدة هى دفع الباب ، وأعدكم أن الرتاج سيتحطّم فى سهولة ، ولكن بعد أن يسرى فى جسد من يدفع الباب تيار كهربى عنيف ، يبلغ ألفى ميجاوات دفعة واحدة .

ولم يكد ينتهى من كلمته ، حتى اندفع رزاز خافت يغمرهم ، فهتف (رمزى) :

ـ ما هذا ؟

قهقه (رالف) مرة أخرى ، وقال :

ـ لا تخف يا فتى .. إنه ماء فحسب ، لجعلكم أكثر توصيلًا للكهرباء .. لقد أصبحتم سجناء هنا أيها الأبطال .. أوّل سجناء فى امبراطورية (رالف) ..

تفجّرت ضحكته الشيطانية ترجّ جدران القلعة ، فى حين عقد (نور) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول فى مرارة :

ـ لقد أعدّ ذلك الوغد عدّته جيّدًا .

غمغم (نادر) فى شحوب :

ـ أيعنى هذا أنه قد هزمنا ؟

لم يجب (نور) ، ولكن (رمزى) قال فى إحباط واضح :

— نعم يا (نادر) .. يمكنك أن تقول هذا .. لقد هزمنا آخر الأشرار .

ملأت عبارة (رمزى) نفس (رالف) بالزهو ، وهو يستمع إليها ، عبر ناقل صوتى خاص ، فالتفت إلى الدكتور (رشاد) ، هاتفًا :

— هل رأيت ؟.. (رالف) هو الأعظم دائمًا .

خفض (رشاد) عينيه فى ألم ومرارة ، وهو يغمغم :

— نعم .. لقد رأيت .

لوّح (رالف) بذراعه ، وقال :

— ولكن لماذا نقلق أنفسنا ، بشأن بعض السجناء ، الذين سيلقون حتفهم حتمًا ، إن عاجلاً أو آجلاً .. دعنا نواصل عملنا يا رجل .

وأشار إلى المسجى الراقد على منضدة العمليـــات ، مستطردًا :

— هيا .. فلنوقظ هذا الشىء .

بدأ الدكتور (رشاد) خطوات إيقاظ المسجى ، وهو يقاوم تلك الدموع الحارة ، التى تجاهد للإفلات من سجن عينيه ، إلا أنه لم يلبث أن خسر مقاومته دفعة واحدة .

فانسابت دموعه على خديه ، مما جعل (رالف) يهتف مستنكرًا :

— ماذا أصابك ؟

ثم أدار وجه (رشاد) إليه فى عنف ، وأضاف فى حدة :

— ليس من اللائق أن يبكى الرجال .

أشاح (رشاد) بوجهه فى توتر ، وهو يقول :

— البكاء أمر طبيعى ، بالنسبة لكل بشرىّ ، تسرى فى عروقه دماء الحياة .

صاح (رالف) :

— بل هو علامة ضعف بشرية سخيفة .

قال (رشاد) فى حدة :

— ولكنها بشرية .

انعقد حاجبا (رالف) فى صرامة غاضبة ، ثم لم يلبث أن لوّح بكفه ، وقال فى حدة :

— أنت وشأنك .. هيا .. واصل عملك .

قال الدكتور (رشاد) ، وهو يضغط زرًا أخيرًا :

— لقد انتهت تقريبًا .

تعلّقت عينا (رالف) بالمسجى فى اهتمام ، وبرقتا فى ظفر

وحماس ، عندما فتح الهمجي عينيه ، وتطلّع إلى سقف القبو في حيرة ، قبل أن يغمغم :

ـ أين أنا ؟

تراجع (رشاد) في ارتياح ، في حين هتف (رالف) :

ـ رائع .. لقد نجحت التجربة .. لقد استعاد مقدرته على الحديث .

نهض الرجل في بطء ، وتطلّع إليهما في شيء من الذعر ، وقال :

ـ من أنتما ؟.. ماذا تفعلان بي ؟

ربّت الدكتور (رشاد) على رأسه في رفق ، وهو يقول :

ـ اطمئن يا رجل .. لقد أنقذناك من خطر داهم ، وأنت الآن بخير .

تطلّع الرجل إليهما مرة أخرى ، وإلى ما يرتديه ، ثم قال في هلع :

ـ لماذا ؟.. ماذا أصابني ؟.. وما هذه الأسمال التي أرتديها ؟

اكتفى (رالف) بمراقبة الأمر في اهتمام شديد ، و (رشاد) يقول للرجل :

ـ لا تقلق .. سأشرح لك كل شيء ، ولكن أخبرني أولًا : ما آخر شيء تذكره ؟

تردّد الرجل ، وارتبك قليلًا ، ثم قال :

ـ آخر شيء أذكره ؟!.. لست أدري .. أظنه الغزو .. أو ..

بدا وكأنه قد استعاد ذاكرته المفقودة فجأة ، فهتف :

ـ نعم .. لقد تذكّرت .. كنا نقاتل الغزاة ، بعد تحطيم مراقبهم الفضائي ، ثم انفجرت تلك القنبلة الرهيبة ، و ...

اكتسى وجهه بالحيرة مرة أخرى ، وارتبك كثيرًا ، وهو يغمغم :

ـ و .. ولست أذكر ما حدث بعد هذا .

صاح (رالف) :

ـ رائع .

ثم ضرب سطح مكتبه بقبضته ، وأضاف :

ـ الآن يمكننا بدء التجربة الثانية .

سأله (رشاد) في دهشة :

ـ أية تجربة ؟

اتسعت عينا (رالف) في شراسة مخيفة ، تمتزج بشهوة سلطوية عجيبة ، وهو يقول :

— سنعيد هذا الرجل إلى هجيته .. الآن .

* * *

بدت تلك اللحظات ، بالنسبة لـ(نور) ورفيقيه ، أشبه بدهر كامل ، وقد شمل ثلاثتهم صمت رهيب ثقيل ، قطعه (نادر) بقوله :

— هل سنبقى هكذا إلى الأبد ؟

أجابه (نور) فى ضيق :

— إننى أحاول البحث عن منفذ .

زفر (رمزى) فى مرارة ، وقال :

— لا يوجد يا (نور) .. لقد اختبرنا كل الوسائل ، فما من وسيلة لبلوغ السقف المرتفع والباب المعدنى خلفنا لا يتزحزح من قذائف الليزر ، ثم أنها تنعكس عنه على نحو عشوائى ، ومن الخطر أن تصيب الباب الآخر ، ولو من قبيل المصادفة ، وإلا انفجر المدفع الليزرى فوق رءوسنا ، ولن يمكننا دفع الباب الآخر أيضًا ، بسبب ما يسرى فيه من تيار كهربى .

شملهم الصمت مرة أخرى ، وكأنما قطع قول (رمزى) أمامهم كل أمل فى النجاة ، ثم انتفض (نادر) واقفًا فجأة ، وهو يقول :

— إننى أكره الإحساس بالخوف .

أمسك (رمزى) كفه ، وقال :

— اهدأ يا (نادر) .. من يدرى ؟.. ربما لو ..

واصل (نادر) ، وكأنه لم يسمعه :

— طوال حياتى أكره هذا الإحساس ، وعلى الرغم من ذلك ، فهو يملأ نفسى ، منذ حداثتى كنت أخاف الصبية الأكبر منى حجمًا ، والأكثر قوة ، وأخاف أساتذتى ، ورئيسى فى العمل ، والغزاة .. أخاف الجميع ، دون أن أصنع شيئًا مفيدًا فى عمرى كله .

شعر (رمزى) ، بغريزته كطبيب نفسى ، بالقلق ، فقال لـ(نادر) :

— هذا شعور طبيعى يا صديقى .

ولكن (نادر) تجاهله هذه المرة أيضًا وهو يقول ، وعلى شفتيه ابتسامة شاردة :

— أتعلمان ؟.. لقد بهرتنى دائمًا قصص البطولة والأبطال ، وامتلأت حجرتى بصورهم وكتب مغامراتهم .. كنت أحيا فى حلم البطولة ، دون أن أجرؤ على الاقتراب من البطولة الحقيقية أبدًا .

تبادل (نور) و (رمزى) نظرة قلقة ، فى حين تابع (نادر) ، بنفس الابتسامة الشاردة :

ـ وأنت أيها الرائـــد (نور) . كنت مثلى الأعلى فى البطولة ، وخاصة عندما بدأت محاربة هؤلاء الغزاة ، الذين احتلوا كوكبنا ، وعندما تحديتهم علانية ، وخاطرت بروحك فى سبيل إنقاذ البشر ، والدفاع عن الحرية

واغرورقت عيناه بالدموع ، وهو يستطرد :

ـ ولا أحتمل الآن فكرة هزيمتك .. هزيمة مثلى الأعلى ، وبطل معركة الحرية ، أمام شخص واحد ، مهما بلغت قوة هذا الشخص .. لا أحتمل الفكرة أبدا .

ثم ارتفع صوته ، وامتلأ بالحزم ، وهو يضيف :

ـ وسأفعل ما أفعل من أجلك أنت .. من أجل البطل

أدرك (رمزى) على الفور ما ينتوى (نادر) فعله ، وصاح فى ذعر :

ـ لا يا (نادر) .. لا .

ولكن صيحته ضاعت ، مع صرخة (نادر) :

ـ فلتحيا الحرية .

وقبل أن يحاول أحدهما منعه ، كان قد اندفع بجسده

الضخم نحو باب القبو ، وانقضّ عليه فى عنف ، مع صرخة (نور) :

ـ لا .

وكانت القرقعة مخيفة رهيبة .. وقاتلة .

* * *





كان قد اندفع بجسده الضخم نحو باب القبو ، وانقضّ عليه فى عنف ، مع صرخة (نور) : — لا ..

٨ ـ اتصال ..

لم تحتمل (سلوى) فكرة ضياع ابنتها ، بعد أن انتعش فى قلبها أمل وجودها على قيد الحياة ، فهبّت من مقعدها ، هاتفة :

— إذن فمن الضرورى أن نبذل أقصى جهدنا ، لاستخدام تلك الدائرة اللامعة ، فى استعادة (نشوى) ، قبل مغيب شمس الغد .

قال (محمود) فى ضيق :

— القول سهل يا (سلوى) ، ولكن كيف يمكننا أن نفعل هذا ؟.. إننا نجهل حتى كيف يمكننا الاستفادة بالدائرة الخضراء المتألقة .

أجابته فى حرارة :

— الأمر واضح يا (محمود) .. إنها فجوة بين البعدين ، كما قالت (مشيرة) ، وهذا يعنى أن كل ما علينا هو عبورها إلى البعد الآخر واستعادة (نشوى) ، ثم العودة بها إلى بُعدنا .

هتف :

ــ وكيف نفعل ؟

شحب وجهها مع سؤاله ، وانهار فى أعماقها أمل كبير ..

نعم .. كيف يفعلون ؟

كيف يمكنهم بلوغ فجوة معلقة فى الفضاء ، وهم لايملكون وسيلة واحدة للطيران ؟.

بكى قلبها فى لوعة ، وصرخ عقلها فى ألم ، وكلاهما يرفض فكرة الاستسلام لليأس ، فهتفت :

ــ يمكننا أن نحاول .

قال (محمود) فى ألم :

ــ بماذا ؟

صاحت :

ــ بـ (س ١٨) .

لم تكد تنطق عبارتها ، حتى عاودها اليأس فى شدة ، وضاعفه الدكتور (حجازى) ، وهو يتطلّع إلى شاشات الراصد ، قائلاً :

ــ وأين هو (س ١٨) ؟

وكان هذا هو السؤال ..

أين (س ١٨) ؟..

* * *

عندما حدّدت أجهزة (س ١٨) مشكلتها ، وحصرتها فى ذلك القرص المعدنى العجيب النقوش ، الرابض فى صدره ، راحت الذاكرة الآلية تسترجع كل مالديها حول ذلك الخطر الجديد ، ثم لم تلبث أن توصّلت إلى كل ماتريد معرفته عنه ..

وهنا بدأت مرحلة جديدة ..

مرحلة إيجاد الحل ..

وبدراسة سريعة ، ومراجعة لكل وسائل الصراع والقتال السابقة ، توصّلت أجهزة (س ١٨) إلى الحل ..

وبدأت عملها ..

ودون إضاعة لحظة واحدة ، شأن كل الآليات ، انطلق (س ١٨) لتحقيق هدفه ، وراح يشقّ الفضاء بسرعة تقارب سرعة الضوء تقريبًا ، نحو الهدف ..

وكان الهدف هذه المرة هو الشمس ..

قلب الشمس ..

* * *

ارتطم جسد (نادر) بباب القبو فى عنف ، وتفجّر فى جسده ألفا ميجاوات دفعة واحدة ، وتقافزت الشرارات الكهربية فى كل مكان ..

ثم سقط (نادر) ..

سقط جثة هامدة ، بعد أن فتح لـ(نور) و(رمزى) طريق الحرية ..

وكانت المفاجأة الكبرى من نصيب (رالف) ، الذى فوجئ بباب القبو يُفتح فى عنف ، وبجثة (نادر) نصف المحترقة تسقط أمامه ، ثم يندفع خلفها (نور) و(رمزى) ، ويصوِّبان إليه مسدسيهما ..

وهتف الدكتور (رشاد) فى سعادة :

ــ أخيرًا .. حمدًا لله .. حمدًا لله .

كان هتافه أشبه بخنجر مسموم ، انغرز فى صدر (رالف) ، الذى تفجَّر الغضب فى وجهه ، واحتبست الكلمات فى حلقه ، فى حين قال (نور) :

ــ انتهت اللعبة يا رجل .

هتف الرجل الذى استعاد عقله :

ــ أنت الرائد (نور) .. إننى أعرفك .

تطلَّع إليه (نور) فى حيرة ، فقال الدكتور (رشاد) فى حرارة :

ــ إنه أحد الممسوخين يا (نور) .. انظر .. لقد استعاد عقله .

هتف (رمزى) فى سعادة :

ــ حقًّا ؟!

وهنا قال (رالف) فى صرامة غاضبة :

ــ بفضلى أنا .

التفت إليه (نور) ، وقال فى غضب :

ــ أما زلت تملك الصفاقة الكافية ، لتنسب لنفسك أى عمل جديد ؟.. ألا ترى ذلك البطل ، الراقد أمامك ، فى ذلك الزى التنكرى ؟. لقد أردت لنا جميعًا مصيرًا مشابهًا له ، ولكن تضحيته العظيمة كان سببًا فى هزيمتك .

برقت عينا (رالف) ببريق وحشى مخيف ، وهو يقول :

ــ ومن قال إنكما قد هزمتمانى ؟

لوَّح (رمزى) بالمسدس فى وجهه ، وهو يقول :

ــ هل يكفيك هذا ؟

ابتسم (رالف) ابتسامة غامضة مخيفة ، فى حين قال الممسوخ السابق فى توتر :

ــ مهلًا .. لقد فقدت تسلسل الأحداث .. ما معنى ما يحدث الآن ؟.. لقد أعاد لى هذا الرجل عقلى ، وعلى الرغم من هذا ، فأنتم تتهمونه بالجرم ، وأنا أثق بقولك أيها الرائد (نور) ، ولكننى لا أفهم هذا حقًّا .

قال (نور) فى حزم :

ـ ستفهم كل شىء ، عندما نخرج من هنا .

اتسعت ابتسامة (رالف) ، وازدادت غموضًا ووحشية ، وهو يقول :

ـ هذا لو خرجتم من هنا .

لم يدر (رشاد) ـ للوهلة الأولى ـ ما يقصده (رالف) ، ولا سر ثقته الشديدة هذه ، ثم لم يلبث عقله أن استعاد فى سرعة مشهد ما تبقى من جسد (جيسى) ، وانتبه إلى أن (رالف) ما يزال جالسًا خلف مكتبه ، فصاح فى ذعر ، وهو يندفع نحو (نور) و (رمزى) :

ـ احترسا .. إنه ..

ولكن إدراكه جاء بعد فوات الأوان ، فقد ضرب (رالف) جزءًا من مكتبه بقدمه ، وانطلقت من حلقه قهقهة وحشية عالية ..

وانطلقت خيوط الأشعة من حافة المكتب ..

وأصابت الجميع ..

* * *

« ما زال هناك أمل »

نطق الدكتور (حجازى) هذه العبارة فى حزم ، بعد أن سيطر اليأس على المكان ، فارتفعت كل العيون إليه فى تساؤل ، وهتفت (سلوى) فى لهفة وأمل :

ـ حقًا يا دكتور (حجازى) ؟

منحها نظرة متعاطفة ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد يا بنيتى .

سألته (مشيرة) فى اهتمام :

ـ وما نوع هذا الأمل ؟.. هل سنستخدم وسيلة أخرى للطيران ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ بل سنستخدم وسيلة أخرى للاتصال .

بدت الحيرة على وجوههم ، وسأله (محمود) :

ـ ماذا تعنى بالضبط يا سيِّدى ؟

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ لقد نسينا جميعًا أن (نشوى) قد استطاعت ، بوسيلة أو بأخرى ، أن تنقل إلينا رسالة عبر الكمبيوتر ، من البعد الذى توجد فيه ، وهذا يعنى أنها تستطيع بلوغ الكمبيوتر ، بشكل أو بآخر .. فلنستخدم الكمبيوتر إذن ، لننقل إليها رسالة منا .

هتفت (سلوى) :

ـــ فكرة رائعة .

وقفز (محمود) أمام الكمبيوتر على الفور ، وهو يقول :

ـــ وتستحق التنفيذ .

تعلّقت عيون الجميع به ، وهو يضرب أزرار الكمبيوتر فى سرعة ، وشاشته تحمل رسالة مختصرة ، تقول :

ـــ (نشوى) .. هل يمكنك التقاط هذا ؟

مضت خمس دقائق كاملة ، وهم يحدّقون فى شاشة الكمبيوتر ، دون أن تختلف الرسالة المدوّنة فوقها ، أو تضاف إليها كلمة أخرى ، فقالت (سلوى) فى يأس :

ـــ لن تنجح هذه الفكرة .

شعر الدكتور (حجازى) بالقلق ، وهو يغمغم :

ـــ لقد تصوّرت أنه من الممكن أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، أطلق الكمبيوتر صفيرًا خافتًا ، وتعلقت العيون بشاشته مرة أخرى ، واختلج قلب (سلوى) بين ضلوعها ، عندما حملت الشاشة عبارة تقول فى اقتضاب شديد :

ـــ نعم .. يمكننى هذا .

تفجّرت الدموع من عينى (سلوى) ، وهى تهتف :

ـــ إنها على قيد الحياة .. حمدًا لله .. إنها على قيد الحياة .

كانت المفاجأة شديدة ، على الرغم من الأمل الذى راود قلوب الجميع طويلاً ، وأسرع (محمود) يكتب على الشاشة :

ـــ أأنت على قيد الحياة ؟

مضت فترة طويلة ، كاد قلب (سلوى) يتوقّف خلالها عن النبض ، قبل أن ترتسم على الشاشة كلمات تقول :

ـــ نعم . أنا على قيد الحياة .

أزاحت (سلوى) (محمود) عن الكمبيوتر ، وهى تهتف :

ـــ دعنى أتحدّث إليها .

وكتبت على الشاشة فى سرعة .

ـــ أين أنت ؟

أتاها الجواب ، بعد سبع دقائق كاملة :

ـــ لست أدرى .

كتبت (سلوى) مرة أخرى :

ـــ كيف تستقبلين رسائلنا ، وترسلين رسائلك ؟

فى هذه المرة احتاج الجواب إلى عشر دقائق ، قبل أن يصل ، قائلاً :

— استخدم أحد أجهزة مركبة (بودون) .

لم يستقرّ الجواب فوق الشاشة أكثر من لحظة ، ثم تلاشى فى بطء ، فكتبت (سلوى) فى لهفة :

— ماذا حدث ؟.. لماذا اختفت الرسالة ؟

ولكن الجواب لم يأت هذه المرة ..

أبدًا ..

* * *

لم تكن خيوط الأشعة ، التى انطلقت من مكتب (رالف) هذه المرة ، من أشعة الليزر ، وإن تألّقت مثلها ببريق أزرق باهت ، ولكنها لم تكد ترتطم بأجساد (نور) و (رمزى) و (رشاد) ، والهمجى السابق ، حتى أصابهم جمود مباغت ، وشقّت ملامحهم عن ألم شديد ، قبل أن يسقطوا أرضًا ، كتماثيل من الثلج ..

وأطلق (رالف) ضحكة ساخرة أخرى ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، قائلاً :

— أخطأت بحصاد النتائج ، قبل أن ينضج المحصول أيها

الرائد (نور) .. كان ينبغى أن تتوقّع أن جعبتى تحوى الكثير .

اتجه نحو (رشاد) ، ودفع جسده المتيبّس بقدمه فى ازدراء ، وهو يتابع :

— أما أنت يا خبير الأشعة ، فلم أعد بحاجة إلى خبراتك وسخافاتك ، فقد راقبتك جيدًا فى أثناء عملك ، ويمكننى أن أؤدى العمل وحدى الآن ، دون الحاجة إليك .

ثم أمسك أداة معدنية ثقيلة ، وهو يستطرد :

— وها هو ذا الدليل .

قالها وهوى على رأس الهمجى السابق بضربة ساحقة ، هشّمت جمجمة الرجل ، وقتلته على الفور ، وقهقه (رالف) ضاحكًا ، كشيطان مريد ، وهو يلقى سلاح جريمته الملوّث بالدماء جانبًا ، قبل أن يتابع :

— لم أعد بحاجة إلى رأسه .. ولا إلى رأسك .. لقد أصبحت الأقوى .

وتألّقت عيناه ببريق وحشى ، وهو يستطرد فى لهجة جنونية :

— والأعظم .

شعر (نور) بحنق وعجز قاسيين ، وهو يستمع إلى (رالف) ، ويرى وحشيته ، دون أن يملك القدرة على منعه أو التصدّى له ..

كان ذلك الشعاع الأزرق يبعث فى جسده برودة شديدة ، ويجمّد أطرافه ، ويمنعه من إتيان أية حركة ، كما يبث فى عروقه آلاما عنيفة ..

ولم يكن أمامه سوى البقاء فى ذلك الوضع ، والتطلّع إلى ما يحدث حوله فى مرارة ..

وفى ظفر وحشى ، اتجه إليه (رالف) ، وتطلّع إليه بابتسامة ساخرة ، قائلا :

— والآن يا بطل التحرير .. ماذا تظننى فاعل بك ؟

لم يشك (نور) لحظة فى أن (رالف) سيقتله دون رحمة أو تردّد ، إلا أن هذا الأخير قال فى سخرية :

— ستظن أننى سأقتلك ، ولكن لا .. لن أفعل بك هذا يا رمز الحرية والنصر .. ربما أقتل رفيقك ، والدكتور (رشاد) ، ولكننى لن أقتلك أنت .. أتعلم ما سأفعله بك ؟.. سأجمّدك .. سأضع وسامتك كلها فى قالب من الثلج الشفاف ، يحفظ لى جسدك طويلا ، بحيث يمكننى عرضه على

الجميع ، كرمز لفوقى وسطوتى ، بعد أن أعيد إلى العالم نصف عقله فحسب .

وانحنى يحمل جسد (نور) ، واتجه به نحو جهاز التجميد الصناعى ..

وكاد (رمزى) يبكى ، من فرط المرارة والقهر ..

إنه لا يستطيع إنقاذ قائده ..

لا يستطيع حمايته ..

يعجز عن دفع الخطر عنه ..

أى عذاب هذا ؟..

بل أى هوان ؟..

وأمام عينيه المتسعتين ، رأى (رالف) يضع جسد (نور) فى جهاز التجميد ، وهو يبتسم ابتسامة ظافرة ساخرة ، ويقول :

— هيا أيها البطل .. استقرّ فى مثواك الأخير ، الذى ستبقى فيه نصف حى ، ونصف ميت ، حتى أجد فى نفسى الرغبة لإيقاظك ، أو أقتلك يوما .

ثم أغلق الباب الزجاجى للجهاز ، وهو يقول :

— وداعا أيها البطل .. سأضغط ذلك الزر الأصفر ، عند

وانحنى يحمل جسد (نور) ، واتجه به نحو جهاز التجميد الصناعى ..

قاعدة الجهاز ، وعندئذ تبدأ رحلة النهاية بالنسبة لك .. وداعًا يا أكثر الأبطال حماقة .

وتفجّرت ضحكته الساخرة فى المكان ، وسبّابته تتجه نحو الزر الأصفر ..

ونحو قرار إعدام (نور) .

* * *



٩ ــ المحاولة ..

كرّرت (سلوى) سؤالها ، على شاشة الكمبيوتر ، أكثر من مرة ، دون أن تتلقى جوابا ، حتى كادت أعصابها تنهار ، وهى تقول :

ــ ماذا حدث ؟.. ماذا أصاب (نشوى) ؟

قال الدكتور (حجازى) :

ــ اهدئى يا (سلوى) .. ربما تحتاج إلى بعض الوقت ، حتى يمكنها إعادة التراسل معنا .

اندفع (محمود) بغتة يقول :

ــ أو أنها تحتاج إلى تعاوننا .

التفتت إليه (سلوى) فى تساؤل ، وسألته (مشيرة) فى اهتمام :

ــ وهل يمكننا معاونتها بالفعل ؟

قال :

ــ يمكننا أن نحاول .

سألته (سلوى) فى انفعال :

ــ ما فكرتك بالضبط ؟

أجابها على الفور :

ــ (نشوى) تقول إنها تستخدم أحد أجهزة مركبة (بودون) ، لتنجح فى استقبال رسائلنا أو إرسال رسائلها ، وهذا يعنى أن وجودها فى ذلك البُعد الآخر لا يكفى وحده ، لكى تتصل بنا ، إذن فمن الضرورى أن نمدها نحن أيضا بالطاقة ، لنعاونها على الاتصال .

سألته (سلوى) :

ــ كيف يا (محمود) ؟

صمت لحظة ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، قبل أن يقول :

ــ لماذا لا نبثّ رسائلنا بوسيلة ما ؟

هتفت (سلوى) :

ــ يمكننى هذا بالطبع .. سأوصل الكمبيوتر بجهاز بث خاص ، يحوّل إشارات الكمبيوتر إلى موجات ، أشبه بموجات التليفزيون .

سألها فى اهتمام :

ــ هل يمكنك بثها على موجة بالغة الصغر ؟

أجابته فى حماس :

ــ يمكننى بثها على أية موجة تشاء .

قال متحمسًا :

ــ هيا بنا إذن .

انهمكا معًا فى صنع الجهاز اللازم ، وتوصيله بالكمبيوتر ، فى حين انتحت (مشيرة) ركنًا ، وراحت تراقبهمـــا فى صمت ..

كانت عيناها تحملان ، إلى جوار الترقب والفضول ، نظرة أخرى ، أقرب إلى الحزن والأسى ، أثارت حيرة الدكتور (حجازى) ، فاقترب منها فى هدوء ، وسألها فى لهجة أبوية حنون :

ــ أحزنًا هذا الذى أراه فى عينيك ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ــ إنه كذلك .

سألها فى حيرة :

ــ وما سببه ؟

لاذت بالصمت لحظات طوالًا ، تجمّعت خلالها الدموع فى عينيها ، ثم انحدرت على وجنتيها فى صمت ، فارتفع حاجبا الدكتور (حجازى) فى حنان وإشفاق ، وهو يقول :

ــ يبدو أن الأمر أكبر مما كنت أتصوّر .

تركها تذرف دموعها فى صمت ، وهو يراقبها فى حنان ، حتى هدأت نفسها قليلًا ، فعاد يسألها فى خفوت :

ــ ما سبب حزنك ؟

أجابته وهى تختلس النظر إلى (سلوى) و (محمود) :

ــ إننى أحب (رمزى) .

سألها :

ــ وهل يسبّب هذا الحزن ؟

سالت دمعة أخرى من عينيها ، وهى تقول :

ــ لقد كان يحبها .

أدرك ما تعنيه ، فتمتم متعاطفًا :

ــ أتقصدين (نشوى) ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ــ إننى أحب (رمزى) ، منذ كنا زوجين ، وحتى بعد طلاق منه ، ظللت أحمل له كل الحب وإن منعنى كبريائى من الاعتراف بهذا .. ثم وقع الغزو ، وجمعتنى الظروف به مرة أخرى ، وكشفت أيامها أننى غارقة فى حبه حتى النخاع ، ولكن كان ــ فى ذلك الحين ــ يحب (نشوى) .

ازدردت لعابها ، فى محاولة لمنع دموعها من الانهمار ، قبل أن تتابع ، وارتجافة شفتيها تحمل من المعانى ، أكثر مما تحمله كلماتها :

— واحتملت عذابى ، وأنا أكتم حبى فى قلبى ، إلى أن انفجرت مركبة (بودون) بـ (نشوى) ، وتصوّرنا جميعًا أنها قد لقيت مصرعها .

سألها فى استنكار :

— هل أسعدك مصرعها ؟

هزّت رأسها نفيًا فى شدة ، وقالت :

— مطلقًا .. لقد حزنت من أجلها كل الحزن ، ولكن أحزانى لم تبق طويلًا ؛ فلم تكن علاقتى بـ (نشوى) قوية بما ينبغى ، لأحزن من أجلها طويلًا ، ثم أننى بدأت أقترب من (رمزى) أكثر وأكثر ، وعاودنى الأمل فى استعادة حبه .

صمتت لحظات ، ثم أضافت :

— ولكن (نشوى) عادت إلى الظهور .

قال الدكتور (حجازى) فى شفقة :

— وهذا يعنى أنك ستخسرين قلب (رمزى) مرة أخرى .. أليس كذلك ؟

أومأت برأسها إيجابًا فى حزن وأسى ، فهزّ رأسه متفهمًا وربّت على كتفها ، قائلًا فى حنان :

— قد يدهشك حديثى يا بنيتى ، ولكننى أظن أن هذا أفضل .

رفعت عينيها إليه فى دهشة ، فتابع :

— من الضرورى أن تثقى بمشاعر الرجل ، الذى ترغبين فى الارتباط به ، ولو أنك استعدت حبه ؛ لأن (نشوى) قد اختفت من حياته فحسب ، فلن تهدأ نفسك أبدًا ، حتى وإن ظلّ إلى جوارك ، إلى آخر رمق فى حياته .

غمغمت فى أسى :

— ولكننى أحبه .

قال فى حنان :

— انتظرى إذن ، حتى يبادلك حبًا بحب .

هزّت رأسها نفيًا ، وقالت :

— لم يعد لدى أمل فى هذا ، بعد عودة (نشوى) .

ضغط كفها فى رقة وهو يقول :

— من يدرى ؟

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اعتدلت (سلوى) ، وقالت فى لهفة :

ـــ لقد انتهينا .

ثم اردفت ، وشفتاها تحملان ابتسامة أمل :

ـــ ويمكننا بدء الاتصال بـ (نشوى) .

* * *

تجمّد الزمن بالنسبة لـ (نور) و (رمزى) و (رشاد) ، وسبّابة (رالف) تقترب من الزر الأصفر ، وابتسامته الوحشية تتألق على شفتيه ..

كانت ضغطة الزر تعنى نهاية (نور) ..

وفوز إمبراطورية الشر ..

ولكن فجأة تحطّم كل هذا ..

تحطّم بشعاع من الليزر ، عبر القبو فى سرعة الضوء ، ثم ارتطم بالزر الأصفر ، ونسفه نسفًا ..

وتراجع (رالف) فى حركة حادة ، وهو يهتف :

ـــ اللعنة !.. ما هذا ؟

أتاه صوت ساخر صارم ، يقول :

ـــ إنه شعاع ليزرى أيها الوغد .. أيكفيك هذا الجواب .

كان (نور) وحده يرى القادم ، فى حين لم يكن باستطاعة (رمزى) و (رشاد) سوى سماع صوته فحسب ، ولكن

هذا كان يكفى ، ليعلم (رمزى) و (نور) من القادم ، على الرغم من تيبس جسميهما ..

لقد كان (أكرم) ..

لا أحد يدرى كيف وصل إلى القبو ..

ولا كيف تجاوز جدار الطاقة ..

ولكنه هنا ..

وهذا هو المهم ..

وفى توتر بالغ ، هتف (رالف) :

ـــ من أنت ؟

أجابه (أكرم) بأسلوبه الساخر :

ـــ أنا حظك السيئ .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف فى صرامة :

ـــ والآن أخرج الرائد (نور) من ذلك التابوت الزجاجى القبيح ، وأعد إلى الآخرين قدرتهم على الحركة ، أو ..

قاطعه (رالف) فى غضب :

ـــ مستحيل .

صوّب (أكرم) إليه فوهة بندقيته الليزرية ، وهو يقول :

— هل تراهن ؟.. سأقدّم لك إذن عرضًا نادرًا ، لن يمكنك رفضه .. هيا .. نفذ ما أمرتك به ، أو أنسف رأسك بطلقة واحدة من بندقيتى هذه .

أجابه (رالف) فى عناد :

— افعل ما يحلو لك ، ولكننى لن أعيد إليهم قدرتهم قط .

بدا الغضب الشديد على وجه (أكرم) ، وقال فى حدة :

— فليكن .. ما زال لدى عرض آخر .

واندفع فجأة نحو (رالف) ، وهوى على فكه بكعب بندقيته ، فتفجّرت الدماء من فم هذا الأخير ، وسقط على ظهره أرضًا ، وهو يصرخ :

— أيها الحقير .

ولكن (أكرم) جذبه فى عنف ، وأجبره على الوقوف على قدميه ، ولكمه فى معدته لكمة قوية ، وهو يقول :

— ستنفذ ما أمرتك به .

ثم قفزت قبضته تحطّم أنفه ، مستطردًا :

— أو أظلّ أضربك حتى تفعل .

هتف (رالف) ، وهو يلوّح بقبضتيه :

— فليكن .. سأفعل .

تركه (أكرم) ، وهو يبتسم فى سخرية ، قائلًا :

— كنت أعلم أنك لن ترفض هذا العرض .

نهض (رالف) فى صعوبة ، والدماء تسيل من أنفه ، وتتساقط مع أسنانه المحطمة من بين شفتيه ، وتعلّق بحافة مكتبه ، وهو يقول :

— هذا لا يعنى أننى أستسلم .

ثم قفز جانبًا ، وضرب قدم مكتبه ، صارخًا :

— أو أنهزم .

وشقّ شعاع الليزر الساحق طريقه فى القبو ..

* * *



١٠ — كيف ؟! ..

بدأ البث بموجة بالغة القصر ، وحمل في البداية رسالة مختصرة كالمعتاد ، أرسلتها (سلوى) إلى ابنتها ، تقول فيها :

— أهذا أفضل ؟

مضت دقيقة واحدة هذه المرة ، قبل أن يأتي الجواب واضحًا :

— بالتأكيد .

أرسلت (سلوى) في خفة ، رسالة أخرى تقول :

— هل يفيدك بث الرسالة بهذا الأسلوب ؟

أتاها الجواب في سرعة :

— نعم ؛ فأنا استخدم نفس الموجة ، بعد عكسها ، لبث رسالتي إليكم .

هتف الدكتور (حجازي) :

— اسأليها كيف يمكننا استخدام الدائرة اللامعة ، لإنقاذها مما هي فيه ؟

أسرعت (سلوى) ترسل السؤال ، فأتاها الجواب على الفور :

— لست أدري ، ولكن ما دمتم ترونها عندكم ، فهي تربط بين العالمين حتمًا ؛ لأنني أراها من عندي أيضًا .

قالت (مشيرة) في خفوت :

— ألا يمكنكم توصيل الرسالة بالناقل الصوتي للكمبيوتر ؟

تهللت أسارير (سلوى) ، وهي تقول :

— يمكننا هذا بالتأكيد .. كيف أشكرك يا (مشيرة) ؟

ابتسمت (مشيرة) ابتسامة شاحبة ، في حين أوصلت (سلوى) الكمبيوتر بالناقل الصوتي ، وهي تقول :

— هل تسمعيننا هكذا يا (نشوى) ؟

أتاها صوت (نشوى) ، مختلطًا برنة معدنية ، وهو يقول :

— نعم يا أماه .. أسمعكم جيدًا .

كانت أول مرة تسمع فيها (سلوى) صوت ابنتها ، بعد اختفائها ، لذا فقد تفجرت عيناها بالدموع ، وهي تقول :

— حمدًا لله على سلامتك يا بنيتي .

أجابتها (نشوى) ، في لهجة عاطفية مشوبة :

— كم يسعدنى سماع صوتك يا أماه .. إننى هنا فى عالم عجيب .

سألتها (سلوى) فى قلق :

— أى عالم هذا يا (نشوى) ؟

أجابتها فى لهجة مرتجفة :

— عالم مخيف للغاية يا أماه .. لقد وجدت نفسى فيه فجأة ، مع مركبة (بودون) ، وذلك القرص الهائل ، وتصوّرت فى البداية أننى لقيت مصرعى .

سألها الدكتور (حجازى) :

— لماذا تصوّرت هذا يا بنيتى ؟

أجابته فى صوت يعكس انفعالها :

— إنه عالم مخيف يا دكتور (حجازى) .. لا أحد حولى .. بل لا شىء قط .

ردّد فى دهشة :

— لا شىء قط ؟

أجابته :

— نعم .. إننى كمن يسبح فى فراغ هائل لا نهائى .. لا توجد ملامح لأى شىء .. لا أرض ولا سماء ولا جدران ..

فقط فراغ رهيب ، وعلى الرغم من هذا فأنا أسير فوق شىء صلب ، تحطّمت فوقه مركبة (بودون) ، التى استخدمت جهاز الانتقال فيها ، لأرسل إليكم رسائلى .

سألها (محمود) :

— وأين ترين تلك الدائرة اللامعة ؟

أجابته فى قلق :

— فى أعلى ، ولا يمكننى الوصول إليها قط .

سألها فى اهتمام :

— ومتى ظهرت ؟

أجابته :

— منذ عدة ساعات ، عندما انطلق شعاع أخضر قوى ، من مصدر مجهول .

بدا عليه القلق ، وهو يسألها بدوره :

— أما زال حجمها ثابتًا ، منذ ظهرت لأوّل مرة ؟

أجابته بعد لحظة من الصمت :

— لا .. إنها تتناقص تدريجيًا .

اعتدل متمتمًا :

— هذا ما كنت أخشاه .

سألتها (سلوى) فى توتر :

ـــ كيف يمكننا عبور تلك الدائرة المتألقة إليك ؟

أجابتها (نشوى) :

ـــ لست أدرى ، ولكننى أظن أنكم لو استخدمتم طائرة مثلًا ، أو مركبة صاروخية ، فقد يمكنكم عبور الفجوة ، وإنقاذى .

ارتجف جسد (سلوى) ، وهى تستمع إلى ذلك ، فى حين تابعت (نشوى) فى ضراعة ، تحمل كل خوفها وتوترها :

ـــ حاولوا يا أمى .. أرجوك .. أرجوكم جميعًا .

وسالت دموعهم فى غزارة ..

* * *

عندما أطلق (رالف) أشعة الليزر الساحقة نحو (أكرم) ، كان واثقًا بأن هذه الأشعة ستؤدى غرضها كما ينبغى ، وتسحق (أكرم) سحقًا ..

ولكن هذا لم يحدث ..

لقد انتبه (أكرم) فجأة ، إلى أن أسلوب (رالف) يحمل شيئًا غير طبيعى ، ولم يكد (رالف) يقفز مبتعدًا عن مسار الأشعة ، قبل أن يطلقها ، حتى ابتعد (أكرم) بدوره ، على

نحو غريزى ، وعبرت الأشعة الساحقة على قيد سنتيمتر واحد منه ، قبل أن ترتطم بالحائط ، وتحرق دائرة كبيرة منه ..

وفوجئ (رالف) بنجاة (أكرم) ، فاتسعت عيناه فى ذعر ، فى حين انقضّ عليه (أكرم) فى غضب هائل ، وهو يهتف :

ـــ أيها الحقير .

وهوى على فكه بلكمة عنيفة ، جعلته يرتطم بالحائط ، ثم أعقبها بأخرى كالقنبلة فى معدته ، وثالثة ساحقة على أنفه ..

وبكل ما يملأ نفسه من غضب وثورة ، أمسك (أكرم) مؤخرة عنق (رالف) فى قوة ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ أعد إليهم قدراتهم أيها الوغد .. افعل وإلا أذقتك من العذاب ما لم يراودك ، حتى فى أسوأ كوابيسك .

اختنق صوت (رالف) ، وهو يقول :

ـــ سيستعيدونها وحدهم ، بعد خمس دقائق فحسب .

رفع (أكرم) قبضته ، وهو يقول فى غضب :

ـــ إذن فلم أعد بحاجة إليك .

وهوى بقبضته على مؤخرة عنق (رالف) ، فسقط على وجهه فاقد الوعى ، ووضع (أكرم) بندقيته إلى جواره ، وقال فى صرامة :



وهوى بقبضته على مؤخرة عنق (رالف) ، فسقط على وجهه فاقد الوعي ..

— ليس لدينا فقط سوى أن ننتظر .

لم يكن (نور) يثق كثيرًا بما قاله (رالف) ، ولكنه بدأ يشعر بشيء من اللين في عضلاته وأطرافه ، وبالبرودة تنحسر من جسده تدريجيًا ، فانتابه شعور بالارتياح ، وراح ينتظر تخلّصه من هذه الحالة الرهيبة ..

ثم اتسعت عيناه فجأة في ذعر ..

لقد رأى (رالف) يستعيد وعيه ، وينهض في بطء وحذر ، وهو يرمق (أكرم) من الخلف بنظرة نارية ناقمة ..

وتمنى (نور) لحظتها لو أنه يمتلك القدرة على الصراخ ..

تمنى لو استطاع أن ينبه (أكرم) إلى الخطر ..

وفي صمت ، امتدت يد (رالف) إلى الأداة المعدنية ، التي سحق بها رأس الهمجي السابق منذ قليل ، والتقطتها أصابعه في قوة ، وعيناه تحملان نظرة بغض وكراهية ، مصوَّبة إلى رأس (أكرم) ، الذي لم يشعر بما يحدث خلف ظهره ، فجلس هادئًا ، يراقب (نور) و(رمزي) والدكتور (رشاد) في اهتمام ..

وخفق قلب (نور) في عنف ..

وتجمّعت إرادته كلها في حلقه ، وهو يشاهد قبضة

(رالف) ترتفع فوق رأس (أكرم) ، ممسكة بالسلاح المعدنى الثقيل ..

وفى نفس اللحظة ، التى بدأت فيها قبضة (رالف) رحلة الهبوط ، تحرّرت إرادة (نور) ، وصرخ :

— احترس .

[illegible] تنبيهه فى موعده تمامًا ، فقد مال (أكرم) جانبًا ، دون أن يدرك [illegible] قصده ، فور سماعه صرخة (نور) ، وهوت الأداة الثقيلة إلى جواره فى عنف ..

وقفز (أكرم) من مكانه ، صائحًا فى غضب :

— أيها الوغد .

وهنا قذفه (رالف) بالأداة الثقيلة ، فانحنى (أكرم) ليتفاداها ، مما منح (رالف) فرصة الاندفاع عبر باب القبو ، وتجاوز الباب المعدنى الآخر ، الذى رفعه (أكرم) بوسيلة ما ، ثم انطلق يعدو عبر ممرات القلعة بكل سرعته ..

والتقط (أكرم) بندقيته الليزرية ، ثم اندفع خلف (رالف) فى غضب ..

وكانت المطاردة عنيفة بالفعل ، ولكن (رالف) كان يحفظ طريقه عن ظهر قلب ، مما ساعده على بلوغ سطح القلعة

فى سرعة ، وهناك أغلق باب السطح خلفه فى إحكام ، ثم اتجه نحو لوحة أزرار ، وضغط زرًّا فيها ، وهو يقول فى كراهية :

— حسنًا أيها الحمقى .. لقد نجحتم فى دخول حصنى ، ولكن هيهات أن تنجحوا فى الخروج منه .

تلاشى إثر ضغطه حاجز الطاقة البرتقالى ، وراح قرص صغير يتألّق فوق أحد أبراج القلعة ، فتألّقت معه عينا (رالف) ، وهو يمسح الدماء التى تلوّث أنفه وفمه ، قائلًا :

— معذرة أيها الأبطال .. لن أترك لكم سلاحًا واحدًا .

وبضغطة زر أخرى انفجرت مدافع الليزر الأربعة ، فوق جدران القلعة ، فى نفس الوقت الذى بلغ فيه (أكرم) باب السطح ، وصاح فى غضب :

— لن تفلت أيها الحقير .

تجاهل (رالف) هذا التهديد تمامًا ، وهو يضغط زرًّا ثالثًا ، برزت إثره مركبتان طائرتان ، من فجوتين قريبتين ، فأسرع يقفز فى إحداها ، وهو يقول :

— إلى اللقاء أيها الحمقى .. أو وداعًا .

قالها وأطلق ضحكته الساخرة الشيطانية ، التى امتزجت بدوى انفجار رتاج الباب ، مع طلقة ليزرية من بندقية (أكرم) ..

وعندما اندفع (أكرم) إلى السطح ، كانت المركبة الطائرة تنطلق بـ (رالف) فى السماء ، فصاح (أكرم) :

— لن تفلت أيها الوغد .

وأطلق أشعة بندقيته خلف المركبة ، التى تلاشت بسرعة فى ظلام الليل ، مع ضحكة (رالف) الساخرة ، فخفض (أكرم) بندقيته ، وقال فى غضب :

— لقد نجح الحقير فى الفرار .

مطّ شفتيه فى أسف ، وزفر فى عمق ، ثم استدار ليعود إلى القبو ..

وفجأة تجمّد فى مكانه ، وهو يحدّق فى المنطقة المحيطة بالقلعة ، من فوق أسوارها ..

فهناك ..

حول القلعة ..

وباستثناء ناحية البحر ..

كان هناك نهر من الهمج ، يتجه إلى المكان ..

مئات ..

بل آلاف من الهمج ، يتجهون إلى أبواب القلعة ..

وهتف (أكرم) :

— اللعنة !

ثم اندفع يعدو نحو القبو ، وهو يقول فى انفعال :

— ما الذى يأتى بهم ؟.. أى سحر يجذبهم إلى هنا ؟

لم يكد يعبر باب القبو ، حتى رأى (نور) وقد استعاد قدراته ، وراح يعاون (رمزى) والدكتور (رشاد) على النهوض ، ولم يكد (نور) يراه ، حتى هتف :

— مرحى يا صديقى .. لقد أنقذت حياتنا جميعًا .

وسأله (رمزى) :

— ولكن كيف وصلت إلى هنا ؟

أجابه (أكرم) فى توتر :

— لقد عبرت حاجز الطاقة من ناحية البحر ، فى نفس اللحظة التى عبرتموه فيها أنتم ، وكان من السهل فتح الباب المعدنى من الخارج ، بضغطة زر واحدة .

ثم لوّح بكفه ، هاتفًا :

— ولكن ليس هذا هو المهم الآن

سأله (نور) فى قلق :

— ما المهم إذن ؟

لوّح بذراعيه ، وهو يهتف :

— هناك خطر داهم يحيط بنا .. آلاف من المسخ ، أكلة لحوم البشر ، يحيطون بالقلعة ، ويحاولون اقتحامها .

هتف (رمزى) :

— يا إلهى !

وقال (نور) فى حزم :

— هذا يعنى ضرورة الإسراع بالخروج من هنا .

سأله الدكتور (رشاد) فى رعب :

— كيف ؟.. إنه يقول : إنهم يحيطون بالقلعة من كل جانب .

هتف (نور) :

— سيبقى أمامنا البحر .. هيا بنا .

انطلقوا يركضون عبر الممرات الطويلة ، حتى بلغوا ساحة القلعة ، وهناك كانت قبضات المسخ تدق بوابة القلعة فى عنف ، انخلع له قلب الدكتور (رشاد) ، وهو يقول فى انهيار :

— سيلتهموننا التهامًا .

لم يكد يتم عبارته ، حتى انهارت البوابة ، أمام ذلك الجيش المسخى ، وصرخ (نور) :

— أسرعوا إلى السطح ..

كان سباقًا مخيفًا ، أطلق فيه (أكرم) عشرات من طلقات الأشعة ، على رءوس وأجساد المسخ ، دون أن يوقف هذا ذلك السيل المنهمر منهم ، وصرخ الدكتور (رشاد) فى رعب هائل :

— لن ننجو .. إنهم سيلتهموننا بلا رحمة .

ولكنهم بلغوا السطح فى تلك اللحظة ، واندفعوا إليه فى سرعة ، ثم تعاون (نور) و (أكرم) لإيصاد الباب فى وجوه جيش المسخ ، الذين راحوا يدقون الباب فى ثورة ، وقال (أكرم) فى توتر :

— لن يصمد هذا الباب كثيرًا

أجابه (نور) فى اقتضاب :

— أعلم ذلك .

وهنا هتف الدكتور (رشاد) :

— هناك مركبة طائرة .. يمكننا استخدامها للفرار .

وقال (رمزى) :

— لن يمكنها احتواءنا جميعًا .

أسرع الدكتور (رشاد) يطل من الجانب البحرى لسور القلعة ، وهو يقول :

— ربما لو أمكننا السباحة ..

تراجع فى حركة حادة ، وهو يُطلق شهقة قوية ، جعلت الجميع يندفعون إلى حيث يقف ، ثم اتسعت عيونهم ، و (رمزى) يهتف :

— يا إلهى !

كان البحر يحوى مئات أخرى من الهمج ، يتجهون فى وحشية إلى أسوار القلعة ، محاولين تسلقها ، فهتف الدكتور (رشاد) فى هلع :

— إنه كابوس .. إنه كابوس .

وأشار (نور) إلى القرص الصغير المتألق ، فوق برج القلعة ، وقال :

— هذا الشىء هو الذى يجذبهم حتمًا .

صاح به (رمزى) :

— انسفه يا (نور) .

أخرج (نور) مسدسه الليزرى ، وأطلق أشعته نحو القرص الصغير ..

ولكن شيئًا ما كان يصدّ أشعته ، ويشتتها ..

وفى حنق ، قال (نور) :

— لقد أحاطه ذلك الوغد بستار واق .

قال الدكتور (رشاد) :

— فلنجرِّب المركبة .

فصاح (أكرم) :

— هل يجيد أحدكم قيادة المركبات الطائرة ؟

أجابه (رمزى) بصوت مرتجف :

— (نور) وحده يمكنه قيادتها .

وقال (نور) فى حزم :

— ولكنها لن تتسع سوى لراكبين فحسب .

أجابه (أكرم) :

— أو ثلاثة ، لو أمكنكم حبس أنفاسكم قليلاً .

قال (نور) :

— إننا أربعة .

أجابه فى حزم :

— سنجرى قرعة .

ارتجف الدكتور (رشاد) ، وهو يقول :

— قرعة ؟!

لم يكد يتم قوله ، حتى انهار رتاج باب السطح .. واندفع جيش الهمج نحو أبطالنا ..

بلا رحمة .

* * *

١١ — بلا أمل ..

فركت (سلوى) كفيها فى عصبية ، وهى تقول :

— لابد أن نحاول .. لن نستسلم الآن .

قلب (محمود) كفيه فى حيرة ، وهو يقول :

— وماذا يمكننا أن نفعل ؟.. أنت تعلمين أن الغزاة قد دمّروا كل ما يصلح للطيران ، منذ بداية الاحتلال ، وليس لدينا وسيلة واحدة لبلوغ تلك الفجوة ، قبل مغيب شمس الغد .

قالت فى انفعال :

— لاينبغى أن نيئس .. ربما أمكننا صنع شىء ما .

قال وهو يشعر بالأسف :

— مثل ماذا ؟..

لوّحت بكفيها ، قائلة :

— أى شىء .. ألا يمكننا إصلاح طائرة محطّمة ، أو ..

قاطعها الدكتور (حجازى) ، قائلاً :

— يمكننا هذا بالتأكيد .

هزّ (محمود) رأسه ، وقال :

— ماذا تقول يا دكتور (حجازى) ؟.. إننا لا نملك حتى طائرة قديمة ، يمكننا التفكير فى إصلاحها .

أجابه الدكتور (حجازى) فى حزم :

— بل لدينا واحدة .

قال (محمود) فى توتر :

— أين هى ؟

أجابه بلهجة قاطعة :

— مركبة (بودون) .

اتسعت عينا (سلوى) فى فهم ، وبدت الحيرة على وجه (مشيرة) ، فى حين ردّد (محمود) فى قلق :

— مركبة (بودون) ؟

أجاب الدكتور (حجازى) فى حماس :

— نعم .. مركبة (بودون) ، التى انتقلت مع (نشوى) إلى ذلك البُعد الآخر .. يمكننا أن نرشد (نشوى) إلى كيفية إصلاحها .

هتفت (سلوى) :

— فكرة رائعة .

أما (محمود) ، فقال فى تردد :

— أتظن (نشوى) يمكنها هذا ؟

هزّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، وقال :

— من يدرى ؟.. ربما كان العطب بسيطًا ، بحيث يمكنها إصلاحه ، لو أرشدناها إلى وسيلة الإصلاح ، وكل ما نطلبه من هذا الإصلاح هو أن تنقلها المركبة — عبر الفجوة — إلى هنا فحسب ، ولسنا نطلب إصلاحًا فنيًا رفيع المستوى .

أومأ (محمود) برأسه متفهمًا ، وقال :

— فكرة جيدة بالفعل .

ثم أشعل الكمبيوتر ، وقال :

— (نشوى) .. هل تسمعيننى ؟

أتاه صوتها ، عبر الكمبيوتر ، وهى تقول :

— نعم يا (محمود) .. أسمعك جيدًا ..

سألها :

— أيمكنك وصف ذلك العطب ، الذى أصاب مركبة (بودون) ؟

تنهدت وقالت :

لقد احترق محرّكها .

تبادل (محمود) مع (سلوى) نظرة قلق ، وسأل (نشوى) :

— ما الذى تقصدينه بأنه قد احترق .

أجابته فى توتر :

— يبدو أنه لم يحتمل الرحلة إلى هنا ، فتصاعد منه دخان كثيف ، وتوقّف عن العمل .

سألها :

— ولكن المركبة تحتفظ بطاقتها .. أليس كذلك ؟

أجابته ، بعد لحظة من الصمت :

— بالتأكيد ، فما زالت بعض الأجهزة الأخرى تعمل فى كفاءة .

سألتها (سلوى) :

— وماذا يقول كمبيوتر الأعطال ، عن هذا العطب ؟

أجابتها ابنتها :

— لست أدرى يا أماه ، فهو يضىء بصورة متصلة ، منذ وصلنا إلى هنا ، ولكننى لا أفهم شيئًا منه ، لأن تلك الرموز ، التى يُعلن بها عن العطب ، هى لغة (أرغوران) حتمًا ، وأبى

هو الوحيد الذى يفهم تلك اللغة ، بعدما لقنه إياها (بودون)(*) آليًا .

سألها الدكتور (حجازى) :

ـــ ألا يمكنك اختبار المحرك ، ومعرفة العطب ؟

ران صمت مخيف ، عبر جهاز الاتصال ، مما جعل (سلوى) تقول فى قلق :

ـــ (نشوى) .. هل تسمعيننا ؟

مضت لحظة أخرى من الصمت ، كاد قلب (سلوى) يهوى خلالها ، قبل أن يأتى صوت (نشوى) ، وهى تقول فى توتر :

ـــ هناك أمر عجيب يحدث هنا .

سألتها (سلوى) فى جزع :

ـــ أى أمر هذا ؟

أجابتها (نشوى) ، وقد امتلأ صوتها بقلق خفى :

ـــ لست أدرى ، ولكن جزءًا من ذلك الفراغ اللانهائى ، يتلوّن بلون داكن .

قالت (سلوى) :

(*) راجع قصة (معركة الكواكب) .. المغامرة رقم (٥٨)

ـــ ربما هى فجوة جديدة

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن تقول (نشوى) :

ـــ ربما .

ثم أضافت فى سرعة ، وكأنها تحاول التغلب على خوفها :

ـــ المهم كيف أختبر المحرك ؟

أجابها الدكتور (حجازى) :

ـــ يمكنك محاولة تشغيله ، و ...

قاطعته :

ـــ إنه لا يعمل مطلقًا .

ثم هتفت فجأة :

ـــ يا إلهى !.. يبدو أنها فجوة جديدة بالفعل .

صاحت (سلوى) ، وقد امتلأت نفسها بالقلق على ابنتها :

ـــ ماذا حدث عندك بالضبط يا (نشوى) ؟

أجابتها (نشوى) بصوت خائف :

ـــ هناك دائرة تتألق على مقربة من هنا ، وربما كانت ظاهرة طبيعية ، من ظواهر هذا العالم العجيب ، أو فجوة أخرى ، إلى عالم ثالث .

أمسك الدكتور (حجازى) بكتف (سلوى) فى قوة ، وهو يقول فى انفعال :

ـــ اطلبى منها أن تبتعد عن تلك الفجوة الجديدة ..

صاحت (سلوى) :

ـــ ابتعدى عنها يا (نشوى) .

لم يبد أن (نشوى) قد سمعت هتافها ، وهى تقول :

ـــ هناك شىء يخرج من الفجوة .

صاحت (سلوى) فى خوف :

ـــ ابتعدى يا (نشوى) .. ابتعدى .

ولكن (نشوى) واصلت ، فى انفعال شديد :

ـــ إنهم بشر .. يبدو أنهم كذلك .

ألجم قولها ألسنة الجميع ، وردّدت (مشيرة) فى حيرة :

ـــ بشر ؟!

وغمغم (محمود) فى حذر :

ـــ وكيف وصل البشر إلى هناك ؟

أتاه الجواب على لسان (نشوى) ، عبر جهاز الاتصال ، وهى تقول :

ـــ لا .. إنهم ليسوا من البشر .

هتفت (سلوى) :

ـــ ما هم إذن يا (نشوى) ؟

أجابتها (نشوى) فى صوت مرتجف :

ـــ لست أدرى .. إنهم يبدون أحيانًا كالبشر ، وأحيانًا أخرى مثل الـ ...

بترت عبارتها دفعة واحدة ، فصاحت (سلوى) :

ـــ مثل ماذا يا (نشوى) ؟.. مثل ماذا ؟

أتى صوت (نشوى) مرتجفًا ، مليئًا بالرعب ، وهى تقول :

ـــ إنهم يتجهون إلىّ .. يا إلٰهى !.. النجدة .

صرخت (سلوى) :

ـــ ماذا حدث يا (نشوى) ؟.. ماذا يحدث عندك ؟

صدرت عن الجهاز أصوات حادة مرتبكة ، أعقبتها صيحة (نشوى) ، وهى تهتف :

ـــ لا .. لا تقتربوا منى .

انهارت مشاعر (سلوى) ، وهى تصرخ :

ـــ ماذا يحدث يا (نشوى) ؟.. ماذا يحدث ؟

ولكن الجواب أتى على هيئة صرخة ..

صرخة رعب هائلة ، تحمل صوت (نشوى) ..

ثم انقطع الإرسال ..

انقطع نهائيًا ..

* * *

أطلق (أكرم) أشعة بندقيته فى غزارة ، على جيش المسخ ، الذى اندفع فى وحشية إلى السطح ، مما صنع بينه وبينهم حاجزًا مؤقتًا ، منعهم من اجتياز باب السطح ، وهو يصرخ فى صرامة :

ـــ ابتعدوا أيها الأوغاد .. لن تنالوا منا أبدًا .

صاح به (نور) :

ـــ ابتعد يا (أكرم) .. ابتعد .

ولكن (أكرم) قال فى صرامة :

ـــ ابتعد أنت أيها الرائد .. استقل المركبة الطائرة ، واحمل معك رفيقك ، وحاولا أن تحشرا ذلك العالم بينكما ، وانطلقا من هنا بسرعة .

صاح (نور) :

ـــ لن نبتعد دونك .

صرخ (أكرم) :

ـــ ابتعد أيها الأحمق ، وإلا لقينا مصرعنا جميعًا

قال (نور) فى عناد :

ـــ لن يمكننى تركك .

أمسك (رمزى) ذراع (نور) ، وهو يقول فى توتر :

ـــ إنه على حق يا (نور) .. لن يمكننا أبدًا أن نخرج من هنا أحياء .

قال (نور) فى مرارة :

ـــ لا ينبغى أن نتخلى عنه

صاح به (أكرم) :

ـــ لا وقت لهذه الشهامة أيها الرائد .. اذهب بسرعة ، فأنت أمل الأرض الأخير .

هتف (رمزى) :

ـــ هيا يا (نور) .

تردد (نور) لحظة ، ثم انتزع مسدسه الليزرى ، وألقاه إلى (أكرم) ، قائلًا فى انفعال :

ـــ خذ .. ربما عاونك هذا .

قال (أكرم) ، وهو يواصل منع المسخ من عبور الباب بوابل من أشعته القاتلة :

ــ ربما .

أسرع (نور) نحو المركبة الطائرة ، وقفز خلف أزرار قيادتها ، ولحق به (رمزى) والدكتور (رشاد) ، وانحشر الثلاثة داخلها ، وقال (نور) فى حزن :

ــ وفقك الله يا (أكرم) .

وضغط أزرار الطيران ..

ولكن المركبة الطائرة لم تتحرك ..

لقد بقيت على سطح القلعة ..

وتضاعف هجوم جيش الممسخ ..

وانعدم الأمل الأخير .

...

انتهى الجزء الثانى بحمد الله

ويليه الجزء الثالث

(أرض العدم)

٨٣

ملف المستقبل

روايات مصرية للجيب



أرض العدم


نور الدين


سلوى


رمزى


محمود

١ ـ الخطـــر ..

صورة رهيبة ، تبدأ بها أولى مشاهد قصتنا ..

صورة (نور) و (رمزى) ، داخل مركبة طائرة ، ومعهما الدكتور (رشاد خيرى) ، أكبر وأشهر خبراء الأشعة فى العالم ، على سطح قلعة (قايتباى) ، التى اقتحمها وأحاط بها حشد هائل من الهمج .. آكلو لحوم البشر ، الذين يجتذبهم قرص مضىء ، يرسل إشارات غامضة ، تزيد من ثورتهم ووحشيتهم ..

وهناك رجل واحد يتصدّى لهذا الحشد ..

رجل يُدعى (أكرم) ، يقاتل لمنع الهمج من اقتناص وافتراس (نور) ورفيقيه ، الذين تعطلت مركبتهم ، وعجزوا عن الفرار ..

ولكن .. أهذه هى البداية حقًّا ؟..

ليس من السهل تحديد نقطة البداية الحقيقية ، بعدما أصاب الأرض ، إثر انفجار قنبلة (جاما) فى سماء الكوكب ، ورحيل غزاة (جلوريال) عنه (*) .

فقط يمكننا أن نعتبر أن البداية هى رسالة الدكتور (رشاد) ، التى استقبلها (نور) وفريقه ، فى مقرّهم

(*) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٨٠) .

السرى ، وقرروا بذل جهدهم لاستعادة خبير الأشعة العالمى ، وانقاذه ؛ ليساعد فى البحث عن حل ، يستعيد به أهل الأرض عقولهم وحضارتهم ..

ورحل (نور) و(رمزى) إلى (الإسكندرية) ، فى مغامرة مثيرة رهيبة ، تعرّضت خلالها حياتهما لمخاطر رهيبة ، والتقيا خلالها بـ(أكرم) و (نادر) ، اللذين نجيا بمصادفتين عجيبتين ، من الآثار المدمّرة لقنبلة جاما ، واشتركا معهما فى مواجهة ثلاثة من مجرمى سجن القمر ، الذين أمكنهم الفرار ، والسيطرة على (الإسكندرية) ، فى إطار خطة طويلة ، تستهدف السيطرة على كوكب الأرض كله فيما بعد ..

ونجح الأشرار الثلاثة (جيسى) و (رالف) و (كارلو) فى اختطاف الدكتور (رشاد) والسيطرة عليه ، وصنعوا لأنفسهم حصنًا فى قلعة (قايتباى) ، أجبر فيه (رالف) الدكتور (رشاد) على معاونته ، للوصول إلى وسيلة لإعادة شىء من العقل والحضارة إلى عقول الأرضيين ؛ ليصبحوا مخلوقات نصف عاقلة ، يمكن لـ(رالف) السيطرة عليها ، واستعبادها ، فى سبيل اعتلائه عرش الأرض كله ..

وفى نفس الوقت ، كان باقى أفراد الفريق يواجهون الأخطار الجسيمة ، والمفاجآت المدهشة فى المقر السرى ..

لقد أصيب (س ـ ١٨) بالجنون ، وحاول مهاجمة الفريق أكثر من مرة ، وكأنما فقد سيطرته على نفسه ، وعلى عقله الإليكترونى المنظم ، ثم لم يلبث أن انطلق فى الفضاء ، نحو

الشمس ، ليتخلّص من ذلك القرص الشيطانى ، الذى وضعه (نور) فى صدره ، وهو يتصوّر أنه لن يؤذيه قط ..

أيضًا بدأ الكمبيوتر يستقبل رسائل عجيبة ، تشير إلى وجود (نشوى) على قيد الحياة ، ثم لم يلبث أفراد الفريق أن نجحوا فى الاتصال بها فعليًا ، فى بُعد آخر ، مواز لبعدنا هذا ، إلا أن مخلوقات هاجمتها فى ذلك البعد الآخر ، وانقطع الاتصال بغتة ..

حدث كل هذا ، عندما كان (نور) و (رمزى) و (أكرم) والدكتور (رشاد) على سطح قلعة (قايتباى) ، يواجهون جيشًا جرارًا من الهمج ، بعد أن تخلّص (رالف) من زميليه (جيسى) و (كارلو) ، وتسبب فى مصرع (نادر) ، وفرّ من القلعة ، باستخدام مركبة طائرة أخرى ..

ولم تستجب مركبة (نور) ورفاقه ..

ولم تنطلق ..

وتضاعف هجوم جيش الهمج ..

وانعدم الأمل الأخير ..! (*)

* * *

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين الأول والثانى (رمز القوة) ، (حصن الأشرار) .. المغامرتين رقم (٨١) ، (٨٢) .

ليس من السهل وصف ذلك الشحوب الشديد ، الذى بدا على وجه (سلوى) ، وهى تحدق فى جهاز الكمبيوتر ، بعد أن انقطع الاتصال بينها وبين ابنتها ..

كانت الصدمة قوية عليها بالفعل ..

لقد انتعش الأمل فى قلبها ، عندما تبيّنت أن ابنتها على قيد الحياة ، وعادت تحلم بلقاء جديد معها ، ولكن القدر أبى عليها أن تستعيد سعادتها ، وجعلها تشهد خطرًا جديدًا يواجه الابنة ، وهى تقف عاجزة عن عمل أى شىء لإنقاذها ..

أما (محمود) ، فقد راح يعالج أزرار الجهاز فى عصبية ، وهو يقول :

ـ ماذا حدث يا (نشوى) ؟.. أجيبى .. ماذا حدث ؟..

لم يتلقَ جوابًا على رسالته ، وهو يكرّرها أكثر من مرة ، فى حين أمسكت (مشيرة) يد الدكتور (حجازى) فى قوة ، وهى تشير إلى (سلوى) ، قائلة :

ـ يا إلهى !.. دكتور (حجازى) .. أترى ما أصاب (سلوى) ؟

اندفع الدكتور (حجازى) نحو (سلوى) ، وأمسك كتفيها ليهزّها فى قوة ، قائلًا فى صوت مرتفع :

ـ (سلوى) .. لا تقفى ساكنة هكذا .. إننا سنجد وسيلة لإنقاذ (نشوى) بإذن الله .. لا تقفى صامتة هكذا يا (سلوى) .

تطلّعت إليه فى شرود عجيب ، جعله يصرخ بها :

ـ أخرجى من جمودك هذا .

وهوى على وجهها بصفعة قوية ، انتفض لها جسدها كله ، قبل أن تحدّق فى وجهه بذهول ، ثم تنفجر باكية ، وهى تقول :

ـ لم أعد أحتمل .. لم أعد أحتمل .. لقد فقدت ابنتى الوحيدة مرتين ..

ربت عليها فى حنان وإشفاق ، وهو يقول :

ـ إننا لم نفقدها للمرة الثانية بعد يا بنيتى .

أشارت إلى شاشة الراصد ، التى تنقل صورة الدائرة الخضراء اللامعة ، التى انكمش حجمها كثيرا ، وقالت :

ـ ألم تسمع صراخها الأخير .. لقد هاجمتها مخلوقات مجهولة ، ونحن نعجز حتى عن إنقاذها ، وتلك الدائرة الخضراء ، التى تمثل طريقنا الوحيد إليها تنكمش باستمرار ، ولن نلبث أن نفقد آخر أمل فى الوصول إلى (نشوى) المسكينة ، مع مغيب شمس الغد .

بدا التوتر واضحا ، فى صوته وملامحه ، وهو يقول :

ـ سنعثر على وسيلة حتما .. سنعثر عليها بإذن الله ، قبل فوات الأوان .

قالت (سلوى) ، ودموعها تنهمر فى مرارة :

ـ آه .. لو كان (نور) هنا .

لم تكد تذكر اسمه ، حتى رفعت وجهها ، هاتفة فى ذعر :

- (نور) .. لماذا لم يصل بعد يا دكتور (حجازى) ؟.. ماذا أصابه ؟

لم ينبس الدكتور (حجازى) بحرف واحد ، وهو يتطلع إليها فى عطف واحد ، فقد كان قلبه يشعر أن (نور) و (رمزى) يواجهان الخطر ، فى هذه اللحظة ..

خطر الموت ..

* * *

امتقع وجه الدكتور (رشاد) فى شدة ، عندما أبى محرّك الطائرة أن يعمل ، وسط ذلك الموقف الرهيب ، وحدق فى رعب فى جيش الهمج المخيف ، الذى يتصدّى له (أكرم) فى استماتة ، وهتف فى شحوب :

- لا فائدة .. لقد انتهينا .. ستصبح مجرّد طعام لهؤلاء الوحوش ..

وافقه (رمزى) فى أعماقه ، على هذا الشعور ، فى حين واصل (نور) محاولاته لإشعال محرّك المركبة الطائرة ، وصرخ (أكرم) :

- أسرعوا بالله عليكم .. لن أحتمل أكثر من هذا .

انقضّ عليه أحد الهمج فى هذه اللحظة ، وانتزع منه المدفع الليزرى فى عنف ، ولكن (أكرم) حطم فكه بلكمة كالقنبلة ، ثم انتزع مسدس (نور) من حزامه ، صارخا :

- أسرعوا .

اشتعل المحرّك فى هذه اللحظة ، فتشبّث الدكتور (رشاد) بمقعده ، صائحا :

- أسرع يا (نور) .. أسرع .

انطلقت المركبة الطائرة ، وارتفعت عن سطح القلعة ، فى نفس اللحظة التى أطلق فيها (أكرم) أشعة مسدسه على أحد الهمج ، ثم اندفع يعدو نحو سور القلعة ، المطلّ على البحر ، صائحا :

- لن تنالونى حيًا أيها الأوغاد .

هتف (رمزى) من داخل المركبة ، وهو يشاهد (أكرم) ، منطلقا نحو سور القلعة ، حيث يموج البحر بعشرات الهمج :

- ماذا يفعل هذا المجنون ؟

أجابه (نور) ، وهو ينحرف بالمركبة الطائرة ، فى حركة حادة :

- ينتحر .

تمتم الدكتور (رشاد) بصوت مرتجف :

- لو أننى فى مكانه ، لاخترت هذا أيضا .

انخفض (نور) بالمركبة ، وهو يقول فى حزم :

- لا تقل هذا يا سيدى ، فالانتحار نوع من الجبن ، والكفر برحمة الله (سبحانه وتعالى) .



ومالت المركبة إلى الجانب الأيمن فى شدة ، وكادت ترتطم بجدار القلعة ..

كان (أكرم) قد بلغ سور القلعة فى هذه اللحظة ، وخلفه جيش ثائر من الهمج ، فقفز يعتلى السور ، وألقى نفسه من أعلاه ، نحو البحر الممتلئ بالهمج الآخرين ، فاندفع (نور) تحته بالمركبة ، مستطردًا :

ـ فهناك دائمًا أمل فى النجاة .

لم يكن (أكرم) يتصوَّر ، وهو يلقى نفسه من أعلى القلعة ، أنه سيظلّ حيًا برزق ، فلم يكن مصيره يتجاوز التحطّم فوق الصخور ، أو الموت بأيدى الهمج ، ولكنه فوجئ بجسده يهوى نحو مركبة (نور) الطائرة ، وهذا الأخير يهتف به :

ـ تشبّث ياصديقى .

رفع (أكرم) ذراعيه بحركة غريزية ، ورأى ذلك الجزء البارز ، إلى جوار مقعد (رمزى) ، فأطبق أصابعه عليه بكل قوته ، وتشبث به فى شدة ، وشعر بآلام فى ذراعيه ، عندما توقف جسده فجأة ، ومالت المركبة إلى الجانب الأيمن فى شدة ، وكادت ترتطم بجدار القلعة ، فصاح الدكتور (رشاد) :

ـ احترس يا (نور) .. احترس .

دفع (نور) عصا القيادة إلى اليسار فى مهارة ، فانحرفت المركبة ، قبل نصف المتر من ارتطامها بالجدار ، ولكنها انخفضت أكثر ، حتى كاد الهمج فى البحر يمسكون ساقى

(أكرم) الذى رفع جسده إلى أعلى ، وهو يصرخ فيهم ، فى عبارة تمتزج السخرية فيها بالرهبة :

ـ مهلا أيها المتوحشون .. ما زال اسمى يحتل مكانه ، فى سجل الأحياء، ولن أسمح لكم بمحوه الآن ..

شحذ كل قواه ، ودفع جسده إلى أعلى ، وعاونه (رمزى) على الصعود إلى المركبة ، ثم حاول أن يفسح له مكانا ، بينه وبين الدكتور (رشاد) ، الذى لاحظ أن المركبة أصبحت تطير على ارتفاع منخفض للغاية ، إلى الحد الذى قد يسمح لهمجى قوى بالقفز إليها ، فسأل (نور) فى جزع :

ـ هل ستحتمل المركبة هذا الوزن ؟

أجابه (نور) فى خفوت :

ـ إلى حد ما .

وهنا قال (أكرم) فى سخرية ، تغلب عليها العصبية :

ـ أتحب أن أقفز ثانية ؟

تمتم الدكتور (رشاد) فى توتر :

ـ لم أقصد هذا ، وإنما ..

بتر عبارته فجأة ، عندما رأى ارتفاع المركبة ينخفض أكثر وأكثر ، وعددا من الهمج يسرعون نحوها ، فى محاولة لإسقاطها ، و ...

وفجأة دوى انفجار مكتوم عند القلعة ..

لقد انفجر ذلك القرص المضىء ، الذى كان يجذب الهمج ، ويثير ثائرتهم فى شدة ..

ولم يكد القرص ينفجر ، حتى راح الهمج يصرخون ، وهم يسدون آذانهم فى قوة ، مما سمح للمركبة بتجاوزهم فى سرعة ، و (أكرم) يقول :

ـ يا إلهى !.. من الواضح أن ذلك القرص كان له تأثير هائل عليهم .

قال (نور) ، وهو يبتعد بأقصى سرعة :

ـ هذا من حسن حظنا ، فانفجاره الآن سيمنحنا فرصة كافية ، للخروج من (الإسكندرية) ، واتخاذ طريق العودة إلى (القاهرة) .

سأله الدكتور (رشاد) فى لهفة :

ـ كم نحتاج من الوقت لبلوغها .

أجابه (نور) ، وهو يلقى نظرة سريعة ، على أرقام عداد السرعة :

ـ بهذه السرعة سنبلغ المقر السرى فى نصف الساعة على الأكثر .

تمتم الرجل فى ارتياح :

ـ عظيم .

أما (رمزى) ، فسأل فى قلق :

ـ ولكن أين ذهب (رالف) ؟

أجابه (أكرم) فى خشونة :

ـ فليذهب الى الجحيم .. لم أعد أحتمل حتى سماع اسمه .

ولكن بعيدا ، فوق مستوى السحب ، كانت مركبة (رالف) تتبعهم فى حرص ، وكان هذا الأخير يقول لنفسه فى حنق وسخط ومقت :

ـ لقد نجوتم هذه المرة يا سادة .. وربما كان هذا من سوء حظ فريقكم كله .. إننى أستطيع إسقاطكم الآن ، بمدفع الليزر الذى أملكه فى مركبتى هذه ، والذى لاتملكون مثله فى مركبتكم ، ولكننى لن أفعل .. سأسمح لكم ببلوغ مقركم السرى ، وبعدها أنسف الجميع .. أنسفهم نسفا .

وانطلقت ضحكته فوق السحاب ..

وكانت ضحكة شيطان .

* * *



٢ ـ الأمـــل ..

ـ هل تسمعينى يا (نشوى) ؟.. أجيبى ..

ردد (محمود) هذا النداء فى صبر ، لنصف ساعة كاملة ، قبل أن يكسو اليأس ملامحه ، وهو يخفض وجهه أرضا ، مغمغما :

ـ لا فائدة .

انغرست كلمته كخنجر حاد ، فى قلب (سلوى) ، التى أخفت وجهها بكفيها ، وانخرطت فى بكاء حار ، فى حين ران الصمت التام على المكان ، قبل أن يقول الدكتور (حجازى) فى خفوت :

ـ لست أصدق هذا .

ألقت (مشيرة) نظرة مشفقة على (سلوى) ، وقالت :

ـ وماذا يمكننا أن نفعل يادكتور (حجازى) ؟

ألقى نظرة على الدائرة الخضراء اللامعة ، التى تنقل شاشة الراصد صورتها فى قلب السماء ، وقال :

ـ لابد أن نجد وسيلة ، لبلوغ تلك الفجوة بين الأبعاد .. لابد .

ضرب (محمود) كفه براحته ، وهو يقول :

ـ آه لو كان (س ـ ١٨) هنا !

رفعت (سلوى) رأسها بغتة ، وقالت فى مرارة شديدة ، وبكلمات اغتسلت بالدموع :

ـ أو (نور) .. أين ذهب (نور) ؟.. هل فقدت ابنتى وزوجى معًا ؟

أمسك الدكتور (حجازى) كتفيها ، وقال :

ـ لا يا ابنتى .. لا تفقدى الأمل .. سيعود (نور) بإذن الله (سبحانه وتعالى) ..

سيعود ظافرًا .

وفجأة هتفت (مشيرة) :

ـ انظروا .

التفت الجميع إلى شاشة الراصد ، التى تشير إليها ، وهتفت (سلوى) ، فى صوت قفزت إليه رنة أمل :

ـ (نور) !!

كانت الشاشة تنقل صورة المركبة الطائرة ، التى تنطلق على ارتفاع منخفض ، وبسرعة معقولة نسبيًا ، بالنسبة للسرعات المعروفة فى القرن الحادى والعشرين ، قبل انفجار قنبلة (جاما) ، وعلى متنها (نور) و (رمزى) و (أكرم) ، والدكتور (رشاد) ، وهتفت (مشيرة) فى انبهار :

ـ لقد نجح (نور) .. نجح وأنقذ الدكتور (رشاد خيرى) ، ومعه شخص آخر .. والأروع أنه حصل على مركبة طائرة .

أمسكت (سلوى) يد الدكتور (حجازى) ، وهى تقول فى انفعال :

ـ مركبة طائرة ؟!.. هذا هو الأمل المنتظر يا سيدى .

شعر الدكتور (حجازى) بقلبه ينبض فى قوة ، وهو يقول :

ـ نعم يا بنيتى .. إنه الأمل .

هبطت مركبة (نور) فى هذه اللحظة ، عند مدخل المقر السرى ، وتلفت (نور) حوله ، وهو يقفز خارجها ، قائلًا فى قلق :

ـ أين (س ـ ١٨) ؟.. المفروض أن يكون هنا .

سأله (أكرم) :

ـ ما (س ـ ١٨) هذا ؟

أما الدكتور (رشاد) ، فقد بدا شديد القلق ، وهو يقول :

ـ أين المقر السرى ، الذى تتحدثون عنه ، منذ غادرنا (الإسكندرية) ؟!.. لست أرى سوى بعض الأطلال والصخور ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انزاح الباب السرى للمقرّ فى خفوت ، وكشف عن المدخل الخفى ، الذى اندفعت منه (سلوى) ، وخلفها باقى أفراد الفريق ، وهى تهتف فى حرارة :

ـ (نور) .. حمدًا لله على سلامتك يا (نور) .

ألقت نفسها بين ذراعيه ، فاحتواها فى حنان ، وسألها :

ـ أين (س ـ ١٨) ؟.. ماذا حدث هنا ؟
أجابته والدموع تنهمر من عينيها فى غزارة :
ـ لقد رحل (س ـ ١٨) يا (نور) .
هتف فى دهشة :
ـ رحل ؟!.. إلى أين ؟
أجابه الدكتور (حجازى) ، وهو يصافحه فى حرارة ، تاركًا (محمود) و (مشيرة) يستقبلان (رمزى) و (أكرم) والدكتور (رشاد) :
ـ لسنا ندرى أين ذهب (س ـ ١٨) يا (نور) ، ولا لماذا رحل ، ولكن ليس هذا هو المهم الآن .
سأله (نور) فى قلق :
ـ ما المهم إذن ؟
هتفت (سلوى) :
ـ (نشوى) يا (نور) .. ابنتنا .
سألها فى حذر قلق :
ـ ماذا عنها ؟
هتفت بكل ما يجيش به صدرها من انفعالات :
ـ إنها على قيد الحياة يا (نور) ، ولدينا أمل واحد فى استعادتها .. أمل واحد فقط ..
وكانت مفاجأة مذهلة ..

* * *

استمع (نور) إلى زوجته فى انتباه شديد ، وجسده كله يزخر بانفعال جارف ..
لم يكن يصدّق أذنيه ..
كان الخبر عجيبًا ، والأمل حافزًا جديدًا لقلبه الملتاع ..
ابنته على قيد الحياة ..
يا لها من مفاجأة !..
ولكن ذلك الأمل ، الذى وُلد فى صدره ، لم يلبث أن اصطدمَ بذلك الخطر الجديد ، الذى تتعرّض له (نشوى) ، فالتفت يتطلّع بدوره إلى شاشة الراصد ، وإلى الدائرة الخضراء اللامعة فى قلب السماء ، وقال فى خفوت :
ـ إذن فتلك الدائرة العجيبة ، التى صنعها (س ـ ١٨) قبل رحيله ، هى الفجوة الوحيدة ، بيننا وبين ذلك البعد الآخر ، الذى انتقلت إليه (نشوى) !
قال (أكرم) فى صوت حاسم :
ـ وهى السبيل الوحيد لاستعادتها .
تطلّع إليه (نور) بنظرة خاوية ، وهو يقول :
ـ نعم .. هى كذلك .
ثم اعتدل مستطردًا :
ـ ولدينا الوسيلة الآن .
ابتسم (أكرم) ابتسامة أقرب إلى الجزل ، وهو يرفع المسدس الليزرى فى حماس ، قائلًا :

- نعم .. المركبة التى أهدانا إياها ذلك الوغد (رالف هينريش) .. هيا يا سيادة الرائد .. سنذهب لاستعادة ابنتك .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول (نور) فى حزم :

- أشكر لك تطوّعك وحماسك يا عزيزى (أكرم) ، ولكننى سأذهب وحدى .

أجابه (أكرم) فى مرح حماسى :

- ومن سيسمح لك ؟

أجاب (نور) :

- لا تنس أننى القائد هنا يا (أكرم) ، واتخاذ القرارات من سلطتى وحدى ، ثم إن (س - ١٨) قد رحل ، ومن الضرورى أن يعمل شخص ما على حماية المقر السرى ، فى الوقت الذى يشترك فيه الدكتور (رشاد خيرى) مع (محمود) ، للبحث عن وسيلة لإنتاج القنبلة المضادة لأشعة (جاما) ، ولست أجد هنا سواك ، لإسناد مهمة الحماية إليه .

بدا وكأن حديثه قد أثلج صدر (أكرم) ، الذى اعتدل فى حماس ، ورفع يده بتحية شبه عسكرية ، وهو يقول :

- سمعا وطاعة أيها القائد .. اذهب أنت فى رعاية الله ، وليطمئن قلبك على المقر السرى .. سأدافع عنه بحياتى .

ابتسم (نور) ، قائلا :

- كنت أعلم هذا .

قال (رمزى) فى حزم :

- سأصحبك أنا يا (نور) .

وهتفت (سلوى) :

- بل سأذهب أنا .. إنها ابنتى .

حسم (نور) هذا الجدل ، وهو يقول فى صرامة :

- لن يرافقنى أحد .. إنها ليست رحلة استجمام أو حتى مهمة عادية .. إننا نواجه شيئا مجهولا ، لا نثق فى إمكانية التصدى له ، ولا حتى فى احتمال قدرتى على عبورة ، وليس هناك أدنى داع ، للمخاطرة بنصف الفريق ، ونحن نجهل النتائج تماما .

وصمت لحظة ، واجه فيها الجميع بنظرة حازمة ، قبل أن يستطرد :

- ثم إن تلك المركبة الطائرة ذات محرّك ضعيف ، نسبيًا ، ولقد رأيتم كيف أنها لم تنجح فى التحليق عاليا ، وعلى متنها أربعة أفراد ، وهذا يعنى أن فرصة فرد واحد فى بلوغ الفجوة ، تفوق حتما فرصة فردين .

ران الصمت لحظات أخرى ، قبل أن يغمغم (أكرم) :

- أنت على حق .

اعتدل (نور) فى وقفة حاسمة ، وهو يقول :

- أستودعكم الله يا رفاق .. سأذهب خلف (نشوى) .

هتفت (سلوى) فى لوعة :

- (نور) .. احترس يا (نور) .

منحها ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

ـ اطمئنى يا عزيزتى .. سأبذل قصارى جهدى لاستعادة ابنتنا ، والعودة بها على قيد الحياة .

رافقه الجميع إلى خارج المقرّ السرى ، حيث استقرّت المركبة الطائرة ، على وسادة من الهواء ، ترفعها نصف المتر تقريبًا عن الأرض ، وقالت (سلوى) مرة أخرى ، ودموعها تبلّل وجنتيها :

ـ عد يا (نور) .. قاتِل لتعود مع ابنتنا ؟

ابتسم قائلًا :

ـ أعدك أن أحاول ..

وفجأة هوى شعاع من الليزر ، على بعد متر واحد منهم ، وتفجّر فوق الأرض الرملية ، فهتف (أكرم) :

ـ احترسوا .

تراجع الجميع فى حركة حادة ، وصاح الدكتور (حجازى) ، وهو يشير إلى السماء :

ـ إنها مركبة طائرة أخرى .

صاح (أكرم) ، وهو يدفعه داخل المقر السرى :

ـ ومدفع ليزرى .

تفجرت حزمة أخرى من الأشعة ، بالقرب من مدخل المقر السرى ، مع انقضاضة من مركبة (رالف) ، وهتف (نور) فى وجه (سلوى) و (محمود) و (مشيرة) :

ـ أسرعوا .. اسرعوا إلى الداخل .

وصاح (رمزى) :

ـ إنه ذلك الوغد (رالف) .. لقد تبعنا إلى هنا .

سقطت حزمة أخرى من الأشعة ، تفجّرت لها بعض الصخور ، وتطايرت شظاياها فى عنف ، فصاح (نور) :

ـ إلى الداخل .

انطلق الجميع يعدون إلى الداخل ، فى حين هتف (أكرم) :

ـ المركبة يا (نور) .. المركبة الطائرة .

هتف به (نور) :

ـ حاول أن تشغل ذلك الوغد عنى ، حتى أبلغ المركبة الطائرة .. لابد من حمايتها .

أخرج (أكرم) مسدسه الليزرى ، وهو يقول فى حزم :

ـ أسرع أنت إليها .

كانت مركبة (رالف) تتخذ دورة ثانية فى الهواء ، ثم تنقضّ على (أكرم) و (رمزى) و (نور) ، فصاح (أكرم) ، وهو يرفع مسدسه فى مواجهتها :

ـ أسرع أيها الرائد .

اندفع (نور) نحو المركبة ، فى حين تصدّى (أكرم) لمركبة (رالف) فى بسالة مذهلة ، وأطلق أشعة مسدسه الليزرى نحوها فى إسراف ، وهتف (رمزى) :

- ماذا تفعل أيها المجنون ؟.. إنه سيسحقك سحقا بمدفعه الليزرى .

ولكن (أكرم) واصل إطلاق أشعة مسدسه على المركبة ، وكأنه لا يبالى بمصيره ، إلا أن (رالف) انحرف بمركبته فجأة ، وانقض على المركبة الأخرى ، قبل أن يبلغها (نور) ، و ...

وهوت أشعة مدفعه الليزرى على المركبة الثانية ..

ودوى الانفجار ..

انفجار أطاح بالمركبة الثانية ، وألقى (نور) على بعد ثلاثة أمتار منها ، وحطم معها الأمل فى إنقاذ (نشوى) ..

الأمل الأخير ..

★ ★ ★



٣ ـ الخـدعة ..

شعر (نور) بمرارة لا حصر لها ، وهو يراقب مركبة (رالف) على شاشة الراصد ، وهى تحوم حول المقر السرى ، كطائر شيطانى هائل ، يحاصر عشا من أعشاش الطيور الصغيرة ، وقال :

- إنه يحاصرنا تماما .. ونحن لا نملك أسلحة كافية للتصدى له .

قالت (سلوى) فى هلع :

- ولكن لا بد لنا من الخروج يا (نور) .. الوقت يمضى فى سرعة ، فلقد أشرقت الشمس ، والفجوة الخضراء تزداد انكماشا ، مع مرور الساعات .

بدا التوتر على وجه (نور) ، والدكتور (حجازى) يقول فى أسف :

- وفيم يفيدنا الخروج من هنا ، قبل مرور الوقت .. لقد خسرنا المركبة الطائرة .

اعتدل (أكرم) ، وهو يقول فى حزم :

- مازالت هناك مركبة أخرى .

سألته (سلوى) فى لهفة :

- أين ؟

أشار إلى مركبة (رالف) ، التى تبدو على الشاشة ، وأجاب :

- ها هى ذى .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

- وكيف تتصوّر حصولنا عليها ؟

أجابه فى حزم :

- باستخدام أساليبك أيها الطبيب النفسى .

بدت العيون نظرة تساؤل ، فتابع :

- هذا الوغد مصاب بعقدة العظمة .. أليس كذلك ؟

أجابه (رمزى) :

- بلى .. هذا واضح تمامًا .

أمسك (أكرم) مسدسه ، وقال :

- سنستغل عقدته هذه .. ألديكم استعدادًا لهذا ؟

أجاب (رمزى) فى سرعة :

- أنا مستعد لأى شىء ، من أجل (نشوى) .

غصّ حلق (مشيرة) بمرارة شديدة ، مع عبارته ، فأشاحت بوجهها فى صمت ، لتخفى ذلك الحزن الذى ارتسم على وجهها ، فى حين قال الدكتور (حجازى) فى حزم :

- كلنا على أتمّ الاستعداد لهذا .

التفت (أكرم) إلى (نور) ، وقال :

- وماذا عنك ؟

أجابه (نور) :

- إنها ابنتى .

سأله (أكرم) :

- وهلْ تثق فى قدرتى على حماية الآخرين هنا ؟

أجابه (نور) فى حسم :

- تمام الثقة .

أومأ (أكرم) برأسه ، ثم اعتدل قائلًا :

- اسمعوا إذن خطتى .

وشرح لهم ما لديه ..

* * *

حام (رالف) بمركبته حول المقرّ السرى فى زهو ، وأطلق واحدة من ضحكاته الشيطانية ، وهو يقول لنفسه :

- هاأنذا أضعكم فى موضعكم الطبيعى يا أبطال الأرض .. مجرّد جرذان تختفى داخل جحورها .. ويل لمن يجرؤ على الخروج منكم .. سأسحقه سحقًا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انزاح مدخل المقرّ السرى فى هدوء ، وخرج منه (أكرم) ، الذى وقف معتدل القامة فى اعتداد ، ولوّح بمسدسه الليزرى فى قوة ، وهو يهتف :

- هيّا أيها الوغد (رالف) .. اهبط لو أنك تمتلك الشجاعة الكافية .. إننى أتحداك .



وخرج منه (أكرم) ، الذى وقف معتدل القامة فى اعتداد ، ولوح بمسدسه الليزرى فى قوة ..

ابتسم (رالف) فى سخرية ، وقال :

ـ لن تخدعنى بأسلوبك هذا أيها الغبى .. أعلم أنها محاولة لإيقاعى فى فخ ، ولكننى سأفسد لعبتكم كلها .

استدار بمركبته فى براعة ، ثم انقضّ على (أكرم) ، الذى أطلق حزمتين من الأشعة نحو المركبة ، ثم انطلق يعدو مبتعدًا ، فى نفس اللحظة التى هوت فيها أشعة مركبة (رالف) على مقربة من المقر السرى ..

ومال (رالف) بمركبته مرة أخرى ، واندفع خلف (أكرم) ، الذى راح يعدو بين الأطلال ، وينحرف من نقطة إلى أخرى ، و (رالف) يهتف :

ـ لن تفلت منى أبدا أيها الجرذ البشرى .. سأقتنصك كأحقر حيوان على وجه الأرض ، مهما حاولت الفرار .

أطلق حزمة أخرى من الأشعة ، تفجّرت خلف (أكرم) بمتر واحد ، فدفعته موجة التضاغط الناشئة إلى الأمام ، وألقته أرضًا ، ولكنه اعتدل واقفًا على قدميه فى سرعة ، وعاود الجرى وسط الأنقاض ، وهو يقول لنفسه :

ـ هيا يا (أكرم) .. مائة متر أخرى ، وتضع ذلك الوغد حيث تريد .

انطلق بأقصى سرعته ، نحو نقطة انتخبها مسبقًا ، ومركبة (رالف) تطارده بين الأطلال ، ثم قفز داخل منطقة مزدحمة من الأنقاض ، واختفى بينها فى سرعة ومهارة ، اكتسبهما من طول

تعامله مع جحافل الهمج ، وهو يطلق ضحكة ساخرة عالية ، هاتفًا :

ـ هزمتك أيها الوغد .

شعر (رالف) بغضب شديد ، عندما اختفى (أكرم) ، وهتف :

ـ لن تفلت أيها الحقير .

أطلق أشعة مدفعه مرة ، وثانية وثالثة ، وفجّر جدارًا ، ونسف آخر ، وأسقط بقايا منزل متهدّم ، ولكنه لم يعثر على (أكرم) ..

وفى حنق ساخط ، دار (رالف) بمركبته حول المكان عدة مرات ، قبل أن يقول فى حدة :

ـ لن تفلت بهذا أيضًا .

ضغط زر الطيران الآلى فى مركبته ، ثم أخرج من حقيبة ضخمة إلى جواره ، زيًا خاصًا ، قال وهو يرتديه فى حزم :

ـ سأعلمك أن جعبة (رالف هينريش) لا تنضب أبدًا .

ارتدى ذلك الزى الفضى اللامع ، ذا الخوذة الشفافة ، وحمل على ظهره حقيبة كبيرة ، ثم أمسك مدفعًا ليزريًا ، وألغى عمل الطيّار الآلى ، ثم دار حول المنطقة دورة أخرى ، قبل أن ينتخب مساحة خالية منها ، ويتجه للهبوط فوقها ، قائلا فى صرامة :

ـ ستدفع الثمن أيها الحقير .. ستدفع ثمن تحديك لإمبراطور الأرض المقبل .

هبط بالمركبة فى المكان المنتخب ، وغادرها مرتديا ذلك الزى العجيب ، الذى جعله أشبه بمخلوق من مخلوقات الفضاء ، واتجه بمدفعه الليزرى نحو تلك الأطلال الكثيفة ، التى اختفى داخلها (أكرم) ، وصاح فى صرامة :

ـ لن تفلت هذه المرة أيها المتحذلق .

جاوبته ضحكة ساخرة عالية ، أتت من مصدر مجهول ، وترددت وسط الأطلال طويلا ، فصاح والغضب يتقافز من كل خلية من خلاياه :

ـ لن تفلت أبدا .

ثم اندفع نحو الأطلال فى ثورة ، وهو يُطلق مدفعه الليزرى حوله فى غضب ، دون أن يتوقف تردد تلك الضحكة الساخرة ، ثم لم يلبث (أكرم) أن هتف فجأة ، من مكان ما :

ـ لقد وقعت أيها العبقرى .. وقعت مثل أى نمر ساذج ..

تسمّر (رالف) فى مكانه ، عند هذه النقطة ، واندفع عقله يسأل عما تعنيه هذه العبارة ، ثم لم يلبث الجواب أن قفز إلى ذهنه بغتة ، فهتف :

ـ المركبة ؟!

التفت فى حركة حادة إلى حيث ترك مركبته الطائرة ، وتفجّر

بركان من الغضب والسخط فى أعماقه ، عندما رأى (نور) يندفع نحوها ، ويقفز داخلها ، فصرخ كالمجنون :

ـ لا .. أترك المركبة .. اترك مركبتى .

انطلق يعدو عائدا إلى المركبة ، وهو يطلق أشعة مدفعه نحوها فى غضب ، و (أكرم) يهتف :

ـ أسرع يا (نور) .. انطلق يا رجل .

ضغط (نور) أزرار القيادة ، ثم جذب العصا المصنوعة من (التيتانيوم) ، فارتفعت المركبة ، وانطلقت مبتعدة ، و (رالف) يُطلق نحوها أشعة مدفعه الليزرى ، هاتفًا :

ـ عد .. عد أيها الحقير .

مرقت حزم الأشعة حول المركبة ، و (نور) ينطلق بها مبتعدًا ، حتى شعر بحزمة منها ترتطم ببطن المركبة ، التى ارتجّت فى قوة ، وانبعث منها خيط من الدخان الداكن ، شاهدته (سلوى) على شاشة الراصد ، فأطلقت صرخة ذعر ، وهى تهتف :

ـ (نور) .. لقد أصاب (نور) .

وهتف الدكتور (حجازى) :

ـ رباه !!.. هل سنفقد آخر أمل لإنقاذ (نشوى) ؟

ولكن (نور) واصل انطلاقه بالمركبة ، نحو الدائرة الخضراء اللامعة ..

كان يعلم أن مركبته قد أصيبت ، وأنها ستقطع بالكاد تلك الرحلة الأخيرة ، نحو الثقب الأخضر ..

ويعلم أنها ـ لو نجحت فى عبوره ـ فإنها لن تعود منه أبدا ..

ولكنه لم يبال ..

كانت لديه وسيلة لعبور الفجوة ..

الطريق الوحيد إلى ابنته ..

ولن يتنازل عن هذه الوسيلة ..

أو يتراجع عن الهدف ..

إنه سيعبر الفجوة ، إلى حيث ابنته ، حتى ولو لم تكن هناك وسيلة للعودة ، أو للخلاص منها ..

وعلى شاشة الراصد ، رأى الجميع ما يفعله (نور) ..

وأدركوا ما ينتويه ..

وفى ذهول ، رددت (مشيرة) :

ـ إنه سيعبر الفجوة .

هتف (رمزى) :

ـ هذا انتحار .

وغمغم الدكتور (حجازى) :

ـ لن يتراجع (نور) أبدا .. إنها طبيعته .

وتمتمت (سلوى) :

ـ وابنته .

تعلقت عيون الجميع بالمركبة ، التى تنطلق بكل ما تبقى من قوتها وسرعتها نحو الفجوة الخضراء ، فى كبد السماء ..

حتى (رالف) ، تطلع إلى ما يفعله (نور) فى دهشة ، وهو يغمغم :

ـ ماذا يفعل هذا المجنون ؟.. وما هذه الفجوة العجيبة ؟

أما (نور) نفسه ، فقد توقف عقله عن التفكير فى أى شىء ، باستثناء ضرورة عبور هذه الفجوة ، وبلوغ موضع ابنته ، مهما كان الثمن ..

واقتربت الفجوة الخضراء اللامعة ..

اقتربت أكثر وأكثر ..

وبدت أكثر تألقا ولمعانا ..

ثم بلغها (نور) ، ومركبته تلفظ أنفاسها الأخيرة ..

وعبرها ..

ولم يكن العبور أمرًا هينًا أو بسيطا ..

لقد شعر كما لو أن مركبته قد ارتطمت بجدار إسفنجى ضخم ، هبط بسرعتها بغتة إلى ما يقرب من الصفر ، قبل أن ترتج فى عنف ، ثم يتوقف محركها بغتة ، و ...

وتهوى ..

حتى لفظ (تهوى) هذا ، كان من العسير قوله ، فلم تكن هناك نقاط محدودة ، لتحديد الاتجاهات ..

لم يكن هناك فوق ، أو تحت ..

أو يمين ، أو يسار ..

هناك فقط فراغ هائل رهيب ، يمتد إلى ما لا نهاية ..

أو هو العدم ..

نعم .. كان أفضل ما يوصف به هذا المكان ، هو العدم ..

أرض العدم ..

وفجأة ارتج جسد (نور) فى عنف ، وتناهى إلى مسامعه صوت ارتطام شديد ، ثم تحول ذلك العدم حوله إلى ظلام دامس ..

ثم إلى ليل ..

ليل بلا حدود ..

* * *



٤ ـ فى قلب العدم ..

مضت لحظات ، بعد اختفاء (نور) ومركبته ، داخل الفجوة الخضراء اللامعة ، و(رالف) يحدّق فى السماء فى ذهول ، وعقليته العلمية تبحث عن تفسير منطقى لهذه الظاهرة الخارقة ، ثم لم يلبث أن انتفض فى عنف ، والتفت إلى الأطلال فى شراسة ، قائلا :

ـ لا بأس أيها الحقير .. لقد نجحت فى لعبتك ، وخسرت أنا مركبتى الطائرة ، ولكنك ستخسر حياتك بالمقابل .

عاد إلى الأطلال حاملا مدفعه الليزرى ، وتلفّت حوله ، قبل أن يلجها فى حذر ، وضغط زرًا فى حزامه ، فارتسمت أمامه شاشة حمراء باهتة ، بدا فى طرفها الأيمن ظل داكن ، يتحرّك فى بطء ، فالتفت إليه (رالف) ، وقال فى شماتة :

ـ لقد كشف جهاز الفحص الحرارى مخبأك أيها الحقير .

اتجه إلى حيث الظلّ الحرارى فى حزم ، ولكنه فوجئ بالظل يختفى فجأة ، وسط سحابة حمراء داكنة ، فهتف فى دهشة :

ـ ما هذا ؟

ترددت ضحكة (أكرم) الساخرة فى المكان ، وهو يقول :

ـ أعلم أنك تستخدم جهاز فحص حرارى أيها الوغد .. لقد سمعتك تهمس بهذا ، ووجدت الحل أبسط مما تتصوّر .. لقد

اشعلت بعض الأغصان الجافة بأشعة مسدسى الليزرى ، وستفسد حرارة النيران عمل جهازك .

شعر (رالف) بالغيظ ، ولكنه ضغط زرًا آخر فى حزامه ، فاختفت الشاشة الحمراء من أمامه ، وارتفع هوائى صغير من الخوذة الشفافة ، وهو يهتف فى حدة :

ـ لا بأس أيها الحقير .. سأحاربك بسلاح آخر .. حاول ألا تلتقط أنفاسك الآن ، وألا تخطو خطوة واحدة ، فباستخدام لاقطات الصوت الفائقة الدقة والحساسية ، فى خوذتى ، سألتقط أدنى صوت يصدر منك ، و ...

بتر عبارته بغتة ، عندما أطلق (أكرم) صيحة هائلة ، تردد صداها ، فى المكان فى قوة ، وضاعفت لاقطات الصوت من شدتها ، فبدت أشبه بانفجار قنبلة فى أذنى (رالف) ، الذى صرخ ، وهو يلغى عمل لواقط الصوت الفائقة الحساسية :

ـ اللعنة !

انطلقت ضحكة (أكرم) الساخرة فى المكان ، ممتزجة بوقع أقدامه ، وهو يعدو بين الحصا والحجارة ، قبل أن يرتفع صوته من خلف (رالف) ، وهو يقول فى سخرية :

ـ خسرت اللعبة يا رجل .

التفت (رالف) فى سرعة إلى مصدر الصوت ، وارتفع مدفعه الليزرى فى وجه (أكرم) ، الذى هتف :

- أنت أردت هذا أيها الوغد .

تألق المكان بأشعة الليزر ، و (أكرم) يطلق مسدسه نحو (رالف) مرة .. ومرة .. ومرة ..

ثم تجمدت سبابته على زناد مسدسه الليزرى ..

لقد أصابت الأشعة صدر (رالف) فى المرات الثلاث .. ولكنها لم تحركه قيد أنملة ..

لقد ارتطمت كلها بصدره ، ثم انحرفت وتلاشت ، وتشتتت فى الهواء ، دون أن تخترق حلته الفضية اللامعة ..

وأطلق (رالف) ضحكة ساخرة ، شامتة ، قبل أن يقول :

- من الواضح أنك تجهل طبيعة هذا الزى الذى أرتديه .. إنه زى فضائى خاص يا عزيزى .. كانوا يحتفظون به فى سجن القمر ، ليستخدمه الحراس فى مطاردة أى مجرم ، ينجح فى الفرار ، من قبة السجن إلى سطحه الخارجى ، وهو مصنوع من مادة خاصة ، تم اختراعها فى أواخر القرن العشرين ، ويمكنها مقاومة طلقات الرصاص ، وأشعة الليزر ، والأشعة الارتجاجية ، وعشرات الوسائل الأخرى .. لقد خسرت اللعبة يا رجل .. خسرتها بحق .

ثم صوب مدفعه إلى صدر (أكرم) ، مستطردًا :

- وستدفع ثمن الخسارة .

وانطلقت صرخة قوية ، داخل المكان ..

* * *

ظلت (سلوى) تحدق فى شاشة الراصد لحظات ، بعد اختفاء (نور) داخل الفجوة الخضراء اللامعة ، ثم قالت بصوت مرتجف :

- هل .. هل نجح ؟

أجابها الدكتور (حجازى) :

- لقد نجح فى عبور الفجوة على الأقل .

سألته (مشيرة) :

- وماذا عن العودة ؟

لم يجب الدكتور (حجازى) ، وإنما اكتفى بالتطلع إليها فى صمت ، فى حين أجابها (رمزى) :

- هذا الأمر فى علم الله (سبحانه وتعالى) وحده .

اعتدل الدكتور (رشاد) ، قائلًا فى حزم :

- فلنترك الأمر له (سبحانه) إذن ، ولنقم نحن بعملنا .

رددت (مشيرة) فى تساؤل :

- عملنا .

أشار الدكتور (رشاد) إلى (محمود) ، وقال :

- أقصد عملنا أنا و (محمود) ، فلقد أجريت بعض الاختبارات مع (رالف) ، فى تلك القلعة فى الإسكندرية .. صحيح أنه كان وحشى النزعة ، ولكن اختباراته منحتنى قدرًا كبيرًا من المعلومات ، الخاصة بوسائل إعادة العقول والحضارة

الى البشر ، ومن الضرورى أن أتعاون مع (محمود) و (سلوى) ، لبرمجة ما لدى من معلومات ، وإضافة ما لديكم إليها ، ثم البحث عن الوسيلة المنشودة ، وعن كيفية تحقيقها .

التفتت إليه (سلوى) ، قائلة :

ـ أتظننى أستطيع العمل ، وأنا أفكر فى زوجى وابنتى ، ومصيرهما ؟

أجابها فى حزم :

ـ نعم .. أظنك تستطيعين هذا ، لو وضعت فى رأسك أن مصير ابنتك وزوجك يتعلق أيضا بمصير الأرض وشعبها ، فحتى لو نجحا فى العودة من ذلك البُعد الآخر ، لن يسعدهما أن يعيشا فى عالم همجى كهذا ، ولا أمل لهما فى حياة كريمة ، وعيش متحضر ، إلا لو استعادت الأرض حضارتها واستعاد البشر عقولهم ، ونحن لا ندرى ما ينتظرنا فى الخارج ، ولا كم نملك من الوقت ، لتحويل أفكارنا هذه إلى حقائق ، لذا فمن المحتم أن نبدأ عملنا على الفور ، دون أن نضيع لحظة واحدة .

تطلعت إلى الشاشة لحظات فى لوعة ، فأضاف الدكتور (حجازى) :

ـ أظنه على حق يا (سلوى) .

أومأت برأسها إيجابا ، وهى تقول :

ـ نعم .. إنه على حق .

وتنهدت فى عمق ، ثم التفتت إلى الدكتور (رشاد) ، قائلة :

ـ هيا يا سيدى .. أنا رهن إشارتك .. من أجل الأرض .

سألت (مشيرة) فجأة :

ـ وماذا عن (أكرم) ؟.. إنه فى الخارج ، مع ذلك المجرم (رالف) .

ربت (رمزى) على كتفها ، وقال :

ـ لا تخشى شيئا على (أكرم) .. إنه يعرف كيف يرعى نفسه .

قالها بلسانه ، وإن شعر قلبه بالعكس تماما ، فقد كان يدرك جيدا قوة (رالف) وإمكانياته الفائقة المتطورة ، التى أحضرها معه من سجن القمر ، وكان فى الواقع يشعر نحو (أكرم) بالخوف ..

الخوف الشديد ..

وكان يتمنى ، كما لم يتمن من قبل ، أن يعود (س ـ ١٨) كما كان فى السابق ..

ولكن أين هو (س ـ ١٨) الآن ؟

أين ؟..

* * *

أخيرا بلغ (س ـ ١٨) هدفه ..

الشمس ..

منذ ذلك الاضطراب ، الذى أصاب آلاته ، وتفكيره الإليكترونى ، وقدرته على تمييز الأصدقاء والأعداء ، وهو يدرس موقفه ..

ولقد توصّل إلى مصدر الخلل فى أعماقه .

إنه ذلك القرص الشيطانى ، الذى يحتفظ به (نور) داخله(*) ..

القرص الذى يحوى داخله كل طاقة الشر ، التى يتميّز بها (ابن الشيطان) ، ذلك العدو نصف البشرى ، ونصف الشيطانى ، الذى قاتله الفريق أكثر من مرة ، قتالاً رهيبًا ، يشيب لهوله الولدان(**) ..

ولم يكد (س - ١٨) يتوصّل إلى هذه الحقيقة ، حتى راح يسترجع كل المعلومات ، المختزنة فى ذاكرته الإليكترونية ، حول ذلك القرص ، ووسائل القضاء عليه ..

إنها النار ..

النار وحدها تلتهم طاقة الشر داخل ذلك القرص ، وتوقف مفعولها ..

وهكذا اختار (س - ١٨) هدفه ..

الشمس ..

أضخم كتلة من النيران ، على مقربة من الأرض ..

(*) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٨٠) .

(**) راجع قصة (ابن الشيطان) .. المغامرة رقم (٧٢) .

وعندما اقترب (س - ١٨) من الشمس ، ورصدت أجهزته الدقيقة داخلها حرارتها الرهيبة ، انطلق من حوله غلاف واق قوى ، وانخفضت درجة حرارة جسمه الخارجية إلى ألف درجة تحت الصفر ، على نحو تعجز عنه أية علوم ، باستثناء علوم تلك الحضارة ، التى صنعته ..

وبسرعته التى تكاد تقترب من سرعة الضوء ، غاص (س - ١٨) فى قلب الهدف ..

فى قلب الشمس ..

والحرارة من حوله ترتفع ..

وترتفع .. وترتفع ..

ثم بدأت الحرارة تنخفض ، وهو يقترب من قلب الشمس ، و ...

وفجأة تضاعفت تلك الطاقة السلبية الشريرة فى أعماقه ..

تضاعفت على نحو رهيب ، وكأنما ألهبت النيران المحيطة به خوفها ..

وفجأة أيضًا راحت حرارة الجسد الخارجى لـ(س - ١٨) ترتفع ..

وبسرعة ..

وأدركت أجهزة (س - ١٨) ما يحدث ..

وأدركت نتائجه على الفور ..

عندما ترتفع درجة حرارة الجسد الخارجى ، حتى تبلغ مائتى



وبسرعته التى تكاد تقترب من سرعة الضوء ، غاص (س ـ ١٨) فى قلب الهدف ..

درجة تحت الصفر فحسب ، لن يحتمل الغلاف الواقى هذه الحرارة المرتفعة ، وسينهار ، و ...

ويذوب جسد (س ـ ١٨) ..

يذوب فى قلب الشمس ..

* * *

لم تستغرق غيبوبة (نور) أكثر من دقائق معدودة ، استعاد عقله بعدها وعيه ، وفتح عينيه فى بطء ، ليحدّق فيما حوله فى دهشة بالغة ..

كان جسده يسبح فى فراغ هائل ..

فراغ لا نهائى ..

ولأوّل مرة فى حياته ، أدرك ما تعنيه كلمة فراغ ..

إنها شىء بلا شىء ..

لا أجسام ، أو حدود ، أو أبعاد ..

لا مقاييس ، أو اتجاهات ، أو حتى مجال للرؤية ..

إنها العدم ..

شىء لا يمكن وصفه ، أو حتى تخيّله ..

وعلى مقربة من (نور) ، رأى مركبة (رالف) محطمة ، كما لو كانت قد ارتطمت بشىء مادى ملموس ، على الرغم من أنه لا يشعر بهذا الشىء أو يراه ..

وحاول (نور) أن يقف ..

لم يكد يحاول ، حتى وجد نفسه يقف معتدلا ..

أو هكذا شعر ..

كان يقف فوق شىء ما ، لا يراه ، ولكنه يجعله يشعر بالاعتدال ، ويمنحه القدرة على السير ، حول المركبة المحطمة ..

وفى أعلى ، كانت الدائرة الخضراء اللامعة تتألق وسط الفراغ ..

ومنها تبدو سماء زرقاء ..

إنها سماء الأرض ..

سماء العالم الذى ينتمى إليه ..

وفى حذر ، سار (نور) نحو مركبة (رالف) المحطمة ، وراح يفحصها فى اهتمام ..

لم تكن قد فقدت تماما قدرتها على التحليق والانطلاق ، ولكن محركها أصيب بشىء من التلف ، ويحتاج إلى قطعة غيار أو قطعتين ، لن يمكنه الحصول عليهما ، فى هذا العدم ..

وهذا يعنى أن رحلة العودة لم تعد ممكنة ..

فى الوقت الحالى على الأقل ..

ولكنه لن يقلق نفسه بأمر رحلة العودة ، قبل أن يحقق الهدف ، الذى أتى من أجله ..

وفى قلق ، راح يتلفت حوله ، بحثا عن ابنته ..

ولم يكن هناك أدنى أثر لـ(نشوى) ..

أو لأى شىء آخر ..

وبدأ (نور) يشعر بالتوتر ..

أين يمكنه أن يبحث عن ابنته ؟ ..

بل أين يمكن أن يتجه ؟..

كل شىء يبدو له متساويا ، متشابها ..

فراغ فى فراغ ..

ولكن ابنته كانت هنا ، فقد أخبرت رفاقه أنها ترى الفجوة اللامعة فوق رأسها ، وها هو ذا يراها فوق رأسه ..

أين ذهبت إذن ؟..

تضاعف قلقه وتوتره ، وهو يشعر بالحيرة والضياع ، وسط ذلك الفراغ اللانهائى ، الذى لا يقود إلى أى شىء محدود ..

وكعادته ، كلما واجهه أمر غامض ، جلس (نور) يفكر ، ويسترجع كل ما لديه ، بحثا عن حل لمأزقه ..

وكان فى هذا يتشابه كثيرا مع (س ـ ١٨) ، مع فارق جوهرى ..

إنه بشرى ..

وفى عمق ، راح يسترجع ويدرس ويفكر ..

لقد قضت ابنته فترة طويلة ، فى هذا الفراغ ، ثم بدأت اتصالاتها مع أمها ، ومع باقى أفراد الفريق ، وبدأت تلك

الاتصالات تتطور ، حتى بلغت حدًا قويًا ، مع حدوث تلك الفجوة اللامعة ..

وهنا ظهرت تلك المخلوقات الشبيهة بالبشر ، واختطفت (نشوى) ..

فلماذا ظهرت فى هذا الوقت بالذات ؟ ..

ما الذى دفعها إلى الظهور ؟..

كان عليه أن يفكر فى عمق ، فى هذه النقطة بالذات ..

وأن يتوصل إلى الحل ..

قبل مغيب شمس الأرض ..

فإما أن ينجح ، ويجد الوسيلة لبلوغ موضع ابنته ، واستعادتها ..

أو يفشل ..

ويخسر ..

يخسر ابنته ..

ابنته الوحيدة ..

* * *

٥ - الواجب ..

ارتجت الأطلال بتلك الصرخة الرهيبة ، التى انطلقت من خلف (رالف) ، الذى ارتجف جسده فى قوة ، ثم التفت يواجه ثلاثة من الهمج ، انقضوا عليه فى وحشية ، وقد جذبتهم حلته الفضية اللامعة ، وخوذته الشفافة ..

ولأول مرة فى حياته ، يشعر (أكرم) بالسعادة ، لرؤية هؤلاء الهمج ، فلولا ظهورهم المفاجئ هذا ، لكانت حزم الأشعة ، المنطلقة من مدفع (رالف) ، قد حولته إلى مصفاة ، فى أقل من نصف الدقيقة ..

وفى وحشية مماثلة ، راح (رالف) يطلق أشعة مدفعه على الهمج ، صارخًا :

- ابتعدوا أيها الجرذان الآدمية .. ابتعدوا .

نسفت أشعته رأس همجى ، واخترقت صدر ثان ، فى حين هوى الثالث على الخوذة الشفافة بهراوته ، بأقصى ما يملك من قوة ..

ثم أطلق صرخة ألم هائلة ..

لقد ارتطمت هراوته بالخوذة فى عنف ، ثم ارتدت فى شدة ، وضربت رأسه هو ، فى حين تراجع (رالف) هاتفًا فى سخط :

ـ أيها الحيوان ..

ثم أطلق حزمتين من الأشعة على جسد الهمجى ، اخترقتا صدره ورأسه فى عنف ، ومزقتاه إربًا ..

والتفت (رالف) يواجه (أكرم) مرة ثانية ..

ولكن (أكرم) لم يكن هناك ..

لقد اختفى تمامًا ..

وبكل السخط فى أعماقه ، صاح (رالف) :

ـ اللعنة .

واندفع يغادر الأطلال فى غضب ، ثم ضغط زر تشغيل جهاز الفحص الحرارى مرة أخرى ، ورأى ظل (أكرم) الداكن ، وهو يعدو مبتعدًا ، عائدًا إلى المقر السرى ، فقال فى مقت :

ـ لن تفلت .. لن يفلت أحد منكم .

اتجه فى صرامة إلى المقر السرى ، ورأى على شاشته (أكرم) يعبر مدخل الممر ، ثم يغلقه خلفه ، فردد فى كراهية هائلة :

ـ لن يفلت أحدكم قط .

وواصل تقدمه نحو المقر السرى ، وقد اتخذ قراره بسحق الجميع ..

وبلا رأفة ..

* * *

، أخيرًا أمكننا تحديد كم الطاقة اللازمة .. ،

نطقها (محمود) فى شىء من الارتياح ، وهو يقرأ الأرقام التى دوّنتها شاشة الكمبيوتر ، ثم استطرد فى حزم :

ـ أرأيت كيف تطوّرت الأمور كثيرًا ، مع تعاوننا يا سيّدى .. لقد قضيت ثلاثة شهور أدرس هذه الأمور ، دون أن أتوصّل إلى نتيجة مرضية ، ثم وصلت أنت ، وأعطيتنى بعض النتائج ، فتوصّلت فى نصف الساعة فقط إلى المعادلات المطلوبة .

أومأ الدكتور (رشاد) برأسه موافقًا ، وقال :

ـ من سخرية القدر أن الجزء الأكبر من الفضل ، يعود إلى (رالف هيتريش) ، الذى درس تأثير الأشعة على المخ البشرى .

غمغمت (سلوى) فى شرود :

ـ لست أظنه يسعد بسماع هذا .

ثم التفتت إلى (أكرم) ، مستطردة :

ـ أليس كذلك ؟

كان يجلس أمام شاشات الرصد ، يراقب ما يفعله (رالف) خارج المقرّ السرى فى قلق ، فأجابها :

ـ بلى .. هذا الرجل شيطان حقيقى ، وذلك الزى الذى يرتديه ، يجعله أشبه بـ (سوبرمان) ، بالنسبة إلينا ، وهو يفعل شيئًا ما ، حول المقر السرى ، ولست فى حاجة إلى الكثير من الذكاء ، لأدرك أن هذا الذى يفعله ، يستهدف تحطيمنا حتمًا .

سأله الدكتور (حجازى) فى قلق :

- وماذا يمكننا أن نفعل إزاء هذا ؟

قال (رمزى) فى حزم :

- نقاوم .

قالت (مشيرة) فى صوت مرتجف :

- نقاوم من ؟.. هذا الـ(سوبرمان) ؟

أجابها فى حزم :

- هذا أفضل من البقاء هنا ، وانتظار مصيرنا فى استسلام .

نهض (أكرم) ، قائلًا :

- إننى أميل إلى هذا الرأى .

وحمل مسدسه ، مستطردًا :

- وأفضل الموت وأنا أقاتل .

استوقفه الدكتور (حجازى) ، قائلًا :

- مهلًا ياولدى .. ليس من الشجاعة أن تلقى نفسك أمام شخص كهذا ، دون أن تملك الوسائل اللازمة للتصدى له .. هذا أشبه بالانتحار .

قال (أكرم) فى عصبية :

- وماذا عن الجلوس هنا ، فى انتظار الموت ؟

أجابه الدكتور (حجازى) :

- لست أقصد هذا أو ذاك ، وإنما قصدت أنه من الضرورى أن نواجهه بخطة مدروسة ، وليس بقتال عشوائى .

قال (رمزى) :

- أنت على حق فى هذا .. ولكن المهم هو أن نضع الخطة ، ونشرع فى تنفيذها بسرعة ، قبل ..

قاطعه صوت (سلوى) ، وهى تقول بصوت مرتجف :

- قبل مغيب الشمس .

وكانت تتطلع إلى شاشة واحدة من شاشات الرصد ..

الشاشة التى تنقل صورة الفجوة ..

الفجوة الخضراء اللامعة ..

* * *

تطلع (نور) إلى ساعته الذرية ، وتزايد شعوره بالقلق والتوتر ..

إنه يجلس هنا ، وسط العدم ، منذ ساعة كاملة ، عاجزًا عن التوصل إلى وسيلة مناسبة ، للعثور على ابنته ..

وفى مرارة ، غمغم :

- رباه !! .. هل خاطرت وغامرت بحياتى ، حتى أقف هذا الموقف العاجز اليائس ؟!.. هل فعلت كل ما فعلت ، لأصل فقط إلى أرض العدم هذه ؟.. لا .. لو تكرر الموقف نفسه ألف مرة ، وعلمت فى كل مرة أن رحلتى إلى هنا ستنتهى بمصرعى ، وبضياعى مع ابنتى فى أرض العدم ، لما ترددت لحظة واحدة

فى عبور الفجوة إلى هنا .. إنه واجبى .. واجبى نحو ابنتى ، ونحو ..

بتر عبارته فجأة ، وتألقت عيناه بذلك البريق الأخاذ ، الذى يشف عن توصّله إلى سر الغموض المحيط به ، وهتف فى حماس :

ـ الواجب .. نعم .. إنه الواجب .

وهبّ واقفًا فى حماس ، واندفع نحو مركبة (رالف) ، ثم ضغط زر إطلاق مدفعها الليزرى ، وهو يقول :

ـ الواجب هو الذى أتى بهم إلى هنا .

راح يُطلق أشعة مدفع الليزر عدة مرات متتالية ، وهو يهتف :

ـ ها هى ذى منطقة العدم تتعرّض للخطر .. هيا .. اظهروا .

لاح له جزء من العدم ، وهو يتحوّل إلى لون داكن ، فتضاعف حماسه ، وواصل إطلاق مدفع الليزر ، صائحًا :

ـ هيا .. اظهروا هنا .. هيا ..

انفتحت أمامه فجوة أخرى ، فى ذلك الفراغ اللانهائى ، ورأى شخصين يعبرانها إلى العدم ..

شخصين لهما هيئة البشر ..

ولكنهما ليسا من البشر ..

أو أنهما بشريان ، يرتديان زيًا معدنيًا عجيبًا ، يخفى كل جزء من جسديهما ..

واعتدل (نور) ، وهو يتطلّع إليهما فى انفعال ، وقد توقف عن إطلاق مدفع الليزر ..

وفى حزم ، اتجه إليه الشخصان ، ورفع أحدهما كرة معدنية فى وجهه ، وهو يقول :

ـ أنت تفسد منطقة الصفر .. إننا نلقى القبض عليك .

فهم (نور) كل كلمة نطق بها ذلك الشخص ، على الرغم من أنه لم ينطقها بالعربية ..

حتمًا لم يفعل ..

ولكن (نور) فهم كل حرف ..

لم يدر كيف حدث هذا ، فقال فى دهشة :

ـ بأية لغة تتحدث ؟

لم يجب الشخص سؤاله ، وهو يقول :

ـ إننا نلقى القبض عليك .

أدرك (نور) أنه ما من فائدة ، من الحديث مع هذا الشخص ..

أو هذا الشىء ..

وفى هدوء ، سار (نور) أمام الشخص المعدنى ، نحو الفجوة الجديدة ، فى حين صوّب الشخص الآخر سلاحًا عجيبًا



وفى هدوء ، سار (نور) أمام الشخص المعدنى ، نحو الفجوة الجديدة ،
فى حين صوَّب الشخص الآخر سلاحًا عجيبًا ..

نحو مركبة (رالف) ، فارتفعت وسط الفراغ ، وتبعتهم نحو الفجوة ..

وعندما عبر (نور) الفجوة ، وجد نفسه فجأة فى قاعة واسعة فسيحة ، تحتشد بعدد كبير من الآليات الشبيهة بآليات الأرض ..

شاشات كمبيوتر ..

لوحات أزرار ..

أجهزة حديثة ..

أما تلك الفجوة التى عبرها إلى القاعة ، فقد بدت له من داخلها أشبه بشاشة ضخمة ، من شاشات العرض السينمائى القديمة ، لا تحوى أية صور أو رسوم ..

مجرّد شاشة بيضاء ضخمة ، تطلّع إليها (نور) فى حيرة ، وإلى لوحة الأزرار الملحقة بها ..

لم تكن اللوحة تحمل أرقامًا أو حروفًا عربية ، بل مجرّد رموز ورسوم ، تبدو أشبه بحروف اللغة الصينية ، وإن اختلفت عنها بعض الشىء ..

وفى اهتمام بالغ ، راقب (نور) ذلك الشخص المعدنى ، وهو يضغط بعض الأزرار ، فى تتابع مدروس ، ورأى الشخص الآخر يحمل المركبة إلى منتصف القاعة ، ثم يضعها فى رفق ، قبل أن يتجه إليها عدد آخر من الأشخاص المعدنيين ، فيبدءون فى فحصها وإصلاحها فى سرعة ودقة ، جعلا (نور) يقول :

- آه .. إنهم أشخاص آليون .

أتاه صوت من فتحة جانبية ، يقول :

- هذا صحيح .

التفت (نور) إلى مصدر الصوت ، ثم تراجع فى حركة حادة ..

كان هناك شخص يخرج من باب جانبى ، ويتجه إليه ..

شخص يشبه البشر تماما ، بكل تكوينه وملامحه ، فيما عدا لون بشرته البرتقالى الداكن ، الذى يشبه لون قشرة برتقالة طازجة ..

وفى هدوء ابتسم ذلك الشخص ، وقال :

- لقد أدهشك لون بشرتنا .. أليس كذلك ؟

اعتدل (نور) ، وهو يقول :

- الواقع أننى رأيت الكثير من العجائب ، حتى لم يعد من السهل أن يثير شىء ما دهشتى بالفعل ، ولكنها المفاجأة .

ابتسم الرجل أكثر ، وقال :

- هذا صحيح .. نحن أيضا أدهشتنا ألوان بشرات سكان الأبعاد الأخرى فى البداية ، ثم اعتدنا هذا .

قال (نور) فى دهشة :

- سكان الأبعاد الأخرى ؟!

ثم لم يلبث أن انتبه إلى أن الرجل لا يتحدث العربية ، وعلى

الرغم من هذا فهو يفهم كل حرف من حروف كلماته ، فتابع بدهشة أكثر :

- أخبرنى .. بأية لغة تتحدث ؟

هزّ الرجل كتفيه ، وقال :

- إنها ليست لغة معروفة لك بالتأكيد ، ولكنك ستفهمها حتمًا .. كل سكان الأبعاد ، الذين نتصل بهم يمكنهم فهمها .

سأله (نور) فى حيرة :

- ماذا تعنى بأننى لا أعرف لغتك ، ولكننى أفهمها ؟

عاد الرجل يبتسم ، قائلًا :

- هنا تكمن المشكلة ، فالأمر يحتاج إلى شرح علمى شديد التعقيد ، لست أدرى ما إذا كانت عقليتك ستستوعبه أم لا .

شعر (نور) بشىء من المهانة فى العبارة ، فقال فى صرامة :

- يمكنك أن تحاول معى .

تطلّع إليه الرجل لحظة فى صمت ، وقال :

- تعرّفك الأشخاص الآليين يشير إلى تمتعك بذكاء فطرى ، وبمعرفة علمية لا بأس بها ، ولكن ..

بتر عبارته فجأة ، ثم سأل (نور) :

- قل لى أوّلا : لماذا أطلقت مدفع الليزر بهذه الغزارة ، فى منطقة الصفر ؟

أجابه (نور) :

- حتى يحضر رجالك لالتقاطى .
رفع الرجل حاجبيه فى دهشة ، وقال :
- هكذا ؟!
أكمل (نور) :
- لقد سألت نفسى : لماذا اختطفتم ابنتى ، عندما تم الاتصال بينها وبين رفاقى ، على الرغم من أنكم تركتموها طويلًا قبل هذا ؟.. وانتبهت إلى أن الاتصال نفسه ، قد يكون الدافع إلى هذا ، فعندما وصفت ابنتى (نشوى) ما حدث ، كان وصفها يوحى بأن مختطفيها يمكنهم الدخول والخروج من تلك المنطقة ، التى تطلقون عليها اسم منطقة الصفر ، بكامل إرادتهم ، وبأسلوب علمى خاص ، مما يوحى بأن المنطقة تحت سيطرتهم ، على نحو أو آخر .. وفى كل النظم المعروفة فى العالم ، فى عالمى ، والعوالم الأخرى التى زرتها ، لابد لمن يسيطر على منطقة ما أن يضع فيها نظامًا للحراسة ، أو شرطة منطقة ، وواجب هذه الشرطة أو الحراسة ، هو حماية المنطقة ورعايتها ، فاستنتجت أن مختطفى ابنتى هم حرّاس المنطقة ، وأن إطلاقى مدفع الليزر على هذا النحو ، سيعنى تعرّض المنطقة للخطر ، وسيدفعهم لتأدية واجبهم ، وإلقاء القبض علىّ .. وكان استنتاجى سليمًا .
هتف الرجل :
- بل عبقريًا .. عبقريًا وعلميًا تمامًا .

ثم هزّ رأسه فى إعجاب ، قبل أن يضيف :
- ستفهم إذن لغتنا .. ستفهم أسلوبها حتمًا .
تراجع خطوة واحدة ، وعقد كفيه خلف ظهره ، واتجه نحو إحدى شاشات الكمبيوتر ، فألقى نظرة سريعة على الرموز المرتسمة على شاشته ، ثم التفت إلى (نور) ، متابعًا :
- منذ زمن طويل ، وبعد أن توصّل علماؤنا إلى منطقة الصفر ، التى يمكنها أن تحملنا إلى الأبعاد السبعة للكون ، كان من الضرورى أن نجد لغة أخرى للتخاطب ، تساعد على حدوث الاتصال الفكرى والثقافى ، بين الأبعاد بعضها ببعض ، ومع الدراسات المكثفة ، التى جرت فى هذا المجال ، توصّل أحد العلماء إلى أن حروف لغات الكون كلها ، ذات دلالات خاصة ، فلو نطقت كلمة (حب) مثلًا ، ستجد أن الانطباع الذى تعطيه الكلمة ، فى آذان الجميع واحد ، مهما اختلفت لغتها .. وبمعنى أدق ، وجدنا أن للحروف دلالاتها ، ومعناها الذى تتركه فى العقول والآذان ، وهنا استنبطنا لغة جديدة ، لحروفها رنين خاص ، يفهم كل شخص بلغته ، مهما اختلفت اللغات والألسن .
غمغم (نور) :
- لا يمكنى استيعاب هذا .
تنهّد الرجل ، وقال :
- ألم أقل لك ؟
ثم تابع فى هدوء :

ـ فلتكتف إذن بأن حروف لغتنا مدروسة بدقة ، وعلى نحو تعجز عقولكم عن استيعابه ، ولكنها تترك فى الآذان انطباعا خاصًا ، يجعل كل شخص يفهمها فى يسر وسهولة ، حتى ولو لم يكن قد سمعها من قبل أبدًا .

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :

ـ وقد لا يمكننى استيعاب القاعدة العلمية أو اللغوية ، التى تتحدث عنها ، ولكن من المؤكد أنها سليمة ، ما دمت أفهم حديثك ، ولكن كيف تفهم أنت حديثى ؟

أجاب الرجل :

ـ إننى أستوعبه بالوسيلة نفسها .

لوّح (نور) بكفه ، قائلًا :

ـ فليكن .. لن يمكننى استيعاب الأمر فى بساطة ، ولا وقت لدى فى الواقع لهذا ، فقد أتيت لاستعادة ابنتى فحسب ، و ...

قاطعه الرجل :

ـ لن يكون ذلك سهلًا .

توقّف (نور) ، وهو يرمقه بنظرة متوترة ، قائلًا :

ـ ماذا تعنى بأن ذلك لن يكون سهلًا ؟

مطّ الرجل شفتيه ، وقال :

ـ أتعشم أن تكون بالذكاء الكافى لاستيعاب هذا أيضًا ، ولكننا لا نستطيع إعادة ابنتك إليك ، إلا بعد ثلاثة أيام على الأقل .

قال (نور) فى صرامة :

ـ هذا مستحيل ، فمن المحتم أن أعود بابنتى قبل مغيب شمسنا ، وإلا فقدنا وسيلة الاتصال بين عالمينا .

سأله الرجل فى اهتمام بالغ .

ـ وهل توجد وسيلة اتصال بين عالمينا ؟

قال (نور) فى حدة .

ـ كيف تظننى وصلت إلى هنا إذن ؟

سأله فى اهتمام أكثر :

ـ هذا ما أردت سؤالك عنه .

قال (نور) فى عصبية :

ـ لقد جئت عبر تلك الدائرة الخضراء اللامعة ، التى تنكمش فى سرعة ، والتى ستتلاشى تمامًا ، مع مغيب الشمس .

ردّد الرجل فى لهجة تشف عن اهتمامه الشديد بالأمر :

ـ الدائرة الخضراء اللامعة ؟!.. عظيم .. لقد وفرت علينا سنوات من البحث والدراسة .. الآن فقط يمكننا بلوغ بعدكم ، وإخضاعه لسيطرتنا .

هتف (نور) فى دهشة واستنكار :

ـ إخضاعه .

اعتدل الرجل فى حزم ، وهو يقول :

ـ نعم .. إخضاعه لبعدنا ، الذى يتزعم الآن الأبعاد الستة الأخرى ، والذى يبحث منذ زمن عن مفتاح بلوغ بعدكم .

صاح (نور) فى غضب :

ـ غزو آخر .. لا يا رجل .. لن أسمح لكم بغزو عالمى مرة أخرى .

ابتسم الرجل البرتقالى البشرة ، على نحو أشبه بالسخرية ، وهو يقول :

ـ تسمح لنا ؟!.. يبدو أنك لا تدرك حقيقة موقفك هنا .

قال (نور) فى صرامة :

ـ أعلم جيدًا أنكم تحتفظون بابنتى ، ولكنك لا تفهم حقيقة الأمر أيها البرتقالى .. قد أخاطر بحياتى من أجل ابنتى ، ولكننى مستعد فى الوقت نفسه ، للتضحية بابنتى نفسها ، فى سبيل عالمى .

تألقت عينا الرجل ، وهو يقول :

ـ عظيم .. أنت عينة تصلح للاختبار أيضًا .

ثم أشار إلى الآليين ، هاتفًا فى لهجة آمرة :

ـ خذوه إلى حجرة الفحص .

فوجئ (نور) بالآليين الخمسة يحيطون به ، وأحدهم يصوّب إليه تلك الكرة اللامعة ، وهو يقول بصوته المعدنى :

ـ إننا نلقى القبض عليك .

وتوتر الموقف أكثر ..

★ ★ ★

٦ ـ فى سبيل الحرية ..

انهمك (رالف) فى غرس قنبلته الإليكترونية السادسة ، فى المكان الذى حدده لها تمامًا ، وابتسم لنفسه فى زهو ، وهو يقول :

ـ سأنسفهم نسفًا تمع قنابل إليكترونية موزعة بمنتهى الدقة ، حول المقر السرى لهؤلاء الأبطال الزائفين ، تكفى لإحالة المكان كله إلى غبار ، فى غمضة عين .

أتاه صوت من خلفه يقول فى برود :

ـ هذا لو وجدت الوقت الكافى ، لغرس القنابل الثلاث الباقية .

التفت (رالف) فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ورفع فوهة مدفعة الليزرى فى وجه (رمزى) فى شراسة ، ولكن (رمزى) رفع يده أمامه ، قائلًا فى سرعة :

ـ مهلًا يا رجل .. أنا هنا لمعاونتك .. إننى أعزل من السلاح كما ترى .

قال (رالف) فى خشونة :

ـ معاونتى ؟!.. إنك واحد منهم .. لقد التقينا فى القلعة .

أجابه (رمزى) ، وهو يشير إلى المقر السرى :

- بالطبع .. إننى واحد منهم ، ولكننى أعلم أنك الأقوى ، ولقد اخترت الانضمام إليك .

قال (رالف) فى سخرية غليظة :

- أتظنك قادرًا على خداعى ، بهذا الأسلوب الساذج ؟

هزّ (رمزى) كتفيه ، وقال :

- إننى لن أقاتلك على الأقل بدون سلاح .

ثم استطرد بلهجة تشف عن الاهتمام :

- بل يمكننى أن أقاتل إلى جوارك .

قال (رالف) فى خشونة :

- وما الذى يجعلنى أحتاج إليك ؟.. إننى أستطيع نسف المكان كله وحدى .

مطّ (رمزى) شفتيه ، وقال :

- هذا ما خشيته .

صاح (رالف) :

- أرأيت ؟.. إنك تنتمى إليهم .

قال (رمزى) فى سرعة :

- بل أخشى أن تخسر كل ما لديهم ، بنسفك المكان .

سأله (رالف) فى حذر :

- وماذا لديهم ؟

لوّح (رمزى) بكفه ، قائلاً :

- الكثير .

ثم اعتدل ، مستطردًا ، فى لهجة تستهدف إسالة لعاب (رالف) :

- تكفى شاشات الرصد ، وخرائط المدن القديمة ، وأجهزة الكمبيوتر ، والجرّاح الآلى ، وغيرها ، وغيرها ..

كانت الصفقة مغرية لـ(رالف) بالفعل ، فانخفضت فوهة مدفعه قليلاً ، وهو يقول :

- أنت على حق .. لا ينبغى تحطيم هذه الأشياء الجميلة ، فهى آخر الأجهزة الحديثة ، على سطح الأرض .

ابتسم (رمزى) ، قائلاً :

- هذا صحيح .

انخفض سلاح (رالف) أكثر ، وأكثر ، وهو يقول فى جشع :

- ولكن كيف يمكن الحصول على هذه الأشياء ، دون قتل الجميع ؟

همس له (رمزى) :

- هناك مدخل آخر للمقر السرى ، لا يعلم بوجوده سواى ، وسوى (نور) ، الذى اختفى كما رأيت ، ويمكننا التسلل عبره ، ومفاجأة الجميع ، و ...

قاطعه (رالف) فى لهفة :

- وأين هذا المدخل الآخر ؟

أشار (رمزى) إشارة مبهمة خلف ظهره ، قائلاً :

- هنا .
ثم استدار مستطردًا :
- اتبعنى .
تبعه (رالف) كالمسحور ، وقد أسالت الفكرة لعابه بالفعل ، وراح يحلم بالحصول على كل هذه الأجهزة ، التى تعيد إليه حلمه بالسيطرة على الأرض ، وإقامة إمبراطوريته ، و ...
وفجأة استيقظت عقليته العلمية ، وتغلّبت على شهوته وأطماعه ، فتوقّف فى مكانه ، وعاد يصوّب فوهة مدفعه إلى ظهر (رمزى) ، قائلًا فى حدة :
- مهلًا يا رجل .. كيف أثق فى أنك لا تقودنى إلى فخ جديد .
التفت إليه (رمزى) ، يسأله :
- ما الضمان الذى تريده ؟
كان (رمزى) يتوقّع أن يطلب (رالف) أية ضمانات ، وقد بنى خطته على هذا الاحتمال ، وعلى وسيلة الإيقاع بالألمانى ، استنادًا إلى هذا ، ولكنه فوجئ بـ (رالف) يخرج من حزامه قرصًا صغيرًا ، وهو يقول :
- ابلع هذا .
تطلّع (رمزى) إلى القرص ، وهو يقول فى دهشة :
- أبلعه ؟!
أجابه (رالف) فى غلظة :

- نعم .. ابلعه .. هذا هو الضمان الوحيد ، الذى يجعلنى أشعر بالثقة .
سأله (رمزى) فى قلق :
- وما هذا القرص بالضبط ؟
أجابه (رالف) فى خشونة :
- قنبلة .
تراجع (رمزى) ، هاتفًا فى دهشة :
- قنبلة ؟!.. أى قول هذا يا رجل ؟
أجاب (رالف) فى حدة :
- نعم .. إنه قنبلة .. قنبلة إليكترونية صغيرة ، يمكننى تفجيرها بالضغط على هذا الزر الصغير فى حزامى ، فلو حاولت خداعى ، أو أوقعت بى فى فخ ما ، سيكفى أن أضغط هذا الزر ، فتنفجر القنبلة فى أحشائك ، وتقضى عليك فى الحال .
قال (رمزى) فى توتر :
- أية فكرة حمقاء هذه ؟
وضع (رالف) القرص فى يد (رمزى) ، وهو يقول :
- حمقاء أو غير حمقاء .. إنها ضمانى الوحيد .
ثم صوّب مدفعه إلى (رمزى) ، مستطردًا بلهجة صارمة آمرة .
- هيا .. ابلع القرص ، أو أنسف رأسك بحزمة أشعة واحدة .
وكان يعنى ما يقول ..

* * *

شعرت أجهزة (س ـــ ١٨) بـذلك الارتفـاع التدريجـى السريع ، فى درجة حرارة جسمه الخارجى ، وأدركت أن الغلاف الواقى لن يلبث أن ينهار فى سرعة ..

وكان عليها أن تجد حلًا ومخرجًا ..

ولم تستغرق تلك الأجهزة أكثر من ثانية واحدة ، لتجد الحل ..

وعلى الفور استدار (س ـــ ١٨) ، وانطلـق بسرعتـه القصوى فى الاتجاه العكسى ، ليغادر قلب الشمس ..

وارتفعت درجة حرارة الجسم الخارجى أكثر وأكثر ..

ولكن (س ـ ١٨) كان قد غادر الشمس ، وواصل انطلاقه بسرعته القصوى ، للابتعاد عنها بقدر الإمكان ..

وعادت درجات الحرارة تنخفض ..

ولكن ذلك النشاط الشيطانى فى أعماقه لم يتوقف ..

وبدأت آلات (س ـ ١٨) ترتبك ..

ذلك الشىء الشيطانى داخله ، كان يحاول دفعه إلى العودة للأرض ، دون أن يتخلص من القرص الشرير ..

ولكن (س ـ ١٨) لم ينفذ أمر القوة الشريرة هذه المرة ..

لقد أزال غلافه الواقى لحظة ، فتح خلالها تلك الفجوة فى صدره ، وانتزع منها القرص الشيطانى ، ثم أعاد الغلاف حوله ، والتفت إلى الشمس ، وألقى القرص بكل قواه ..

ألقاه فى قلب الشمس ..

وغاص قرص الشر فى قلب اللهب ..

وانطلقت فى أعماق الجحيم صرخة هائلة ، حملت آلام وعذاب أجيال كاملة ..

صرخة شيطان نصف بشرى ..

شيطان يحتضر ..

وهنا .. هنا فقط تحرّرت أجهزة (س ـ ١٨) ، واستعادت سيطرتها على برامجها الموضوعة منذ عشرات القرون ..

هنا فقط شعر (س ـ ١٨) أن مهمته قد انتهت ، فاستدار عائدًا إلى حيث واجبه ..

إلى الأرض ..

* * *

التفّ الآليون الخمسة حول (نور) ، وصوّب إليه أحدهم كرة لامعة ، كانت ولا شك سلاحًا من أسلحة ذلك البعد ، وابتسم الرجل البرتقالى البشرة ، وهو يقول فى هدوء مظفر واثق :

ـ لا فائدة يا صديقى .. لا تحاول المقاومة .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ قد لا تكون هناك فائدة بالفعل .

ثم قفزت قدمه فجأة تركل الكرة المعدنية اللامعة ، من يد الآلى ، مستطردًا :

ـ ولكن لا بد من المحاولة .

أصابت ركلته الكرة مباشرة ، فطارت من يد الآلى ، الذى قال بلهجته المعدنية ، الخالية من أية انفعالات :

- هناك مقاومة .

ولكن (نور) قفز يلتقط تلك الكرة في الهواء ، ثم هبط بها على قدميه ، وهو يصوبها إلى الآلي ، وإن لم يدر كيف يدفعها للعمل ، في حين هتف الرجل :

- أوقفوه .. لا تسمحوا له بالفرار .

رأى (نور) الآلي يلتقط كرة لامعة أخرى من خلف ظهره ، وهو يردد :

- لا نسمح له بالفرار .

وشعر (نور) بضرورة التصرف في سرعة ، فأدار الكرة في يده ، وضغطها ، و ...

وانطلق شعاع أحمر حار من الكرة بغتة ، إثر ضغطة (نور) ، ليرتطم بالآلي في عنف ، ويحطم صدره في قوة ..

وسقط الآلي أرضًا ، ورأسه يردد :

- غير مسموح بالفرار .. غير مسموح بالفرار ..

وهنا تراجع (نور) في حركة حادة ، وانقض على الرجل ، ولوى ذراعه خلف ظهره في قوة ، ثم أحاط عنقه بذراعه الأخرى ، هاتفًا :

- مر هؤلاء الآليين بإيقاف القتال ، والعودة إلى إصلاح المركبة .

لم يحاول الرجل أن يقاوم ، وإنما هتف على الفور :

- أوقفوا القتال ، وعودوا إلى إصلاح المركبة .

أطاعه الآليون بلا تردد ، وعادوا ينهمكون في إصلاح مركبة (رالف) ، في حين قال الرجل لـ(نور) في توسل :

- اتركني .. أرجوك .. إنك ستتسبب في مصرعي ، بأسلوبك هذا .

قال (نور) في صرامة :

- اطمئن .. لن أقتلك ، لو أخبرتني أين أجد ابنتي .

أجابه وهو يختنق بضغط الذراع :

- ابنتك في الحجرة المجاورة ، ولكن زعيمنا لا يحتمل الفشل ، وسيقتلني لو لم ألق القبض عليك ، وأكشف سر الفجوة ، التي تقود إلى عالمك .

قال (نور) في حدة :

- لن أسمح بكشف هذا أبدًا .

ودفع الرجل نحو باب الحجرة المجاورة ، والرجل يقول في صعوبة :

- أنت لا تفهم الأمر جيدًا .. إننا الأقوى بين كل الأبعاد السبعة ، ومن الطبيعي أن نسيطر عليها .. إننا جميعًا نحتل المساحة نفسها ، ولكن بذبذبات مختلفة ، و ...

قاطعه (نور) :

- اصمت ، وقدني إلى ابنتي .

دفع الرجل الباب الجانبي ، ودلف مع (نور) إلى قاعة أخرى ، جلست (نشوى) على مقعد في منتصفها ، وأحاط بها



لم يحاول الرجل أن يقاوم، وإنما هتف على الفور :
ـــ أوقفوا القتال، وعودوا إلى إصلاح المركبة ـــ

ثلاثة من الرجال ، لهم بشرة برتقالية أيضا ، وإن اختلفت درجات لون بعضهم عن بعض ، وتراجع الرجال الثلاثة فى دهشة ، مع رؤية (نور) ، فى حين هتفت (نشوى) فى سعادة جمة ، كغريق عثر فجأة على طوق النجاة :

ـ أبى ؟!.. يا إلهى !.. أبى .

قفزت من مقعدها ، واندفعت نحوه ، وكادت تتعلق بعنقه ، من فرط سعادتها لرؤيته ، لولا ذلك الذى يحول بينها وبينه ، وتمنى (نور) أكثر منها ، لو يضمها إلى صدره ، وهو يقول فى انفعال :

ـ (نشوى) .. إذن فأنت على قيد الحياة بحق يا بنيتى .. أنت على قيد الحياة .

هتفت :

ـ نعم يا أبى .. مازلت على قيد الحياة .. وكنت أعلم أنك ستأتى لإنقاذى .. لم أكن أدرى كيف ، ولكننى كنت واثقة من أنك لن تتركنى هنا أبدا .

صاح الرجل ، الذى يمسك به (نور) ، بصوت متحشرج مختنق :

ـ لن يمكنكما الخروج من هنا أبدا .. لقد انتهى أمركما .. انتهى إلى الأبد .

شدد (نور) من ضغط ذراعه على عنق الرجل ، وهو يقول :

ـ لا تحاول دفع اليأس إلى قلوبنا يا رجل .. إننا سنغادر هذا البعد اللعين ، على الرغم من الجميع ، فمازال أمامنا وقت كاف ، قبل غروب الشمس .

هتف الرجل :

ـ هذا ما أعنيه .. إنكما ستفقدان الغروب حتما .

قال (نور) فى صرامة :

ـ ومن منحك هذه الثقة العمياء ؟

أجابه الرجل ، وهو يلهث ألما :

ـ العلم .. العلم منحنى هذه الثقة ، فصحيح أن علماءنا لم ينجحوا بعد ، فى بلوغ بُعدكم ، ولكنهم يعلمون عنه الكثير رياضيًا ، فالنظريات تقول أنه من المحتم أن يحدث توازن بين الأبعاد السبعة ، وإلا فنت كلها دفعة واحدة ، وطبقًا لهذه النظرية ، يكون هناك اختلاف كبير فى الزمن ، بين بُعدنا وبُعدكم ، فالساعة الواحدة هنا ، تساوى أربع ساعات فى بُعدكم ، وأنت هنا منذ ساعتين تقريبا ، وهذا يعنى ثمان ساعات من زمن البُعد ، الذى تنتمى إليه .. أتعلم ما يعنيه هذا ؟

اتسعت عينا (نشوى) فى رعب ..

وانعقد حاجبا (نور) فى توتر ..

لقد فهم الإثنان ما يعنيه هذا ..

إنه يعنى أن الشمس قد غربت تقريبًا ، فى بُعدهما ، وعند مقرهما السرى ..

ويعنى أنهما قد فقدا الأمل فى العودة إلى عالمهما ..

فقدا الأمل الأخير ..

وإلى الأبد ..

٧ ـ الصـــراع ..

فركت (سلوى) كفيها فى عصبية ، وهى تتطلع إلى شاشة الراصد ، وقالت فى توتر كامل :

ـ الشمس توشك على المغيب ، والفجوة انكمشت إلى حد كبير .

ربت الدكتور (حجازى) على كتفها ، وهو يقول محاولًا بث بعض الاطمئنان فى نفسها :

ـ لم ينته الأمر بعد .

قالت (مشيرة) فى خفوت :

ـ ولكنه يكاد .

ثم ألقت نظرة على شاشة راصد آخر ، مستطردة فى قلق واضح :

ـ ولست أدرى ماذا سيفعل (رمزى) ، مع ذلك الألمانى .

اعتدل الدكتور (رشاد) ، وتوقف عن كتابة معادلاته ، وهو يقول :

ـ لو كان لدينا أمل ، فى أن نعيد إلى الأرض حضارتها ، وإلى البشر عقولهم ، فهذا الأمل لن يتحول أبدًا إلى حقيقة ، إلا بعد هزيمة (رالف) ، والقضاء على شروره .

قال (محمود) فى مرارة :

- ولكن كيف ؟.. أنت ترى كيف أنه يفوقنا قوة بكثير ، وها هو ذا يضع (رمزى) فى موقف شديد الحرج والخطورة ، ولست أدرى كيف يمكننا حتى إنقاذه ؟!

أطلق الدكتور (حجازى) زفرة حارة ، من أعمق أعماق صدره ، وقال :

- الواقع يا رفاق أننا فى أسوإ موقف عرفناه ، منذ انتهى الغزو ، ولا أحد سوى الله (سبحانه وتعالى) ، يمكنه أن يدرك كيف سينتهى الأمر .. كيف ؟..

* * *

أمسك (رمزى) القنبلة الإليكترونية الدقيقة فى توتر شديد ، وهو يبحث عن مخرج من هذا المأزق ..

كان المفروض أن يخدع (رالف) ، وأن يدفعه إلى الوقوع فى فخ خاص ، صنعه (نور) للإيقاع بالمتسللين ، ولكن ابتلاع هذا القرص المتفجر سيوقعه هو تحت رحمة (رالف) ..

و(رالف) هذا بلا رحمة ..

أما لو رفض ابتلاع القرص ، فسيطلق (رالف) أشعته عليه بلا تردد ..

فأين المخرج ؟..

لم يطل به التفكير فى الأمر ، فقد برز (أكرم) فجأة من بين الأطلال ، وانقض على (رالف) من الخلف ، هاتفًا :

- لا عليك يا رجل .. سنجرى تعديلًا للخطة .

وأحاط ذراعى (رالف) بساعديه من الخلف ، مستطردًا فى سخرية :

- أظن زيك العظيم هذا لا يمنع تطويقك .. أليس كذلك ؟

قاومه (رالف) فى شدة ،، وهو يصرخ :

- أيها الحقير .. أيها القذر ..

ألقى (رمزى) القرص من يده ، واندفع نحو (رالف) ، محاولًا انتزاع مدفعه الليزرى ، ولكن (رالف) رفع قدميه ، ودفعهما فى صدر (رمزى) ، هاتفًا :

- لن تفلح .

كانت الضربة قوية ، حتى أنها ألقت (رمزى) بعيدًا ، فى حين جاهد (رالف) ، ليضغط بسبابته زرًا آخر فى حزامه ، صائحًا :

- من قال أن هذا الزى لا يمنع تطويقى ؟

لم يكد يضغط الزر ، حتى أحاط به غلاف من القوى الكهرومغناطيسية ، دفع ذراعى (أكرم) فى عنف ، وألقاه أرضًا . فالتفت إليه (رالف) ، وصوب مدفعه إلى رأسه ، صائحًا فى شماتة غاضبة :

- الآن ستدفع ثمن غرورك .

ولكن (رمزى) اندفع نحو (رالف) ، صائحًا :

- ومن سيسمح لك ؟

استدار اليه (رالف) فى سرعة ، وأطلق أشعة مدفعه نحوه ، صائحا :

- يسمح ؟!

حاول (رمزى) أن يتفادى حزمة الأشعة ، ولكنه شعر بآلام رهيبة فى ذراعه ، وانتزعته طلقة الأشعة من مكانه ، لتلقى به مترين على الأقل إلى الخلف ، و (رالف) يطلق ضحكته الشيطانية ، هاتفا :

- أرأيت ؟.. إنكم أضعف من أن تتصدوا لـ(رالف) .

هب (أكرم) واقفا ، وقفز يدفع (رالف) بقدمه فى ظهره ، صائحا :

- يمكننا أن نبعده على الأقل .

كانت الركلة من القوة ، بحيث أسقطت (رالف) على وجهه أرضا ، فتجاوزه (أكرم) بقفزة واحدة ، واندفع نحو (رمزى) ، وعاونه على النهوض فى سرعة ، هاتفا :

- أسرع .. سنعود إلى قواعدنا .

انطلقا يعدوان مبتعدين ، فى حين نهض (رالف) ، وراح يطلق أشعته خلفهما ، وهو يصرخ فى ثورة جنونية :

- لا أحد يهزم (رالف) .. لا أحد يهزمه .

تفجرت حزم الأشعة حولهما ، وهما يعدوان نحو المدخل

الرئيسى للمقرى السرى ، وانفتح أمامهما المدخل ، وسمح لهما بعبوره ، قبل أن يعود بالانغلاق ، و (رالف) يندفع نحوه صارخا :

- لن يفلت أحدكم منى .. لن تفلتوا منى أبدا .

انهالت أشعته الليزرية على المدخل فى ثورة ، واحتملها الباب القوى لفترة ، قبل أن يتوقف (رالف) عن إطلاقها ، ويلهث من فرط الانفعال ، قائلا :

- إنها مسألة وقت .. .. مسألة وقت فحسب .

ولو أنه رفع عينيه إلى السماء ، وشاهد الفجوة الخضراء ، التى انكمشت فى شدة ، حتى أصبحت تكفى بالكاد لمرور مركبته الطائرة ، التى سرقها (نور) ، لأدرك أنه على حق تماما .. إنها مسألة وقت ..

* * *

اتسعت عينا (نشوى) فى رعب ، عندما سمعت حديث الرجل ، ذو البشرة البرتقالية ، وأدركت ما يعنيه ، ولم يحتمل عقلها فكرة البقاء فى هذا البعد إلى الأبد ، فهتفت بـ(نور) :

- أبى .. هل تعلم ما يعنيه هذا ؟

أجابها (نور) فى حزم :

- نعم يا (نشوى) .. إنه يعنى ضرورة خروجنا من هنا ، بأقصى سرعة ممكنة .

هتف الرجل :

- لن يمكنكما هذا أبدا .. قدومكما إلى هنا - فى حد ذاته - يعد أشبه بالمعجزة ، فقد أمكنكما الوصول إلى منطقة الصفر ، وهى ذلك البرزخ بين الأبعاد السبعة ، الذى تتعادل فيه ذبذبة كل الأبعاد ، بحيث يمكن عبره أن تنتقل مخلوقات أى بُعد ، إلى البعد الآخر ، ولسنا ندرى بعد كيف نجحتم فى بلوغ هذه المنطقة ، التى يحتاج بلوغها إلى طاقة هائلة ، ليس من السهل على أية حضارة توليدها .

قال (نور) فى صرامة :

- دع مشكلة الخروج لنا .

قال أحد الرجال الثلاثة ، الذين كانوا يستجوبون (نشوى) :

- لن يكون هناك وقت لهذا ، فهذه الحجرة تخضع لمراقبة شديدة ، من سلطات الأمن ، ولقد رأى المسئولون كل ما حدث ، وسمعوا كل حرف تبادلناه هنا ، ولن تمض ثوان ، حتى يقتحم الحراس الآليون المكان ، ويلقون القبض عليك ، وعلى ابنتك .

لم يكد يتم عبارته ، حتى تناهى إلى مسامع (نور) وقع أقدام عشرات الآليين ، وهم يتقدمون نحو الحجرة ، من الجانب الآخر ، فدفع الرجل الذى يمسك به بعيدا ، وجذب إليه ابنته ، هاتفا :

- هيا .. سنحاول استغلال ما تبقى من الوقت .

اندفع معها عبر الباب الجانبى ، إلى القاعة الأولى ، وصاح بالآليين ، الذين انتهوا تقريبا من إصلاح المركبة :

- ابتعدوا .

ومن العجيب أنهم أطاعوه فى هدوء ، فابتعدوا عن المركبة ، وتركوه يندفع إليها ، ثم يحمل ابنته ، ويضعها داخلها ، هاتفا :

- أشعلى المحرك ، وانتظرى عودتى .

صاحت مذعورة :

- أين ستذهب ؟

أسرع إلى لوحة الأزرار ، المتصلة بالشاشة البيضاء الضخمة ، واعتصر ذاكرته فى قوة ، وهو يضغط الأزرار بنفس السرعة والتتابع ، اللذين ضغطها بهما الآلى ، عندما جاء به إلى هنا ..

ولكن الشاشة بقيت كما هى ..

لوحة بيضاء ضخمة صامتة ..

واندفع الرجل البرتقالى إلى الحجرة ، فى هذه اللحظة ، هاتفا :

- لن أسمح لك .

انقض على (نور) فى عنف ، واشتبك معه فى قتال يدوى ، مستطردا :

- لن ترحلا من هنا أبدا .

ولكن (نور) كال له لكمة كالقنبلة فى معدته ، وهو يهتف :

ـ ابتعد يا رجل .

وأعقبها بأخرى فى فكه ، مستطردًا :

ـ كل ما نريد هو حريتنا ..

وثالثة فى أنفه ، صائحًا :

ـ حريتنا فحسب .

سقط الرجل فى قوة ، فى حين بدأ الآليون يتحركون فى توتر ، وصاحت (نشوى) فى هلع :

ـ هل سنبقى يا أبى ؟

لم يجب (نور) ابنته ، وهو يستدير مرة أخرى إلى لوحة الأزرار ..

هل سيبقى معها ؟..

هل سينتهى بهما الأمر فى بعد آخر ؟..

فى زمن آخر ..

هل سيترك الأرض تواجه مصيرًا مظلمًا جديدًا ؟..

إنه يجهل هذه الرموز ..

ويجهل كيفية إشعال الجهاز ..

كل ما يعرفه هو تتابع ضغط الأزرار ، الذى قام به الآلى ..

وفجأة انقضّ عليه البرتقالى من الخلف ، صائحًا :

ـ قلت لك لن تخرج .

ولكن (نور) دفع مرفقه فى معدة الرجل من الخلف ، هاتفًا :

ـ سأحاول .

سقط الرجل أرضًا مرة أخرى ، وهو يُمسك معدته فى ألم هذه المرة ، فى حين بدا الحراس الآليون ، وهم يعبرون القاعة الأخرى ، إلى الباب الجانبى ، وصاحت (نشوى) :

ـ لقد وصلوا .

قفز (نور) نحو الباب الجانبى ، وأوصده فى قوة ، ثم عاد يقف أمام الشاشة فى حيرة ، والبرتقالى يكرّر فى ألم :

ـ لن تفلح .. لن تفلح أبدًا .

وارتفعت طرقات رهيبة على الباب ، وبدا من الواضح أنه لن يصمد أبدًا أمام ضربات الآليين ، وهتف (نور) :

ـ هناك حل .. هناك حل حتمًا .. لقد وصلنا إلى هنا عبر الفجوة ، وهناك بالتأكيد وسيلة عكسية ، أو ..

بتر عبارته بغتة ، وتألقت عيناه فى شدة ، وهو يهتف :

ـ نعم .. وسيلة عكسية .

عاد يضغط أزرار اللوحة ، ولكن بترتيب معكوس ، لذلك الذى استخدمه الآلى ، وتراجع فى سرعة ، وخفق قلبة فى ارتياح ، عندما رأى جزءًا من الشاشة البيضاء ، وهو يتلوّن بلون داكن ، وأسعدته رنة المرارة فى صوت الرجل البرتقالى ، وهو يقول فى حنق :

ـ اللعنة !

واندفع (نور) مرة أخرى إلى المركبة ، وقفز داخلها ، هاتفا :

ـ هيا هو ذا باب الأمل ، ينفتح على مصراعيه أمامنا .

انهار الباب فى هذه اللحظة ، تحت ضربات الحراس الآليين ، وصاح الرجل البرتقالى فى شراسة :

ـ أوقفوه .. اقتلوه ..

ضغط (نور) أزرار القيادة فى سرعة ، وجذب ذراع الانطلاق ، واندفعت مركبة (رالف) نحو الفجوة الضخمة ، التى تكونت على الشاشة ، وخلفه تنطلق حزمة الأشعة القاتلة ..

وعبرت مركبة (رالف) الفجوة ..

عبرتها إلى العدم ..

مرة أخرى وجد (نور) نفسه فى أرض العدم ..

وعبر الفجوة ، سمع (نور) البرتقالى يصرخ :

ـ اسرعوا خلفه .. لا تسمحوا له بالفرار .

وهنا استدار (نور) بالمركبة ، وصرخت (نشوى) :

ـ ماذا ستفعل يا أبى ؟

انطلق نحو الفجوة مرة أخرى ، ورأى الحراس الآليين يتجهون لعبورها ، فضغط زر الليزر بلا تردد ..

وانطلقت الأشعة المدمرة ، فى مدفع المركبة ..

وانسحق عدد من الآليين ..

ثم أطلق (نور) حزمة أخرى من الأشعة ، أصابت لوحة الأزرار مباشرة ..

واختفت الفجوة إلى العالم البرتقالى فجأة ..

وهتفت (نشوى) :

ـ لقد انتصرنا .. انتصرنا يا أبى .

أجابها فى حزم ، وهو يستدير إلى الفجوة الخضراء :

ـ ليس بعد يا (نشوى) .

أطلقت شهقة ذعر ، وهى تتطلع إلى الفجوة الخضراء ، التى انكمشت أكثر وأكثر ، ولم تعد تسمح بعبور المركبة ، وهتفت :

ـ انتهى الأمر .

أجابها (نور) ، وهو يزيد من سرعة المركبة :

ـ ليس بعد ..

ولكن السباق لم يكن يسير لصالحه ..

كانت الفجوة تتكمش فى سرعة ..

وتتكمش أكثر ..

وأكثر ..

وغصّ حلق (نور) بمرارة لا حصر لها ..

ولأوّل مرة فى حياته ، اعترف بالهزيمة ..

لقد خسر السباق ..

وخسر آخر أمل فى النجاة ..

وعلى الأرض اتسعت عينا (سلوى) فى ذعر وذهول ، وهى تراقب الفجوة على شاشة الراصد ، وتهتف فى ارتياع :

ـ هيا يا (نور) .. هيا .. عد .. عد يا (نور) .

ولكن الفجوة تلاشت تماما ، واختفت من السماء ..

ومعها اختفى الأمل من قلب (سلوى) ، التى أطلقت صرخة ارتياع ولوعة ، ثم سقطت فاقدة الوعى ..

وضاع الأمل .

* * *



٨ ـ لا لليأس ..

ران صمت رهيب طويل ، داخل المقر السرى للفريق ..

صمت يحمل رائحة اليأس ، وطعم الهزيمة ..

كانت (سلوى) فاقدة الوعى ، والدكتور (حجازى) يحاول إسعافها ، و(محمود) والدكتور (رشاد) يحدقان فى معادلاتهما الأخيرة فى مرارة ، و(أكرم) يتابع تحركات (رالف) على الشاشة فى غيظ ، وكرامته الجريحة تدمى فى حنق ، أما (مشيرة) ، فقد راحت تضمد جرح ذراع (رمزى) فى إشفاق حنون ، حتى انتهت من تضميده ، فهمست :

ـ ستكون بخير بإذن الله .

أجابها فى حزن واضح :

ـ شكرا لك .

تطلعت إليه لحظات فى أسى ، ثم سألته هامسة :

ـ أحزنت من أجلها ؟

كان يعلم أنها تقصد (نشوى) ، وعلى الرغم من هذا ، فقد سألها :

ـ من أجل من ؟

قالت فى مرارة :

ـ من أجل (نشوى) .

أشاح بوجهه عنها ، وهو يقول :
ـ ومن لم يحزن من أجلها ، ومن أجل (نور) .
قالت بصوت يقارب البكاء :
ـ حزنك أنت سيفوق أحزان الآخرين ، لأنك .. لأنك ..
انخفض صوتها ، على الرغم منها ، وهى تكمل :
ـ لأنك تحبها .
كانت تتمنى أن ينكر هذا ..
أن يجاملها بالإنكار ..
ولكنه لم يفعل ..
لم ينطق بحرف واحد ..
وكان هذا ـ فى رأيها ـ أبلغ اعتراف بحب (نشوى) ..
وفى مرارة لا حد لها ، غمغمت :
ـ لقد فهمت .
نهضت تبتعد عنه ، فأمسك كفها ، متمتمًا :
ـ (مشيرة) .. سامحينى .. ليس هذا بيدى ..
سالت دموعها على وجنتيها ، وهى تقول :
ـ أعلم هذا يا (رمزى) .. أعلم هذا .
هم بالتخفيف عنها بعبارة ما ، لولا أن هبّ (أكرم) واقفًا فجأة ، وهو يهتف :
ـ اللعنة !.. لن أترك هذا الوغد يفعل بنا ما يفعله

قال (محمود) فى توتر :
ـ وكيف ستتصدى له ؟
ضرب (أكرم) قبضته فى راحته ، وهو يقول فى انفعال :
ـ كل ما أحتاجه هو تحطيم خوذته ، أو تمزيق زيه .. لو نجحت فى هذا أو ذاك ، فأقسم أن أسحقه سحقًا بعدها .
عقد (محمود) حاجبيه ، وهو يقول :
ـ تحطيم خوذته ؟!
ثم اعتدل مستطردًا فى حزم :
ـ أظن أن لدى ما تحتاجه .
التقت نظراته بنظرات (أكرم) ..
وانبعث أمل جديد ..

* * *

لم يشعر (نور) فى حياته بالمرارة واليأس ، مثلما شعر بهما هذه المرة ، وهو يقف مع ابنته وسط العدم ..
وسط الفراغ اللامتناهى الرهيب ..
وفى حزن جارف ، قالت (نشوى) :
ـ ها نحن أولاء نعود إلى نقطة البداية .
تنهد (نور) ، وقال :
ـ نعم .. عدنا إلى الضياع فى أرض العدم هذه ، وسنبقى سجناء فيها ، حتى يقتلنا الجوع أو الخوف .

قالت فى أسى :

ـ اطمئن .. لن يقتلك الجوع ، فأنا لم أشعر بالجوع قط ، طوال الفترة التى قضيتها هنا ، ويبدو أن هذه المنطقة توقف بعض العمليات الحيوية فى الجسم .

لوح بكفيه ، قائلًا :

ـ إنه قدرنا .

شملهما الصمت لحظات ، قبل أن تقول هى :

ـ على الأقل لقد منعناهم من غزو الأرض .

قال فى مرارة :

ـ إلى فترة محدودة ، فلن يلبث علماؤهم أن يدرسوا الأمر مرة أخرى ، ويتمّ إصلاح لوحة الأزرار .. لا يمكنك أبدا إيقاف أطماع قوم مثلهم ، ما دامت الميول الاستعمارية قد وجدت طريقها إلى قلوبهم وعقولهم .

شعرت بخطورة كلماته ، فعادت تلوذ بالصمت لحظات ، قبل أن تقول :

ـ ولكنك كنت رائعًا يا أبى .. كالمعتاد .

هزّ رأسه ، قائلًا :

ـ ليست مسألة روعة يابنيتى ، بل هى تلك الطاقة ، التى تندفع فى عروق المرء ، عندما يواجه خطرًا أو انفعالًا .. هل تذكرين كيف استعدنا جميعًا ذكرى رحلتنا إلى المستقبل ، عندما

واجهنا خطر دمار الأرض ، على الرغم من أن أهل المستقبل قد حاولوا محو هذا من ذاكرتنا(*) .

قالت فى خفوت :

ـ لست أظن أنه من الممكن محو أى شىء ، من ذاكرة البشر .. يمكنك فقط إيداع هذا الشىء فى ركن مظلم من العقل ، ولن يلبث هذا الركن المظلم أن يضىء ، عندما يضغط أى انفعال أزراره ، ولو دون قصد .

صمتت لحظة ، ثم عادت تسأله فى انفعال :

ـ ولكن ألا يمكننا أن نحاول ؟

قال فى أسى :

ـ نحاول ماذا ؟

بدت حائرة ، وهى تقول :

ـ نحاول فتح الفجوة الخضراء مرة أخرى .

تنهد ، وقال :

ـ لقد فكرت فى هذا الأمر ، وسألت نفسى عما يمكن أن يحدث ، لو أننا أطلقنا مدفع الليزر على النقطة نفسها عدة مرات ، ولكن ..

سألته فى لهفة :

ـ ولكن ماذا ؟

تنهد مرة أخرى ، وهو يهز رأسه ، قائلًا :

(*) راجع قصة (عبر العصور) .. المغامرة رقم (٥٤) .

- لا يمكننى تحديد النقطة ، التى كانت فيها الفجوة الخضراء .. من المستحيل وسط هذا العدم أن يحدد المرء أى اتجاه ، لأى شىء .. كل النقاط والاتجاهات تبدو متشابهة ، بلا ملامح أو حدود ..

ارتجف صوتها فجأة ، وهى تقول :

- كلها ما عدا هذا .

التفت فى سرعة إلى حيث تشير ، واتسعت عيناه فى توتر ، عندما وقع بصره على نقطة فى الفراغ ، تتلون مرة أخرى بذلك اللون الداكن ..

وأدرك على الفور أن أصحاب البشرة البرتقالية قد نجحوا فى إصلاح لوحة الأزرار ، بأسرع مما توقع ..

وأن عليه أن يواجه هجوما جديدا ..

هجوما شرسا ..

* * *

انتهى (رالف) من غرس قنبلته التاسعة والأخيرة ، حول المقر السرى ، ثم اعتدل متطلعا إلى عمله فى زهو ، وقال فى مقت واضح :

- سأضحى بكل ما تمتلكون من أسلحة أيها السادة ، ومن معدات حديثة ، مقابل نسفكم بلا رحمة ..

تراجع بضع خطوات ، ليلقى نظرة طويلة على المقر ، ثم اتجهت يده إلى أحد أزرار حزامه ، وهو يقول :

- وداعا يا آخر الأبطال الحمقى على الأرض .

ارتفع فجأة صوت (أكرم) ، وهو يقول :

- لا تبع فراء الدب قبل صيده أيها الوغد .

التفت إليه (رالف) فى حركة حادة ، ورفع فوهة مدفعه فى وجهه ، ثم ابتسم فى سخرية ، عندما رأى (أكرم) ممسكا بجهاز صغير ، يشبه أجهزة اللاسلكى القديمة ، وقال :

- هل ستبث رسالة استغاثة ؟

قال (أكرم) فى حدة :

- بل أحضرت الجهاز لك ، فربما تحتاج أنت إلى بث هذه الرسالة ، قبل أن أنتهى منك .

قهقه (رالف) ضاحكا ، وقال ساخرا :

- يا لكم من أغبياء !!.. ألا تتعلمون أبدا ؟.. ألم يدرك أحدكم أن هزيمتى تعد مستحيلة ، وأنا أرتدى هذا الزى ، المعد لمواجهة أسوإ الظروف المناخية ، والتصدى لكل أنواع الأسلحة المدمرة تقريبا .. إننى بهذا الزى أصبح - بالنسبة إليكم - أشبه بـ(سوبرمان) حقيقى .

قال (أكرم) فى صرامة :

- فلنر هل تحتمل هذا السلاح الجديد يا (سوبرمان) ؟

قالها ، وضغط زر الجهاز فى حزم ..



ورفع فوهة مدفعه فى وجهه ، ثم ابتسم فى سخرية ، عندما رأى (أكرم) ممسكًا بجهاز صغير ، يشبه أجهزة اللاسلكى القديمة ..

وانطلقت الموجات ..

موجات فائقة الصغر والقوة ، ملأت الفراغ كله ، وتركزت كلها حول خوذة (رالف) ، التى راحت تهتزّ فى قوة ، فصاح (رالف) ، وهو يرفع فوهة مدفعه نحو الجهاز :

ـ ما هذا بحق الشيطان ؟

قال (أكرم) فى انفعال :

ـ جهاز إطلاق موجات فوق صوتية .. لن تحتمله خوذتك حتمًا ، ولو كانت مصنوعة من الزجاج المضاد للقنابل .

لم يكد يتم عبارته ، حتى تشقّقت خوذة (رالف) ، ثم انهارت كلها دفعة واحدة ..

وصرخ (رالف) ، وهو يطلق أشعة مدفعه على الجهاز ، الذى يمسك به (أكرم) :

ـ أيها الحقير .

أصابت الأشعة الجهاز ، ونسفته نسفًا ، ولكن (أكرم) اندفع نحو (رالف) ، صارخًا :

ـ لقد سئمت هذه العبارة .

انقضّ على (رالف) فى قوة ، وأحاط وسطه بذراعيه ، وسقط كلاهما أرضًا ، ثم تشبث (أكرم) بحافة الزى الفضى ، فى موضع الخوذة المحطمة ، وهو يقول :

ـ الآن أصبحت عاريًا أيها الوغد .

ثم هوى على فك (رالف) بلكمة قاسية ، أطلق لها (رالف) صرخة ألم ، ثم أدار قدمه فى قوة ، ودفع (أكرم) بعيدا عنه ، هاتفا :

- ليس من السهل أن تهزمنى .

ثم هبّ واقفا على قدميه ، وركل (أكرم) فى وجهه بعنف ، فاحتمل (أكرم) الركلة ، وتشبّث بقدمه ، صائحا فى مقت :

- سترى أيها الوغد .

ولكن (رالف) دفع (أكرم) بقدمه الأخرى فى صدره ، ثم تراجع بحركة حادة ، وقال :

- لقد وضعت حتى هذا الاحتمال فى الحسبان .

ضغط أحد الأزرار العديدة فى حزامه ، فتكوّنت حول رأسه خوذة أخرى ، مما جعله يُطلق ضحكة ساخرة عالية ، ويقول :

- أرأيت أيها الحقير .. ها قد عاد كل شىء إلى ما كان عليه .

ثم استدار يواجه المقرّ السرى ، مستطردا :

- لن أقتلك الآن .. سأسمح لك أولا برؤية المقر السرى ، وهو ينفجر كألف قنبلة ، ويتحوّل إلى غبار ، ولو لم يقتلك الانفجار ، سأتولى عنه هذه المهمة .. وبكل سرور .

أطلق ضحكة شيطانية رهيبة ، وقال :

- وداعا أيها الأبطال .. وداعا .

وضغط زر التفجير فى حزامه .

ودوى الانفجار ..

* * *

٩ - هجوم ..

ظلّ (نور) لحظات يحدّق فى تلك البقعة الداكنة وسط الفراغ ، والتى تتسع فى بطء ، وهو يبحث فى ذهنه عن حل لهذه المشكلة الجديدة ، فى حين قالت (نشوى) فى يأس :

- ماذا سنفعل هذه المرة ؟

لم يكن لديه جواب لسؤالها ، فاكتفى بالصمت ، وتركها تضيف :

- هل يمكننا مقاومتهم ؟

أجاب هذه المرة فى حزم :

- هذا كل ما نمتلكه .

ثم قفز داخل مركبة (رالف) ، وأدارها لتواجه الفجوة الجديدة ، مستطردا :

- ولن نتنازل عنه .

أطلق مدفع الليزر مرة ، ومرة .. ومرات ..

وفى كل مرة كانت الفجوة تمتصّ الأشعة ، وتتسع أكثر وأكثر ، حتى هتفت (نشوى) :

- كفى يا أبى .. من الواضح أن الأشعة ، التى نضرب بها الفجوة ، تمدّها بمزيد من الطاقة .

أوقف (نور) إطلاق الأشعة على الفجوة ، وهو يقول :

- هذا واضح .

لم يكد ينتهى من قوله ، حتى انفتحت الفجوة عن آخرها ، وبرز منها خمسة من الحراس الآليين ..

وبلا تردد ، أطلق (نور) أشعة المركبة نحو الآليين ، وراح يسحقهم واحدا بعد الآخر ، ولكن أعدادهم كانت تتزايد على نحو عجيب ..

كل آلى يسقط كان يظهر بدلا منه آليان ..

وبدأ الآليون فى القتال بدورهم ..

وانطلقت حزم الأشعة من الجانبين ..

وتحولت منطقة الصفر إلى ساحة قتال حقيقية ..

وهتفت (نشوى) :

- إلى متى يستمرّ هذا ؟

أجابها (نور) :

- الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم .

ولكنه أشعل محركات المركبة ، مستطردا :

- ويمكننا أن نحاول إيقافه .

انطلق بالمركبة وسط الفراغ ، متفاديا حزم الأشعة ، التى تنهمر عليه كالمطر ، ثم مال بها فى مهارة ، وانقضّ على الفجوة مرة أخرى ، ورأى لوحة الأزرار الجديدة ، وخلفها الوجه ذو البشرة البرتقالية ، فأطلق أشعة الليزر ..

وانفجرت لوحة الأزرار الجديدة ..

واختفت الفجوة مرة أخرى ..

وهنا ارتبك الآليون ، وتوقفوا عن القتال ، ثم توقفت آلاتهم كلها ، وكأنما فقدوا اتصالهم بعالمهم تماما .

وفى ارتياح ، قالت (نشوى) :

- لقد انتصرنا .

أجابها (نور) :

- لست أحب أن أحطم ذلك الأمل ، الذى ينتعش فى صدرك يابنيتى ، ولكن انتصارنا هذا لن يستمر إلى الأبد ، فمؤشر الطاقة لمدفع الليزر ، يشير إلى قرب نفاد طاقته ، فى حين لن تنضب أسلحة خصومنا فى سهولة .

شحب وجهها ، وهى تهمس فى ارتياع :

- إذن فلا أمل .

أجابها فى حزم :

- لن أفقد الأمل أبدا .

ولكنه كان يشعر فى أعماقه أن الأمل فى النجاة ضئيل .. ضئيل للغاية ..

* * *

كان الانفجار قويا عنيفا ، وعلى الرغم من هذا ، فلم ينسحق المقرّ السرى ، كما تصوّر (رالف) وخطط ..

القنبلة التاسعة وحدها انفجرت عند الجدار الغربى للمقر ، وأسقطت أحد جدرانه ، لتكشف جزءا من الممر الخلفى له ..

أما القنابل الثمانية الأخرى ، فقد انفجرت بعيدا ..

بعيدا إلى حد كبير ..

وهتف (رالف) ذاهلا :

ـ ما هذا ؟.. ماذا حدث ؟

أجابه (أكرم) ، فى شىء من الشماتة :

ـ حدث أننى سرت على هداك ، ولكن على نحو عكسى ، فرحت أجمع كل القنابل ، التى غرستها أنت من قبل ، ووضعتها فى أحد الأطلال البعيدة ، وأنت منهمك فى غرس القنبلة التاسعة .

وابتسم فى سخرية ، مستطردا .

ـ لقد هزمتك هذه المرة بالفعل .

صرخ (رالف) :

ـ هزمتنى ؟!.. يا لك من واهم ساذج غبى !.. أتتصور أنك قد هزمتنى بالفعل أيها الحقير ؟!. كل ما فعلته هو أن أطلت الأمر قليلا ، ولكن النهاية لن تتغير .. يكفينى أن القنبلة التاسعة قد فتحت ثغرة فى جدار مقركم السرى .. وسأعبر هذه الفجوة إلى الداخل ، وأقتلكم جميعا واحدا بعد الآخر .. إنك لم تهزمنى أبدا .

أخرج (أكرم) مسدسه الليزرى ، وهو يقول :

ـ إننى لم أنته من دورى بعد .

أطلق (رالف) ضحكة عصبية ساخرة ، وقال :

ـ بل أنت لم تتعلم الدرس بعد .. هل ستحاول قتلى بمسدس ليزرى ؟.. أنسيت أن هذا الزى يمكنه التصدى لقنبلة ذرية ؟

ابتسم (أكرم) ابتسامة متشفية ، وقال :

ـ بل أنت الذى نسيت أن خوذتك قد تحطمت منذ دقائق ، وأننى تشبثت بها لحظة ، قبل أن تحيط نفسك بأخرى .

قال (رالف) فى حدة وقلق :

ـ وماذا فى هذا ؟

أجابه (أكرم) :

ـ هل تذكر ذلك القرص المتفجر ، الذى حاولت إجبار (رمزى) على ابتلاعه ؟ .. لقد بحثت عن القرص ، ووجدته ، وأنا أنزع القنابل الأخرى ، وعندما تحطمت خوذتك ، وتشبثت أنا بحافة الزى ، ألقيت القرص المتفجر داخله ، ولقد أخطأت أنت ، عندما أشرت إلى الزر ، الذى يمكنه تفجيره .

اتسعت عينا (رالف) فى رعب ، ولوح بذراعيه ، هاتفا :

ـ لا .. لا ..

ولكن حاجبى (أكرم) انعقدا فى عنف ، وارتسم كل الغضب والصرامة فى ملامحه ، وهو يقول :

ـ مت أيها الوغد .. إنك تستحق هذا .

نسى (رالف) ، من شدة رعبه ، أنه يمسك مدفعه الليزرى ، فصرخ فى هلع رهيب :

ـ لا .. لا .

ولكن (أكرم) ضغط زناد مسدسه الليزرى ..

وانطلق خيط الأشعة ..

وأصاب الزر المنشود ..

ودوى الانفجار ..

انفجار مكتوم ، داخل الزى الفضى اللامع ، سحق (رالف) سحقا ، وحوّله إلى كومة من اللحم المفرى ، والعظام المطحونة ..

وسقط الزى الفضى اللامع ، وتدحرج أرضا ، بعد أن احتوت مادته قوة الانفجار ، فلم يتمزّق منها خيط واحد ..

وفى صرامة ، قال (أكرم) :

ـ كما قلت من قبل .. أنت تستحق هذا .

نهض فى بطء ، وألقى نظرة أخيرة على الزى الفضى ، وكومة الدماء والأشلاء داخله ، ثم اتجه إلى الفجوة ، التى صنعتها القنبلة فى الحائط ، وعبرها إلى داخل المقرّ السرى ، ولم يكد يعبر الممر الطويل ، إلى حجرة الرفاق ، حتى استقبله الجميع فى صمت ، جعله يقول ساخرا :

ـ هل أحزنكم مصرع هذا الوغد ؟

أجابه (رمزى) :

ـ كان مصرعه بشعا .

وأضافت (مشيرة) :

ـ ولكننا ندين لك بحياتنا .

التفت إليها ، قائلا :

ـ إننى مستعد لمواجهة قنبلة نووية ، من أجل عينيك الجميلتين .

تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، إزاء هذا الغزل المباشر ، وشعرت بحرج شديد أمام الجميع ، بدده الدكتور (رشاد) ، وهو يهتف فى حرارة :

ـ مرحى يا فتى .. لقد أنقذتنا بحق .. بل أنقذت الأرض كلها .

حطّم هذا القول جدار الجمود ، الذى أحاط بالموقف كله ، فالتف الجميع حول (أكرم) ، يهنئونه بانتصاره ، وقال له الدكتور (حجازى) ، وهو يصافحه فى حرارة :

ـ أنت رائع يا ولدى .. صدقنى .. كنت سأعتبرك أعظم رجل التقيت به ، بعد الرائد (نور) ، لو أنك تقيم وزنا للحياة الآدمية ..

أجابه (أكرم) فى صرامة :

ـ عندما سحقت ذلك الوغد الألمانى ، كنت أقيم وزنا للحياة الآدمية يا سيدى ..

حياتكم ، وحياة سكان الأرض القادمين .. وحتى حياة وأرواح هؤلاء الهمج ، الذين يسعى الرجل لاستعبادهم .

ربت الدكتور (حجازى) على كتفه ، قائلا فى خفوت :

ـ صدقت يا ولدى .. صدقت .

أما (سلوى) ، فقد استعادت وعيها ، وانزوت فى أحد

الأركان تبكى فى مرارة ، فاقتربت منها (مشيرة) ، تقول فى حنان وحزن :

ـ رويدك يا (سلوى) .. ليس هناك ما يشير إلى مصرع (نور) و (نشوى) .. ربما كانا على قيد الحياة ، يقاتلان للعودة إلينا .

قالت (سلوى) فى مرارة :

ـ ولكن الفجوة اختفت .

أجابتها (مشيرة) :

ـ ومن أدراك أن (نور) لن يجد وسيلة أفضل ؟. ألم يواجه من قبل مخاطر أكثر صعوبة ، وأمكنه التصدى لها كلها ؟.. أنسيت كيف نجا من قبل ، من أمور أشد غرابة وصعوبة ؟

قالت (سلوى) من وسط دموعها :

ـ لم أنس هذا قط .

ورفعت رأسها إلى شاشة الراصد ، مستطردة :

ـ هذا هو الأمل ، الذى أحيا به ، والذى ..

بترت عبارتها بغتة ، وهتفت :

ـ يا إلهى !

التفت إليها الجميع ، يسألونها فى قلق :

ـ ماذا حدث ؟

أشارت إلى شاشة الراصد ، قائلة :

ـ الهمج .. كان (س ـ ١٨) وجدران المقرّ السرى يحميانا منهم .

تطلع الجميع إلى الشاشة ، وانتقل خوفها إلى قلوبهم ..

كان هناك عشرات من الهمج ، يعبرون الفجوة ، التى صنعتها قنبلة (رالف) الأخيرة فى جدار المقرّ السرى ، ويسيرون عبر الممر ، متجهين إلى حيث يجلس الجميع ..

كان هجوما جديدا ..

هجوما وحشيا ..

* * *

بدأت البقعة الداكنة تتكوّن من جديد ، بعد أقل من الساعة الواحدة ، بتوقيت الأرض ، وسط ذلك الفراغ المخيف ، وقالت (نشوى) بصوت مرتجف :

ـ إنهم يعيدون بناء أجهزتهم فى سرعة مدهشة .

غمغم (نور) ، وهو يستعد لإطلاق أشعة مدفع الليزر :

ـ هذا صحيح .

هتفت فى مرارة :

ـ ألن ينتهى هذا العذاب ؟

كان يشعر بالإحباط والحزن ؛ لأنه عاجز عن إزالة خوفها ، وبث بعض الطمأنينة فى نفسها ..

ولكن ماذا لديه ليفعله ؟..

إنه لا يملك سوى المقاومة ..

المقاومة حتى آخر رمق ..

حتى لو لم يكن هناك أمل ..

على الأقل ، سيبذل حياته من أجل ابنته ..
ومن أجل وطنه ..
وكوكبه ..
وفى بطء ، رأى الفجوة تتكون مرة أخرى ، ورأى الآليون يعبرونها اليه ، فضغط زر إطلاق مدفع الليزر ..
ومرة أخرى دارت المعركة الطاحنة ..
انطلق مدفع الليزر مرة ، ومرة ، ومرة ..
وأطلق الآليون أسلحتهم نحوه ..
ثم صمت مدفع الليزر ..
صمت فجأة ، بعد أن نفدت طاقته عن آخرها ..
وعبْر الفجوة ، ارتفع صوت صاحب البشرة البرتقالية ، وهو يهتف :
- لقد خسر سلاحه الأخير .. ألقوا القبض عليه الآن .
ورفع الآليون أسلحتهم الكروية فى وجه (نور) و (نشوى) ، ولكن (نور) قال فى حزم :
- ما زالت هناك وسيلة للمقاومة .
وأشعل محركات المركبة فجأة ، وانطلق بها .
لم يكن يدرى أين يتجه بالضبط ..
ولكن ما الذى تعنيه الاتجاهات ، فى منطقة كهذه ..
ما الذى يعنيه الانطلاق ، فى أرض العدم ..

كل ما كان يسعى اليه (نور) هو أن يبتعد ..
وبأقصى سرعة ممكنة ..
ولكن أشعة الكرات انطلقت خلفه فى إصرار ..
وارتجت المركبة بضربة مباشرة ..
وانتفضت بأخرى ..
وهتفت (نشوى) :
- لقد أصابوا المركبة .. ستسقط بين أيديهم .
وكانت على حق ..
لقد تهاوت المركبة ..
أو توقفت ..
لم يكن هناك أمر محدود ، يمكن وصفه ، وسط الفراغ والخواء والعدم ..
وفى مرارة ، رأى (نور) الآليين يحيطون به ، ويصوّبون اليه كراتهم اللامعة ، وسمع صاحب البشرة البرتقالية يقول :
- إنك عنيد أكثر مما ينبغى أيها الأرضى ، والاحتفاظ بك على قيد الحياة ، يعدّ مخاطرة ضخمة .
ثم أضاف فى صرامة :
- اقتلوهما يا رجال .
وأطلقت (نشوى) صرخة رعب .

* * *

١٠ ـ العــودة ..

من العجيب أن المقر السرى كله ، لم يكن يحوى من الأسلحة ، سوى ذلك المسدس الليزرى ، الذى يمسك به (أكرم) ، مما جعل (رمزى) يهتف :

ـ هذا ما أخشاه منذ زمن طويل .. إننا لم نستعد أبدًا لمثل هذا اليوم .. كنا نعتمد تمامًا على حماية (س ـ ١٨) لنا ، وعلى متانة ومناعة المقر السرى ، حتى أننا لم نستعد للدفاع عن أنفسنا بأنفسنا .

رفع (أكرم) مسدسه ، قائلًا فى حزم :

ـ خطأ كبير يا رجل .

ثم صوب المسدس إلى مدخل القاعة ، الذى بدأ الهمج يضربونه بقبضاتهم وهراواتهم فى عنف ، مستطردًا :

ـ ولكن هذا لا يعنى أن نقف عاجزين عن المقاومة .. استخدموا أى شىء للدفاع عن أنفسكم .. المقاعد ، والموائد .. وحتى أجهزة الكمبيوتر .. كل شىء .

تصاعدت ضربات الهمج على الباب ، حتى صرخت (مشيرة) فى انهيار :

ـ سيفترسوننا .. لم يعد هناك أمل .

صاح بها (أكرم) :

ـ لا تقلقى يا جميلتى .. لن يمسّ أحدهم شعرة واحدة من رأسك ، وأنا على قيد الحياة .

ارتفع لحظتها أزيز جهاز الاتصال الداخلى ، وظهرت على الشاشة صورة رئيس الفريق الطبى ، وهو يقول فى توتر :

ـ لقد شاهدنا كل شىء على شاشتنا .. إننا نواجه هجوما عنيفًا من الهمج ، ولا توجد وسيلة واحدة للتصدى لهم ، أو حتى للفرار من هنا .

صاح به (أكرم) :

ـ ليس أمامك إذن سوى المقاومة .. وبكل ما تملك من قوة .

وأنهى الاتصال بضربة واحدة ، فى نفس اللحظة التى انهار فيها الباب ، أمام هجمة الهمج ، الذين اندفعوا إلى الداخل بوجوههم المخيفة ، وصرخاتهم الوحشية ، الممتزجة بصرخات (سلوى) و (مشيرة) ، التى تموج بالرعب ، وصياح الدكتور (حجازى) :

ـ قاتلوا .. قاتلوا من أجل حياتكم .

وراح (أكرم) يطلق أشعة مسدسه فى توتر ، ولكن هؤلاء الهمج هاجموه فى شراسة ، وانتزعوا منه مسدسه الليزرى ، وهو يهتف :

ـ اذهبوا إلى الجحيم أيها الوحوش .

ألقوه أرضًا ، وامتدت أيديهم إليه فى شراسة ، وصرخت (مشيرة) :

- لا .. قاوم يا (أكرم) .. قاوم .

ولكن المقاومة كانت مستحيلة تماما ، مع كل هذا العدد ، وكل هذه الشراسة ، وبدا من الواضح أن (أكرم) سيصبح أول ضحية لجيش الهمج الوحشى ، و ...

وفجأة انهار جدار آخر ، من جدران الممر ، وظهر آخر شخص ، يتوقع الجميع رؤيته ، فى هذه اللحظة بالذات ..

وعلى الرغم من الملامح المخيفة لهذا الشخص ، بوجهه الأخضر الجامد ، وعينيه الحمراوين بلون الدم ، هتفت (مشيرة) فى سعادة جمة لرؤيته :

- (س - ١٨) !

توقف جيش الهمج كله دفعة واحدة ، والتفت إلى (س - ١٨) فى رعب ؛ فلم يكن أحدهم قد نسى قوته ، ولا أسلوبه العنيف فى مواجهة زملائهم من قبل ..

وران صمت رهيب على المكان ..

صمت استغرق دقائق طويلة ، قبل أن يغمغم الدكتور (حجازى) :

- ترى أيعنى ظهور (س - ١٨) انتهاء المشكلة ، أم بداية مشكلة أكبر ؟

جاوبه صمت مطبق ، استغرق دقيقة أخرى ، قبل أن يطلق أحد الهمج صرخة قتالية ، ويرفع هراوته ، منقضا على (س - ١٨) ..

ودون أدنى تفكير ، اندفع باقى الهمج خلفه ، وهم يطلقون صرخات مماثلة ، ويلوحون بهراواتهم فى وحشية ..

ورأى (س - ١٨) هذا الجمع ينقض عليه ، ولكنه بقى جامدا صامتا ، حتى صار الجميع على قيد متر واحد منه ، فرفع ذراعيه بغتة ..

وانطلقت من قبضتى (س - ١٨) أشعة زرقاء باهتة ، أحاطت بجمع الهمج كله ، فارتجفت أجسادهم فى عنف ، ثم سقطوا أرضا ..

وهتفت (سلوى) :

- هل قتلتهم ؟

أجابها الدكتور (حجازى) فى سعادة :

- بل اتبع تعليمات (نور) يا (سلوى) ، واكتفى باستخدام أشعة التجميد ، التى شلت حركتهم مؤقتا دون أن تؤذيهم .. لقد شفى (س - ١٨) يا بنيتى .

هتفت (مشيرة) فى سعادة :

- حمدا لله .. حمدا لله .

أما (أكرم) ، فقد نهض قائلا فى دهشة :

- ما هذا الشىء ؟

أجابه (رمزى) مبتسما :

- (س - ١٨) هو الحارس الخاص للفريق يا عزيزى

(أكرم) ، وهو مقاتل أتلانتى قديم ، لا توجد وسيلة معروفة لهزيمته ، حتى وقتنا هذا (*).

ردد فى دهشة :

ـ مقاتل أتلانتى ؟!

أما (سلوى) ، فقد اندفعت نحو (س ـ ١٨) ، وهتفت به :

ـ أنقذ (نور) و (نشوى) يا (س ـ ١٨) .. انقذهما .. أرجوك .

التفت إليها (س ـ ١٨) فى بطء ، وردد العبارة الوحيدة المسجلة فى أعماقه ، بكل لغات الدنيا :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

جذبته (سلوى) من ذراعه إلى الخارج ، وهى تهتف فى لهفة :

ـ تعال يا (س ـ ١٨) .. سأشرح لك كل شىء .

تطلع إليها (أكرم) فى دهشة ، ثم التفت يسأل (رمزى) :

ـ هل أصيبت زميلتكم بالجنون ؟

قال الدكتور (حجازى) ، وهو يسرع خلف (س ـ ١٨) :

ـ بل ربما تكون قد وجدت الحل الأمثل .

غادر الجميع المقرّ السرى ، خلف (سلوى) و (س ـ ١٨) ، ورأوا (سلوى) تشير إلى السماء قائلة :

(*) راجع قصة (المقاتل الأخير) .. المغامرة رقم (٤٧) .

ـ أتذكر يا (س ـ ١٨) ما حدث ، عندما أطلقت طاقة البروتون فى السماء ؟.. أتذكر تلك الفجوة ، التى حدثت هناك ؟.. لقد قادتنا هذه الفجوة إلى حيث (نشوى) .. ابنتى (نشوى) .

مال (أكرم) على (رمزى) ، يسأله :

ـ أتتوقع أن يفهمها الآلى ؟

أجابه (رمزى) فى اقتضاب :

ـ إنه يفهمها .

كان (س ـ ١٨) يتطلع إلى (سلوى) فى صمت ، وهى تتابع :

ـ ولقد استقلّ (نور) مركبة طائرة ، وعبر هذه الفجوة ، فى محاولة لاستعادة (نشوى) .

حفزت العبارة الأخيرة أجهزة (س ـ ١٨) فى اهتمام ، فكل أجهزته تقول : إن (نور) هو سيّده .. سيّده الوحيد .. وعليه حمايته دائما ، والذّود عنه ، ضد كل ما ، ومن يتعرّض له بسوء ..

وبصوت مرتجف ، أكملت (سلوى) :

ـ وتلاشت الفجوة ، قبل أن يعود (نور) و (نشوى) .

كان هذا يكفى ، بالنسبة لـ(س ـ ١٨) ..

لقد أدرك أن سيّده يواجه الخطر ..



وفى نفس اللحظة ، التى نطق فيها كلمته ، رفع (س ــ ١٨)
قبضته إلى أعلى .. وانطلقت طاقة البروتون ..

وأن عليه أن يحميه ..

وبأى ثمن ..

وفى هدوء ، ودون أن ينتظر سماع حرف زائد ، اتجه (س ــ ١٨) نحو نفس البقعة ، التى كان يقف فيها ، عندما أطلق طاقة البروتون ..

واستعادت ذاكرته الإليكترونية كل الإحداثيات ، الخاصة بتلك اللحظة ..

نفس المكان ..

نفس زاوية الإطلاق ..

نفس كمية الطاقة ..

وفى هدوء راحت قبضتا (س ــ ١٨) تتألقان ، بذلك البريق الأخضر ، فهتف (أكرم) :

ـ ماذا يفعل ؟

أجابه الدكتور (حجازى) فى انفعال :

ـ أظنه يخطط لفتح فجوة أخرى فى السماء .

ردد (أكرم) فى دهشة بالغة :

ـ فجوة أخرى ؟!

وفى نفس اللحظة ، التى نطق فيها كلمته ، رفع (س ــ ١٨) قبضتيه إلى أعلى ..

وانطلقت طاقة البروتون ..

أقوى طاقة صافية ، عرفها الكون ، حتى هذه اللحظة ..

وفى السماء ، تركت طاقة البروتون دائرة خضراء لامعة ، قبل أن تواصل طريقها ، إلى أعمق أعماق الفضاء السحيق ..

وصاحت (سلوى) فى سعادة .

ـ لقد نجح .. لقد صنع فجوة جديدة .

وبدون كلمة واحدة ، أطلق (س ـ ١٨) صواريخه الخلفية ، وانطلق فى الفضاء ..

نحو الفجوة مباشرة ..

وهتف (رمزى) :

ـ يا إلهى !.. كم أشعر بالارتياح لهذا المشهد .

ومع آخر حروف كلماته ، غاص (س ـ ١٨) فى قلب الفجوة الخضراء ..

واختفى ..

* * *

صوّب الآليون أسلحتهم الكروية اللامعة إلى صدر (نور) و (نشوى) ، وصرخت (نشوى) فى رعب ، وهى تهتف :

ـ سيقتلوننا .. سيقتلوننا يا أبى .

انقبضت كل عضلة فى جسد (نور) ، وهو يبحث عن وسيلة للدفاع عن ابنته ، وصاحب البشرة البرتقالية يقول فى صرامة :

ـ اقتلوهما على الفور ، بمجرّد أن ..

وفجأة ظهرت تلك الفجوة الخضراء اللامعة ..

ظهرت فى نقطة مرتفعة من العدم ، وعبرتها حزمة ضخمة من طاقة البروتون ، لم تلبث أن تشتتت فى الفراغ اللانهائى ..

وصاح صاحب البشرة البرتقالية :

ـ ما هذا ؟!.. إنها طاقة هائلة .. من المستحيل أن تكون حضارتكم قد توصّلت إلى مثلها ، أو إلى ..

قاطعه (نور) ، وهو يهتف فى لهفة :

ـ (س ـ ١٨).

لم يكد يتمّ كلمته ، حتى اندفع (س ـ ١٨) عبر الفجوة الخضراء ، فهتفت (نشوى) فى سعادة جمة :

ـ إنه (س ـ ١٨) بالفعل .. لقد نجونا يا أبى .. لقد نجونا .

ولم يحتّج (س ـ ١٨) أكثر من نظرة واحدة ، فهم بعدها الموقف كله ، فاتجه نحو الآليين ، وأطلق أشعته الساحقة نحوهم ..

وانفجر الآليون فى عنف ، وتطايرت أشلاؤهم فى الفراغ اللامتناهى ، وصاح صاحب البشرة البرتقالية :

ـ أي مقاتل هذا .. أغلقوا الفجوة .. أغلقوها بسرعة .

ولكن (س ـ ١٨) عبر الفجوة ، قبل أن تنتهى كلمات الرجل ، واستقرّ داخل القاعة الضخمة ، وأدار عينيه فيها فى بطء ، فتراجع صاحب البشرة البرتقالية ، هاتفًا :

- اقتلوه أيها الحراس .. اقتلوه .

أطلق كل الحراس الآليين أشعة أسلحتهم على (س ـ ١٨) . وراحت الأشعة ترتد عن جسده المنيع فى عنف ، فى حين أطلق هو من عينيه أشعة ليزرية ، راح ينسف بها الأجهزة ، واحدا بعد الآخر ، وصاحب البشرة البرتقالية يصرخ :

- لا .. لا .. إنك تحطم كل شىء .

اقترب (نور) من الفجوة فى هدوء ، وقال للرجل :

- إنه واحد من مقاتلينا الآليين .. ما رأيك يا رجل ؟ أما زلتم تصرون على احتلال كوكبى ؟

هتف الرجل فى انهيار :

- خذه وانصرف .. لن نفكر أبدا فى بلوغ بعدكم .. أقسم أننا لن نحاول .

ابتسم (نور) فى ارتياح ، وقال لـ(س ـ ١٨) :

- هيا بنا يا (س ـ ١٨) .. سنعود إلى الوطن .

قال (س ـ ١٨) فى هدوء :

- (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

ثم أطلق أسلحته على كل الآليين ، ونسفهم فى لحظات معدودة ، قبل أن يتجه إلى الشاشة الضخمة ، ويعبر الفجوة إلى الفراغ اللانهائى ، وصاحب البشرة البرتقالية ملتصق بالحائط ، يهتف فى ارتياع :

- مستحيل !.. مستحيل أن يكونوا قد بلغوا هذا الحد .

لم يكد (س ـ ١٨) يتجاوز الفجوة ، حتى فوجئ به (نور) يستدير إليها ، ويلمس حافتها بأصابعه ، فقالت (نشوى) :

- ما الذى يفعله (س ـ ١٨) ؟

غمغم (نور) :

- لست أدرى ..

صاحب البشرة البرتقالية وحده أدرك ما يفعله (س ـ ١٨) ..

أدركه من مؤشر الطاقة لديه ، الذى أخذ ينخفض فى سرعة مذهلة ..

كان (س ـ ١٨) يمتص الطاقة من الفجوة ..

طاقة هائلة ، تكفى لإضاءة وتشغيل عشر مدن صناعية كبرى ، لشهر كامل على الأقل ..

طاقة رهيبة ، تعوض كل نقص الطاقة فى جسده ، بعد المجهود الآلى الشديد ، الذى بذله لإحداث الفجوتين ، والسفر ذهابا وإيابا إلى الشمس ..

وصرخ صاحب البشرة البرتقالية فى هلع :

- لا .. لا تمتص كل هذه الطاقة .. إنك ستتلف آلة الأبعاد .. لا تفعل بالله عليك ..

ولكن (س ـ ١٨) ظل يمتص ملايين الكيلوات من الطاقة ..

كان هذا ضمن برنامجه ، الذى وضعه الأتلانتيون ، منذ عشرات القرون ..

أن يحصل على الطاقة ، كلما وجد سبيلا لهذا ..

وخاصة من الأعداء ..

ومع الامتصاص الرهيب لمخزونها من الطاقة ، أخذت الفجوة تنكمش ، وتنكمش ، وسقط البرتقالى البشرة على ركبتيه ، وهو يقول فى انهيار :

- لا تمتص كل الطاقة أرجوك ..

كان من الواضح أن (س - ١٨) يحشد داخله طاقة هائلة ، تبلغ أقصى حد ، يمكن أن تحتمله آلياته ..

طاقة تكفى لتحريك كوكب كامل ..

وقال (نور) فى توتر :

- كفى يا (س - ١٨) .. كفاك ما حصلت عليه .

ردد (س - ١٨) فى هدوء ، وبصوته المعدنى المثير :

- (س - ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

ولكنه واصل امتصاص الطاقة لعدة ثوان أخرى ، انبعثت بعدها فرقعة مخيفة ، وانتهت الفجوة تماما ..

وفى هدوء ، التفت (س - ١٨) إلى (نور) و (نشوى) ، وجسده يتألق ببريق عجيب ، وكرر :

- (س - ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

تطلع إليه (نور) لحظة فى صمت ، ثم قال :

- (س - ١٨) عد بنا إلى الوطن يا (س - ١٨) .

أحاطهما (س - ١٨) بذراعيه فى رفق ، ثم انطلق فجأة نحو الفجوة الخضراء ..

وشعرت (نشوى) بدوار شديد ، فهتفت :

- رويدك يا (س - ١٨) .. رويدك .

ولكن (س - ١٨) اخترق الفجوة بسرعته الكبيرة ، وأطلقت (نشوى) شهقة قوية ، وهى تشعر كأن روحها تفارق جسدها ، فى حين خفق قلب (نور) فى قوة ، وهو يشاهد مرة أخرى سماء الأرض ، بنجومها اللامعة ، فهتف :

- مرحى يا (س - ١٨) .. لقد نجحت .. لقد فعلتها مرة أخرى يا رجل .

كان يتحدث إليه كما لو كان صديقا قديما ، ولقد أدهشه كثيرا أن ردد (س - ١٨) عبارته المعدنية الوحيدة :

- (س - ١٨) فى خدمتك يا سيدى ..

لم يدر لماذا شعر بالدهشة ، ولكنه قال فى امتنان :

- أشكرك يا (س - ١٨) .. أشكرك كثيرا .

وعند المخبأ السرى ، هتفت (سلوى) فى سعادة لا مثيل لها :

- لقد أنقذهما .. لقد عاد بهما (س - ١٨) .

انطلقت صيحات الفرح من الجميع ، وبكت (سلوى) فى فرحة عارمة ، فى حين ردد (أكرم) فى انبهار :

- مذهل .. هذا الآلى معجزة بحق .

ولا أحد يمكنه وصف ذلك الاستقبال ، الذى استقبلت به (سلوى) زوجها وابنتها ..

بل الذى استقبلهما به الفريق كله ..

لا أحد يمكنه ذلك أبدا ..

لقد كانت حرارة اللقاء أقوى من أن يصفها قلم بشرى ..

كانت دفقة من رحمة الخالق (عز وجل) ..

ولحظة من لحظات صفاء القدر ..

وحتى بعد ساعة كاملة من العودة ، كانت (سلوى) تحتضن ابنتها فى حرارة ، داخل المقر السرى ، وتهتف :

ـ حمدا لله على سلامتك يا (نشوى) .. حمدا لله على عودتك يا بنيتى .. إننى لم أتوقف لحظة واحدة عن التفكير فيك ، طوال الشهور الثلاثة الماضية .

قالت (نشوى) فى سعادة :

ـ ولا أنا يا أمى .. لقد استخدمت ناقل صوت فضائى ، فى مركبة (بودون) ، لأتصل بك عقليا ، وأزورك فى أحلامك .

قالت (سلوى) :

ـ كنت أعلم أن هذا حقيقى .. كنت واثقة من ذلك ، ولكن أحدا لم يصدقنى ـ تصور الجميع انها هلوسة أم ثكلى .

هتف (رمزى) :

ـ فيما عداى أنا .

التفتت اليه (نشوى) فى فرحة ، وتخضب وجهها بحمرة الخجل ، وهى تقول :

ـ اوحشنى فراقك كثيرا يا (رمزى) .

قال فى حنان جارف :

ـ ليس بأكثر مما لوعنى فراقك يا (نشوى) .

وشعرت (مشيرة) بقبضة باردة تعتصر قلبها ، وهى تستمع إلى هذا الحوار ، بين (رمزى) و (نشوى) ، فسالت دموع القهر من عينيها فى بطء ، وأطرقت بوجهها أرضا ، حتى سمعت صوت (أكرم) من خلفها ، يهمس :

ـ إننى لأدفع عمرى كله ، ثمنا لقطرة دمع واحدة .

غمغمت وهى تشيح بوجهها :

ـ إنها ذرة غبار ، و ...

قاطعها هامسا :

ـ لا داعى لهذا ، فأنا أضيق بمحاولات إهانة ذكائى .

تركت دموعها تنساب فى بطء وصمت ، دون أن تجيب ، فتابع :

ـ أعلم أنك تحبينه .. هذا واضح للجميع ، ولكنه يحبها هى ، فلا داعى لإهانة كرامتك أكثر من هذا .

قالت فى مرارة :

ـ وماذا يمكننى أن أفعل ؟

همس فى أذنها :

ـ أتسمحين لى بالتصرف ، لمداواة كرامتك الجريحة ؟

تمتمت :

ـ افعل ما يحلو لك .

سألها مبتسما :

ـ أتمنحينني ثقتك كلها ؟

أومأت برأسها إيجابا ، فاعتدل قائلا :

ـ عظيم .

ثم ارتفع صوته ، وهو يستطرد :

ـ استمعوا جيدا أيها السادة .. لقد وافقت (مشيرة) على خطبتى .

تطلعت العيون كلها إليهما فى دهشة ، وشعرت (مشيرة) بارتباك شديد ، مع ذلك الصمت ، الذى ساد المكان ، قبل أن يقول (رمزى) بابتسامة هادئة :

ـ مبارك .

اندفع الجميع يهنئون (أكرم) و (مشيرة) فى حرارة ، و (أكرم) يقول بابتسامة كبيرة تموج بالسعادة :

ـ أشكركم جميعًا .. لقد حظيت بأفضل سيدة فى العالم .. إننى رجل محظوظ بحق .

وقالت (سلوى) فى سعادة :

ـ ينبغى أن نقيم احتفالاً بهذه المناسبة .. مناسبة عودة

(نشوى) و (نور) ، ونجاحنا فى إنقاذ الدكتور (رشاد) ، وخطبة (مشيرة) و (أكرم) .

قال (نور) فى لهجة حاسمة :

ـ لم يحن أوان الاحتفال بعد ، فكل ما حدث سيصبح بلا قيمة ، لو لم ننجح فى إعادة الحضارة إلى الأرض ، وإعادة العقول إلى سكانها .

سأله (أكرم) :

ـ ألم يقل (محمود) والدكتور (رشاد) : إنهما قد توصلا إلى المعادلات المطلوبة ؟

أجاب الدكتور (رشاد) :

ـ هذا صحيح ، ولكن الأمر لا يقتصر على المعادلات فحسب ، بل يتجاوزه إلى ضرورة الحصول على الوسيلة ، وفى ظل إمكانياتنا المحدودة ، والخراب الذى حلّ بالأرض ، ستبقى معادلاتنا مجرّد نظرية .. نظرية غير قابلة للتنفيذ عمليًا .

ومرة أخرى ، ضاع الأمل من القلوب ..

* * *

١١ ـ الوسـيلة ..

استند (أكرم) برأسه إلى جدار الحجرة ، وأسبل جفنيه فى إرهاق ، بعد ساعة كاملة ، قضاها الفريق كله ، فى مناقشة يائسة ، للبحث عن وسيلة مناسبة ، لاستخدام المعادلات الجديدة ، التى توصل إليها (محمود) والدكتور (رشاد) ، وانتابه شعور بالضيق ، مع تلك النتيجة السلبية ، التى توصلت إليها المناقشات ..

لم تكن هناك وسيلة ممكنة ، لتوليد مقدار الأشعة العكسية المطلوبة ، أو لصنع قنبلة مضادة ، يمكنها أن تمحو مفعول قنبلة (جاما) ..

وهو يكره الاستسلام لليأس ..

ولم يشعر مع إرهاقه ، بـ(مشيرة) التى جلست إلى جواره ، وأسندت رأسها إلى الجدار بدورها ، وهى تهمس :

ـ أشكرك .

فتح عينيه ، وتطلع إليها لحظة ، ثم قال مبتسما :

ـ تشكريننى على ماذا ؟

قالت فى خفوت :

ـ على إعلانك خطبتنا .. كانت وسيلة جيدة ، لتثبت أمام

الجميع أننى مازلت امرأة مرغوبة ، ولست مجرد حبيبة مرفوضة .

ابتسم قائلا :

ـ بل أنا الذى يدين لك بالشكر .

سألته فى دهشة :

ـ على ماذا ؟

أجابها هامسًا :

ـ عل موافقتك على الخطبة .

هتفت فى دهشة :

ـ موافقتى ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ لقد تمنيت هذا ، منذ وقع بصرى عليك لأول مرة .. إنك امرأة رائعة، وأنا أميل إليك بحق .

تطلعت إليه لحظة فى صمت متسائل ، ثم همست :

ـ (أكرم) .. هل أنت جاد ؟

أجابها فى حرارة :

ـ لم أكن جادًا ، فى حياتى كلها ، مثلما أنا الآن .

بقيت تتطلع إليه لحظات ، ثم أشاحت بوجهها ، مغمغمة :

ـ لست أدرى يا (أكرم) .. لا يمكننى أن أخدعك ، أو أن ..

قاطعها فى حنان :

ـ فقط امنحينى الفرصة لإثبات صدق مشاعرى .

قالت فى تردد :

ـ وماذا عن مشاعرى أنا ؟. إننى لست مجرد آلة ، يمكنها تبديل مشاعرها فى لحظة واحدة ، بضغطة زر ، أو ..

هتف فجأة :

ـ آلة ؟!.. نعم .. هذا هو الجواب .

تطلعت إليه فى دهشة ، قائلة :

ـ جواب ماذا ؟

هبّ واقفا على قدميه ، وهو يهتف فى انفعال :

ـ نعم .. هذا هو الجواب .

حدقت فيه بدهشة ، وهو يندفع نحو ذلك الركن ، الذى جلس فيه أفراد الفريق ، يحاولون البحث عن الوسيلة ، ويهتف فى حرارة :

ـ لقد وجدت الجواب .

التفتوا إليه فى تساؤل ، وغمغمت (نشوى) :

ـ أى جواب ؟

أشار بيده فى انفعال ، نحو (س ـ ١٨) ، الذى يقف صامتا جامدا ، فى الركن الآخر للقاعة ، وهتف :

ـ ذلك الآلى هو الجواب .. هو الوسيلة التى يمكنكم بها إعادة كل شىء إلى ما كان عليه .

فهم الدكتور (رشاد) و(محمود) ما يعنيه على الفور ، فغمغم (محمود) فى ارتياع :

ـ يا إلهى !.. (س ـ ١٨) !!

أما الدكتور (رشاد) ، فهتف :

ـ بالطبع .. كيف لم ننتبه إلى هذا .. (س ـ ١٨) هو الحل الوحيد .

انعقد حاجبا (نور)، وهو يقول :

ـ ماذا تعنى ؟

أجابه الدكتور (رشاد) فى انفعال :

ـ لقد توصّل إليها (أكرم) ، وكان ينبغى أن نفعل نحن أوّلا ؛ بحكم خبرتنا .. إننا نستطيع استخدام الطاقة الهائلة ، فى جسد (س ـ ١٨) ، لتكوين القنبلة المضادة .

سأله (نور) فى حذر :

ـ كيف ؟

لوّح بكفيه ، قائلا :

ـ نمنحه المعادلات التى توصّلنا إليها ، ونطلب منه تكوين الأشعة المطلوبة ، بكل الطاقة الكامنة فى أعماقه ، وبعدها يتخذ نقطة محدودة مسبقا ، والأفضل أن تكون نفس النقطة التى انفجرت فيها قنبلة (جاما) وينسف نفسه ، و ...

ارتفع حاجبا (نشوى) فى هلع ، وحدقت (سلوى) فى وجهه بذهول ، فى حين قال (نور) فى صرامة :

ـ مستحيل !

قال الدكتور (رشاد) :

ـ ما هو المستحيل ؟!.. إنها فكرة علمية تماما .. سنصنع من هذا الآلى قنبلة عكسية ، و ...

قاطعه (نور) فى حدة :

ـ قلت لك : مستحيل .

ثم ضرب سطح المنضدة بقبضته فى حدة ، مستطردا :

ـ لن ننسف (س ـ ١٨) أبدا .

قال (أكرم) فى دهشة :

ـ ولم لا ؟.. إنه مجرد آلى ، وهو الوسيلة الوحيدة لدينا الآن ، لتعود الأرض إلى ما كانت عليه .

قال (رمزى) فى توتر :

ـ لن يكون (س ـ ١٨) هو الثمن .

هتف (أكرم) :

ـ لماذا ؟!

أجابه (نور) فى حدة :

ـ أنسيت أن (س ـ ١٨) هو الذى أنقذ حياتكم جميعا ، عندما هاجمكم الهمج ؟.. أنسيت أنه أنقذ حياتى وحياة (نشوى) ، عندما كدنا ننتهى ، فى أرض العدم هذه ؟

اعتدل (أكرم) ، وهو يقول :

ـ لا أيها الرائد (نور) .. لم أنس هذا أبدا .. ولم أنس أنه أنقذ حياتك وحياة فريقك أكثر من مرة فى الماضى ، ولكن ليس

هكذا يفكر القائد .. إنك لست هنا للدفاع عن حياة (س ـ ١٨) يا (نور) .. إنك هنا للعمل على إنقاذ كوكبك كله ، ومهمتك المقدسة هذه تحتاج منك إلى بذل روحك نفسها ، لو اقتضى الأمر ، لإعادة الأمور إلى نصابها .. أنا نفسى ما كنت لأتردد لحظة واحدة ، فى التضحية بنفسى ، لو كان هذا هو الثمن المطلوب ، لإنقاذ الأرض وسكانها ، فكيف ترفض التضحية بـ(س ـ ١٨) ؟

كانت كل كلمة نطق بها منطقية تماما ، حتى أن الوجوم قد ساد الحجرة لحظات ، قبل أن يعتدل هو ، قائلا :

ـ إنه قرارك أيها الرائد .. قرار قائد ، لا يصح له أبدا أن يتخلى عن واجبه .. مهما كان الثمن .

ثم استدار ، وابتعد فى حزم ..

وطال الصمت ـ بعد انصرافه ـ بعض الوقت ، حتى قال (نور) فى مرارة :

ـ إنه على حق يا رفاق .

هتفت (سلوى) فى استنكار :

ـ (نور) .. هل يمكنك التضحية بـ(س ـ ١٨) ؟

سألها فى ألم :

ـ ألديك حل بديل ؟

اتسعت عيناها فى ذعر ، واحتبست الكلمات فى حلقها ، فى حين رددت (نشوى) فى ارتياع :

- (س ـ ١٨) .. يا إلهى !

نهض (نور) من أمام المائدة ، وقال فى حزن عميق :

- أعلم أنه حل مخيف ، وأن التضحية بـ(س ـ ١٨) ليست بالأمر الهين أو البسيط ، ولكننا نسعى منذ زمن لإنقاذ الأرض ، وإعادة الحضارة إليها .

ثم اتجه إلى خزانة صغيرة ، فى ركن الحجرة ، وأخرج منها حقيبة صغيرة ، رفعها أمام وجوه الجميع ، مستطردا :

- أترون هذا .. إنها مجموعة من مكعبات الكمبيوتر ، تحوى كل حضارة وآداب وفنون وعلوم الأرض ، يوم وقع الاحتلال(*) .. لقد أعطانى القائد العام إياها ، يوم غزو الأرض ، وطلب منى المحافظة عليها بحياتى ، وبذل قصارى جهدى ؛ لاستخدامها فى إعادة الحضارة إلى الأرض ، عندما تحين اللحظة المناسبة ، ولقد وعدته ـ رحمه الله ـ أن أفعل ، ولكننى لن أستطيع استخدام هذه المكعبات أبدا ، لو بقيت الأرض على ما هى عليه ، من همجية وتخلف .

وخفض يده ، مستطردا فى مرارة :

- ولقد قالها (أكرم) .. لو كانت حياتى نفسها ، هى الثمن المطلوب ، لإعادة الأرض إلى ما كانت عليه ، قبل أن يحتلها غزاة (جلوريال) ، لما ترددت لحظة فى التضحية بها ، من أجل هذا الثمن .

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

وانخفض صوته ، مع متابعته :

- وهذا ينطبق أيضا على (س ـ ١٨) .

ساد الصمت التام لحظات ، ثم همهمت (نشوى) :

- يا للخسارة !

تنهد (نور) فى عمق ، ثم التفت إلى الدكتور (رشاد) يسأله :

- أأنت واثق من أنه الحل الوحيد ياسيدى ؟

أومأ الرجل برأسه إيجابا ، وقال :

- للأسف يا (نور) .

سأل (نور) (محمود) :

- وماذا عنك أنت ؟

أجابه فى اقتضاب حزين :

- إنه الحل الوحيد يا (نور) .

اعتدل (نور) فى مرارة ، وصمت لحظات ، قبل أن يقول :

- فليكن .. سأعرض الأمر على (س ـ ١٨) .

قال (أكرم) فى دهشة .

- تعرضه عليه ؟!.. ماذا تعنى ؟.. إنه مجرد شخص آلى .. يكفى أن تأمره .

قال (نور) فى صرامة :

- لا يمكننى أن آمره بأداء أمر ما ، وما زلت أجهل كل إمكانياته حتى الآن .



راح (نور) يشرح له الأمر ف بساطة ، بكل الأبعاد والتفاصيل ، كما لو كان يتحدث مع صديق حميم ..

قالها واتجه الى (س ـ ١٨) ، وقال :

ـ (س ـ ١٨) .. لدينا مشكلة .

التفت إليه (س ـ ١٨) ، وقال بصوته المعدنى :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

راح (نور) يشرح له الأمر فى بساطة ، بكل الأبعاد والتفاصيل ، كما لو كان يتحدث مع صديق حميم ، أو زميل نابه ، وتطلع اليه (أكرم) لحظات فى دهشة ، ثم مال على أذن (مشيرة) ، هامسا :

ـ إنكم تتعاملون مع ذلك الآلى ، كما لو كان بشريًا .

غمغمت وهى تتطلع الى (نور) و (س ـ ١٨) فى إشفاق :

ـ أحيانا يبدو لى كذلك .

أما (س ـ ١٨) فقد استمع الى (نور) فى صمت ، واستوعبت أجهزته الأمر كله ، وراحت تدرسه فى سرعة وعناية ، ثم قال (س ـ ١٨) عبارته الوحيدة :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

وانطلق فجأة خارج المكان ..

والعجيب أن الجميع قد شعروا بانقباضة فى صدورهم ، عندما غادر الآلى المكان ، وسالت دموع (نشوى) ، وهى تقول :

ـ وداعا يا (س ـ ١٨) .. وداعا .

أسرع الجميع إلى شاشات الرصد ، يتابعون انطلاقة

(س ـ ١٨) ، الذى حلق بصواريخه الدافعة فى سماء الكوكب ، وراح يشق الهواء بسرعته البالغة ، حتى بلغ نفس الموضع ، الذى انفجرت فيه قنبلة (جاما) ، منذ ما يقرب من ثلاثة شهور ..

وتوقف جسد (س ـ ١٨) فى الهواء ..

وفى سرعة وبساطة ، حللت أجهزته المعادلات الجديدة ، ثم جندت طاقتها كلها لتوليد الأشعة العكسية المطلوبة ..

وبدأ جسد (س ـ ١٨) يتألق فى السماء ..

وفى كل لحظة ، كان تألقه يتزايد ويتضاعف ، حتى أضاء المكان كله ، كشمس صغيرة ، أشرقت فى غير موعد الشروق ..

وعلى شاشته الخاصة ، قال (محمود) فى انفعال :

ـ لقد صنعها .. صنع الأشعة العكسية .

أشاح (أكرم) بوجهه ، هاتفًا :

ـ إنها أشعة قوية للغاية .. لا يمكننى النظر إليها .

أما (سلوى) ، فغمغمت :

ـ لا تقتل نفسك يا (س ـ ١٨) .. أرجوك .

تزايد تألق (س ـ ١٨) فى شدة ، وبدا من الواضح أنه ينفذ المطلوب بمنتهى الدقة ، دون مشاعر أو عواطف ..

وهتف (نور) :

ـ سيفعلها .. أنا واثق من أنه سيفعلها .

وصاح الدكتور (حجازى) :

ـ أتظنه سيبقى بعدها على قيد الحياة ؟.. أعنى هل من الممكن أن ..

قبل أن يتم عبارته ، دوى الانفجار الهائل ..

انفجار رهيب ، سطع كشمس عملاقة ، فى سماء الأرض ، وانطلق منه غلاف إشعاعى هائل ، أحاط بالكوكب كله فى سرعة الضوء ، فتألق غلافه الجوى ببريق أخاذ ، بحيث أصبح من الممكن أن ترصده حضارة أخرى ، فى منظومة شمسية بعيدة ، واستغرق الأمر دقائق ثلاثًا ، تلاشى بعدها البريق ، ولم يعد هناك أدنى أثر للضوء فى السماء ..

ولا لـ(س ـ ١٨) .

* * *



١٢ ـ الختـــام ..

بدا (أكرم) شديد السعادة ، وهو يعبر مدخل المقر السرى ، هاتفًا :

ـ نتيجة رائعة .. أروع مما كنا نتصوّر بكثير .. كل من التقيت بهم ، فى هذه الجولة الطويلة ، استعادوا عقولهم .. لم يعد هناك همج ، فى هذه المنطقة على الأقل .. لقد فعلت القنبلة العكسية مفعولها .

أضاف الدكتور (حجازى) :

ـ والجميع لا يذكرون شيئًا عن فترة فقدان العقول .. آخر ما يتذكرونه هو انفجار قنبلة (جاما) ، ولقد بدا لهم الانفجار العكسى ، وكأنه امتداد للانفجار الأوّل ، وكأنما تلاشت المرحلة المتوسّطة من ذاكرتهم تمامًا .

تنهّد (نور) ، وقال :

ـ ربما كان هذا أفضل لهم .

ثم التفت إلى (محمود) يسأله :

ـ ألا توجد أية أخبار ، عن (س ـ ٢٨) ؟

هزّ (محمود) رأسه نفيًا فى أسف ، وقال :

ـ لست أتوقع أية أخبار يا (نـور) .. لقـد نسف

(س ـ ١٨) نفسه ، كما رأينا جميعًا ، لينقذ الأرض مما أصابها .

سأله (نور) فى خفوت :

ـ ألا يحتمل أنه قد انتقل إلى بُعد آخر ، أو ...

قاطعه (أكرم) مستنكرًا :

ـ ماذا دهاك يا (نور) ؟.. تبدو كما لو أنك قد فقدت صديقًا عزيزًا !

تنهّد (نور) ، قائلًا :

ـ هذا ما حدث بالفعل .

ربّت الدكتور (حجازى) على كتف (نور) فى حنان ، وهو يقول :

ـ لقد كانت حربًا جديدة يا ولدى .. حربًا ضد التخلّف والجهل .. ولكل حرب ضحاياها ، مهما كانت عادلة أو شريفة .. ولن ينسى أحدنا أبدًا (س ـ ١٨) ، الذى ضحى بحياته من أجل الأرض ، ومن أجل عودة الحضارة .

تمتم (نور) فى حزن :

ـ المهم أن تضحيته قد أثمرت .

هتف (أكرم) :

ـ أكثر مما تتصوّر .. أراهنك أن الأرض ستستعيد حضارتها كلها ، خلال عام واحد .. إننى لم أشعر فى حياتى كلها بالسعادة ،

مثلما شعرت بها فى تلك الجولة ، وأنا ألتقى بالعقلاء المتحضرين فى كل مكان .

كان هذا يكفى لإزالة بعض أحزان (نور) ، الذى قال :

ـ نعم .. لن ينسى أحدنا (س ـ ١٨) ، وكذلك لن ننسى بطلًا آخر ، عاش حياته يحلم بالبطولة ، ثم قضى نحبه لينضمّ إلى أبنائها .

سأله (أكرم) :

ـ أتقصد (نادر) ؟

أجابه بإيماءة من رأسه ، وقال ، وهو يتطلع إلى أضواء الفجر فى الشفق :

ـ نعم .. أقصد (نادر) .. ستستعيد الأرض حضارتها بإذن الله ، وسيستعيد البشر عقولهم ، والفضل يعود إلى عشرات التضحيات ، التى سينساها الناس مع مرور الوقت ، ولكن يكفى أن هذه التضحيات كلها قد أثمرت .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف :

ـ لقد ذهب عهد الظلمة يا رفاق ، وستبدأ الأرض عهدًا جديدًا ، تستعيد فيه كل ما فقدته .. عهد البناء .

وصمت لحظة ، ثم أكمل فى حزم :

ـ وعهد السلام .

وأشرقت الشمس فى الأفق .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥